

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



مخبر التّوطين: مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر.

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه الطّور الثالث (LMD)

في إطار مشروع: البلاغة العربية ومساقات التحول، تخصص: دراسات بلاغية

موسومة بـ:

مقصديّة الخطاب في دلائل الإعجاز

-دراسة في استراتيجيات الخطاب-

إشراف:

أ.د بلمرسلي سبع.

إعداد الطالبة:

- فاطمة الزهراء دريدش.

لجنة المناقشة

الصفة	مؤسسة الإرتباط	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	بن خولة كراش
مشرفا ومقررا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	سبع بلمرسلي
مشرفا مساعدا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	شريف حسني عبد القادر
مناقشا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	عزوز ميلود
مناقشا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	عدة قادة
مناقشا	جامعة تيسمسيلت	أستاذ التعليم العالي	رزايقية محمود

السنة الجامعية: 1443/1444 هـ - 2022/2023.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرfan

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع

ومصداقاً لقوله-صلى الله عليه وسلم:- "مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ

تجدوا ما تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"

لذا أتوجّه بأسمى آيات الشكر والامتنان والثناء لأستاذي المشرف: الأستاذ الدكتور

"بلمرسلي سبع" على كل ما بذله من جهد قيّم في إشرافه على هذه الأطروحة

وتوجيه النصائح التي كانت عوناً لي في تخطي الكثير من الصّعاب فكان أستاذاً فاضلاً

سخياً معطاءً في علمه وخلقه، صبوراً، حريصاً على العمل المتقن

فجزاه الله عنيّ عظيم الجزاء وأمدّه بدوام الصحة والعافية.

وأ تقدّم بوافر امتناني إلى أعضاء اللجنة الموقرة التي تجتّمت عناء قراءة متن هذه

الأطروحة، وإثرائها وتصويب ما اعترأها من أخطاء.

كما لا يفوتني أن أشكر أستاذتي الكرام-الأحياء منهم والأموات- الذين رافقوني طيلة

مشواري الجامعي، فلهم مّيّ فائق التقدير والاحترام.

وأشكر كل من شجّعني بالكلمة الطيبة وصالح الدعاء.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما.

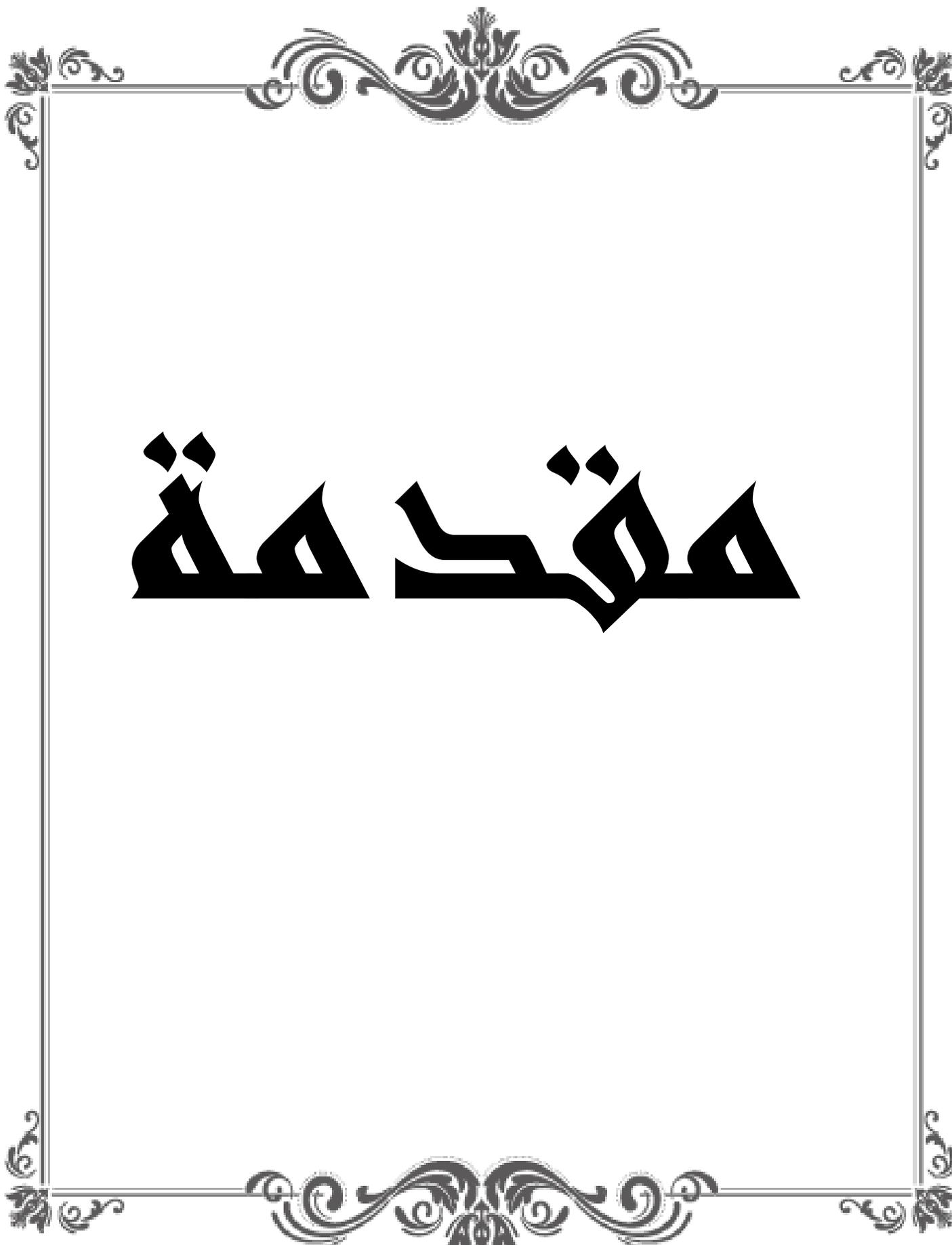
إلى أخت في الله ورفيقة دربي "نورية".

إلى أخي وأخواتي.

إلى كلّ زميلاتي بقسم اللّغة والأدب العربي.

إلى كلّ هؤلاء أهدي هذا العمل ... رمز جهد وحب وتقدير

واحترام ووفاء.



حقائق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا وشفيعنا محمد أفضل من أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته، وأتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

مع التطور المتسارع الذي يشهده العالم في مضمار العلم والمعرفة لاح في ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة معالم علم جديد خطّ مفاهيم ومبادئ وأسساً جديدة في تاريخ اللسانيات متجاوزاً في ذلك الدراسات التاريخية للغة، والتي سادت ردحا من الزمن بأطروحاتها فأعطت أولوية كبيرة للتشكيك اللغوية نفسها، ودرست اللغة دراسة وصفية علمية صرفة لا تقيم للقرائن الخارجية التي تحيط بالنص وزنا.

وقد اصطلح العلماء على هذا العلم الذي لقي اهتماماً بالغاً في العصر الراهن مسمى "التداولية" (pragmatique)، والذي انبثق في لحظة ميلاده من إرهاصات فكرية في التراث الفلسفي الجرماني (الفلسفة التحليلية - خصوصاً الفيلسوف النمساوي "لودفيغ فيتغنشتاين" (L. Wittgenstein)، ثم قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد، هم: أوستين (J. I. Austin)، وسيرل (J. R. Searle)، وغرايس (H. P. Grice).

والتداولية آلية معرفية لدراسة اللغة في مقامات الاستعمال، تركز على الأقطاب الكبرى للعملية التواصلية اللسانية (المخاطب والمخاطب)، وتمنح أهمية للمعطيات السياقية، وتنظر إلى ظواهرها من زاوية مختلفة عن الرؤية البنيوية.

والمقصدية في الخطاب هي ركن عتيد في التحليل التداولي، ولذا حرصت الدراسات التداولية في جوهرها على مقاصد الخطاب، وكيفية التعبير عنها، والاستراتيجيات التي يتوخاها المرسل لنقل هذه المقاصد وإيصالها إلى السامع مراعيًا في ذلك حال المخاطب وقرائن السياق والمقام.

وكتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني من أبرز الكتب التي ذاع صيتها في مجال البلاغة والإعجاز القرآني خلال القرن الخامس هجري. ونظرا للشهرة التي لقيها هذا الكتاب فقد عكف الباحثون وأهل الاختصاص على دراسته فطبقوا أحدث ما توصل إليه العلم الحديث من معارف ومناهج وآليات عليه، ولكن رغم ذلك مازال يحتاج لمزيد من الدراسة والتنقيب، ولذا اخترت في هذا البحث النظر إلى هذا الكتاب من زاوية جديدة تعنى بموضوع له أهمية كبيرة في نجاح العملية التواصلية، وتحقيق التفاعل بين قطبيها، ومحورته في العملية الاقناعية التأثيرية، إضافة إلى أنه من المواضيع الهامة التي نحتاجها كثيرا في العملية التعليمية وفي تعاملاتنا اليومية. وعليه جاء البحث موسوما بـ: "مقصدية الخطاب في دلائل الإعجاز - دراسة في استراتيجيات الخطاب -"

وقد انطلقت من إشكالية مفادها: فيم تتمثل المقصدية في خطاب عبد القاهر الجرجاني؟ وماهي أهم الاستراتيجيات التخاطبية التي انبنى عليها كتاب الدلائل؟

وتفرع عن الإشكالية الرئيسية جملة من التساؤلات:

- هل كان لخطاب "عبد القاهر الجرجاني" مقصدية واحدة أم تعددت مقصدياته؟

- هل كان لمبدأ "المقصدية" أثر في اختيار "عبد القاهر الجرجاني" استراتيجية مناسبة لخطابه؟

- هل حقق "عبد القاهر الجرجاني" من خلال توظيفه للاستراتيجية الاقناعية سلطة الافحام والتأثير في المتلقي؟

- ماهي المظاهر التداولية التي يمتلكها خطاب "عبد القاهر الجرجاني"؟

أما عن الأسباب ودوافع اختيار البحث فيمكن تلخيصها في:

- قلة الكتابات التي تناولت موضوع "المقصدية" و"الاستراتيجيات التخاطبية" في كتاب "دلائل الإعجاز" وأفردته بالدراسة.

- الإسهام في إيجاد توازن بين البحوث التراثية، والبحوث المعاصرة التي اتخذت أمهات الكتب مجالاً للتطبيق.

- أهمية موضوع "المقصدية" و "استراتيجيات الخطاب" في كل عملية تستدعي الإفهام والتوجيه والإقناع والتأثير.

- شهرة مؤلفات "عبد القاهر الجرجاني" خاصة كتابه "دلائل الإعجاز" الذي ذاع صيته كثيراً، والذي يؤهله ليكون موضوعاً للدراسة.

في حين تمثلت أهداف البحث وغاياته في:

-الكشف عن البنية الحجاجية الكامنة في مدونة "دلائل الإعجاز"

- محاولة الإمام بالتقنيات الحجاجية، وإسقاطها إجراءً على خطاب "عبد القاهر الجرجاني" في الدلائل.

- تقديم قراءة معاصرة لخطاب "عبد القاهر الجرجاني" لإثراء المكتبة بأطروحات تولى عناية للجانب التطبيقي الذي نفتقر إليه.

- النهوض بالتراث البلاغي وذلك بالكشف عما تحمله نصوص "عبد القاهر الجرجاني" من مفاهيم وأبعاد تداولية .

- استجلاء طبيعة "المقصدية" في متن المدونة المدروسة، ومعرفة الاستراتيجية المهيمنة عليها.

ولقد تم تقديم مادة البحث في شكل مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

- مقدمة: بيّنت فيها أهمية الموضوع ودوافع اختياره، وإشكالية البحث وتساؤلاتها، والمنهج المتبع، ومضمون الفصول، وأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، والدراسات السابقة في الموضوع أو القريبة منه.

- تمهيد: عرّفت فيه باختصار "بعبد القاهر الجرجاني" ومدونته "دلائل الإعجاز".

- الفصل الأول: كان موسوما "المقصدية مقارنة تأصيلية -الإطار المفاهيمي-

وقد اشتمل على التعريف بمصطلحات البحث (المقصدية- الخطاب- استراتيجيات الخطاب)، والتأصيل لمصطلح "المقصدية" في اللسانيات التداولية، والبحث في جذوره في التراث العربي.

- الفصل الثاني: والذي جاء معنونا ب "الاستراتيجية الاقناعية في خطاب عبد

القاهر الجرجاني" والذي سعت فيه لاستخراج مختلف آليات وتقنيات هذه الاستراتيجية (لغوية، بلاغية، منطوية، وشبه منطوية) التي وظفها "عبد القاهر الجرجاني" في دلائله.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان "تجليات المقصدية في خطاب عبد القاهر

الجرجاني"، ومن خلاله حاولت إبراز المقاصد الإجمالية في الكتاب، وذلك بالوقوف على سياق العصر، والذي انطلق منه في فعل الكتابة وعملية التأليف.

كما خصصت جزءا من هذا الفصل لبيان "مبدأ المقصدية" في تحليلات "عبد

القاهر الجرجاني" لبعض مباحث علم المعاني، والكشف عن المفاهيم التداولية التي حوتها المدونة.

- خاتمة: جاءت مسجلة لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث. وذيلت

البحث بفهرسين أحدهما للآيات القرآنية والثاني للأحاديث النبوية الشريفة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفي الأخير وضعت فهرسا للموضوعات.

واقترضت طبيعة الموضوع تحديد منهج تسير وفقه الدراسة، فكان المنهج التداولي أبرز ما احتجت إليه في تحليل النصوص انطلاقا من استحضار للمعطى الغربي من مصطلحات ومفاهيم لها علاقة وطيدة بالموضوع (المقصدية- استراتيجيات الخطاب) وإسقاطها على بعض نصوص عبد القاهر الجرجاني، يتخلله بعض الإحصاء ويتجلى ذلك في حساب ترددات استشهادات "عبد القاهر الجرجاني" للنماذج الشعرية والقرآنية، ومعرفة نسبة توظيفه للعاملين الحجاجيين (النفى والاستثناء، وإثما)، وأدوات التعليل.

وقد استندت في بحثي إلى مصادر ومراجع تنوعت بين القديم والحديث، فلجأت إلى أمهات الكتب القديمة في حقل الدراسات البلاغية الاعجازية مثل: "البيان والتبيين" "للجاحظ"، "النكت في إعجاز القرآن" "للرمانى"، "كتاب الصناعتين" "لأبي هلال العسكري"، "إعجاز القرآن" "للباقلاني"، كتاب "بيان إعجاز القرآن" "للخطابي".

كما استعنت ببعض الكتب والدراسات التي تضمنت شرحاً لمدونة البحث "دلائل الإعجاز" من ذلك: "عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده" "لأحمد مطلوب"، كتاب "شرح دلائل الإعجاز" "لمحمد إبراهيم شادي"، "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني" "محمد محمد أبو موسى".

وبمأنّ موضوع البحث في اللسانيات التداولية فقد اشتغلت على ما قدمته الدراسات اللسانية الحديثة من كتب نحو: كتاب "استراتيجيات الخطاب" لابن ظافر الشهيري"، الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني" "لعمرو بوقمرة"، "البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز" "لحامدة تقبايت"، كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم" "لسامية الدريدي"، "اللغة والحجاج" "أبو بكر العزاوي"، القصديّة بحث في فلسفة العقل لجون سيرل، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صوله، القصديّة في المعنى عند غرايس لصالح إسماعيل.

فهذه المصادر والمراجع وغيرها كان لأصحابها الفضل العظيم في استضاءة الجوانب الخفية في البحث وإتمامه فجزاهم الله خير الجزاء.

وباعتبار أنّ المدونة التي هي حيّز الدراسة "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني فقد اتّخذت النسخة التي أشرف على تحقيقها والعناية بها الدكتور: "عبد الحميد هنداوي"، ونشرت من طرف "دار الكتب العلمية-بيروت"، وطبعت سنة 2016م كأساس وعمدة في الفعل الإجمالي.

أما فيما يخص الدراسات السابقة حول هذا الموضوع فقد وقفت على عدة

بحوث منها ما يلي:

- "البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز"، وهو كتاب أعدته الدكتورة "حامدة تقبايت"، ومن أهدافها : عقد صلة حوارية مع علم من أعلام التراث البلاغي، هو "عبد القاهر الجرجاني"، وهذه الصلة تكون بالبحث عن تجليات قضايا التداولية في توجهه البلاغي ضمن كتاب "دلائل الإعجاز"، وقد خلصت الباحثة إلى أنّ عبد القاهر الجرجاني قد تفتن إلى جميع الأركان الضرورية في إنتاج خطاب بليغ، وهذه الأركان تتمثل في (المخاطب والمخاطب والموقف الخارجي) أثناء عملية التخاطب، إضافة إلى تركيزه على وظيفة الكلام والمقصدية التي لا بد أن تتوفر لتحقيق عملية التأثير .

- "البنية الحجاجية في النثر العباسي تناول تداولي لكتاب دلائل الإعجاز لعبد

القاهر الجرجاني" مذكرة ماجستير من إعداد الطالبة "نفيسة طيب"، ومن أهدافها: إسقاط بعض تقنيات الحجاج على التراث البلاغي العربي من خلال كتاب "دلائل الإعجاز"، وبيان إسهامات "عبد القاهر الجرجاني" في مجال الحجاج، وقد خلصت الباحثة إلى جملة من النتائج منها: أنّ خطاب "عبد القاهر الجرجاني" حجاجي بامتياز، من أبرز سماته الحوارية والتي كانت حاضرة بقوة، ويتجلى ذلك من خلال توظيفه لكاف الخطاب بكثرة، واستعمال الحوار في عدة صفحات.

- "مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز" ورقة بحثية أعدتها الدكتورة

"بوصوار سورية"، مجلة جامعة محمد خيضر-بسكرة-، ديسمبر 2014م، العدد السادس عشر، والتي تهدف من خلالها توضيح "المقصدية" في مبحث "التقديم والتأخير"، وكان من أبرز نتائجه: أنّ التركيب اللغوي يخضع لمقاصد المرسل، إضافة إلى أنّ ما جاء به المحدثون في هذا المجال لم يغفل عنه "عبد القاهر الجرجاني"، فقد أثبتته من خلال مباحث مختلفة.

- "الأفق الحجاجي في نظرية النظم لعمر بوقمرة"، وقد سعى الباحث إلى بيان إسهام "عبد القاهر الجرجاني" في حقل الحجاج، والمزج بين الأصالة والمعاصرة التي لا تتعصب ولا تنكر لأحدهما الفضل، وفي نهاية البحث وضع الباحث يده على جملة من النتائج منها: من مظاهر التداولية الحجاجية التي وسمت خطاب "عبد القاهر الجرجاني" وأهله لهذا المنهج، هو مناظرته ومجادلته لخصومه المعتزلة .

أما عن دراستي فهي جهد متواضع حاولت فيه الإمام بكل تقنيات الحجاج بمختلف أنواعها (اللغوية، البلاغية، المنطقية، والشبه منطقية)، وإسقاط مفاهيمها على نصوص "عبد القاهر الجرجاني"، وقد تم التركيز على "الاستراتيجية الإقناعية" باعتبارها من أبرز الاستراتيجيات مواءمة مع خطاب "عبد القاهر الجرجاني" البلاغي القائم على الإقناع والتأثير، والتركيز على بيان تموضع المقصدية الإجمالية في مدونة "دلائل الإعجاز" من خلال الوقوف على ملامح عصره، والقيام بفعل قرائي لمدونة البحث أسعى من خلاله الكشف عن مدى توفر مبدأ "المقصدية" في تحليل "عبد القاهر الجرجاني" للظواهر البلاغية، وأثره في نجاح العملية التواصلية البلاغية.

ومن الطبيعي أن كل بحث تواجهه مجموعة من الصعوبات التي تشكل على الباحث للوصول إلى هدفه ويظهر بحثه بالمستوى المطلوب، وهذا العمل لم يخل من ذلك فمن بين الصعوبات التي واجهتني:

- صعوبة الإمام بكل جوانب الموضوع.
- قلة الدراسات التي تناولت موضوع "المقصدية" و"الاستراتيجيات" في شقها التطبيقي من زاوية "عبد القاهر الجرجاني".

وفي الأخير أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى أستاذي المشرف "بلمرسلي سبع" الذي تعهد هذا البحث برعايته الطيبة وتوجيهاته السديدة، منذ أن احتضنه بين يديه، وتحمل عناء المتابعة والتوجيه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

تصنيف:

محمد القاهر الجرجاني ودلائل

الإعجاز.

أولاً - التعريف بالمدونة.

ثانياً - التعريف بصاحب المدونة.

أولاً: التعريف بالمدونة:

أ- مكانة المدونة.

ب- موضوع المدونة.

ت- موضوعات المدونة.

ث- هدف المدونة.

أولاً - التعريف بالمدونة:

"دلائل الإعجاز" مدونة تراثية اشتهرت في بيئة "البلاغة" و"الإعجاز القرآني" و"النقد"، «وهو العلامة الفارقة في إنتاج "عبد القاهر الجرجاني" وعصره، والأثر الأنفس بين كتب ومصنفات البلاغة، من قبل ومن بعد. فهو لم يضع أسس علم ركن من علوم البلاغة العربية، بل وضع مصطلحا علميا فنيا أدبيا، قائما على نظرية متكاملة لم يزد عليها العلماء من بعد إلا التبسيط والتنوير ... عنيت مصطلح "النظم" ونظريته...»⁽¹⁾.

ونظرا للأهمية التي يكتسبها هذا الكتاب فقد ظفر بتقدير كبير من أعيان المحققين الذين عكفوا على العناية به وتبويبه وطبع عدّة طبعات، «أول طبعة كانت سنة (1321هـ) بعناية السيّد "محمد رشيد رضا" وإشراف "محمد عبده"، وكانت هذه الطبعة أساس الطبعات الأخرى، فطبعه "أحمد مصطفى المراغي" طبعتين الأولى في سنة (1369هـ-1950م) والثانية من غير تأريخ، وطبع في المغرب العربي بتحقيق الأستاذ "محمد بن تاويت" في "جزئين"، ثم طبعه الدكتور "محمد عبد المنعم خفاجي" في سنة 1969م⁽²⁾، وتولى أيضا الدكتور "محمود محمد شاكر" بتحقيقه، وأوكلت مهمة النشر لمكتبة الخانجي.

ولقد كان لكتاب "دلائل الإعجاز" أثر عظيم في الدراسات القرآنية واللغوية التي أتت بعده، حيث سار على منهجه كل من "الزمخشري" (ت 538) في كتابه "الكشاف" الذي اتخذ "نظرية النظم" أساسا في تحليل الآيات القرآنية، و"أبو يعقوب السكاكي" (ت 626هـ) في كتابه "مفتاح العلوم"، و"فخر الدين الرازي" (ت 606هـ) في "نهاية الإيجاز لدراية الإعجاز" و"القزويني" (ت 739هـ) في "شرح

1- كشف أسرار المعاني عند عبد القاهر الجرجاني، محمد حامد محمد، (دم)، (دط)، (دت)، ص: 08.

2- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات - الكويت، ط1، 1973م، ص: 34.

التلخيص"،⁽¹⁾ وكتب شرف الدين الطيبي (ت743هـ): التبيان في علم البيان والبلاغة، وحاشيته على الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)، وشرحه على المشكاة "للخطيب التبريزي" في الحديث النبوي الشريف.

أ. مكانة المدونة:

لقد أحدث "عبد القاهر الجرجاني" قفزة نوعية في مجال "البلاغة والنقد والإعجاز القرآني" بتأليفه كتاب "دلائل الإعجاز"، فقد حوى مؤلفه أفكارا ورؤى تختلف عن سابقه من العلماء، ومن جملة ما تميز به كتاب "دلائل الإعجاز" حتى حقت له الصدارة مايلي:

1- يُشكّل كتاب "دلائل الإعجاز" مرحلة هامة من مراحل تاريخ علم اللغة العربيّة، وهي مرحلة الدّراسة الوظيفيّة التي تُعنى بتحديد قواعد بلاغيّة، وذلك من خلال مراعاة جميع العناصر المؤثرة في عملية الإبلاغ والتواصل، انطلاقاً من نفسيّة كل من المخاطب والمخاطب وكذا السّياق المقامي التداولي.⁽²⁾

فعبد القاهر الجرجاني كان يدرك تمام الإدراك دور العوامل الخارجية (المخاطب والمخاطب والظروف السياقية) في إنتاج الخطاب، وخروج الملفوظ إلى هيئة تعبيرية معينة، وأثرها في العملية التواصلية، ويظهر هذا في تحليل "عبد القاهر الجرجاني" لمختلف النماذج الخطابية: التقديم والتأخير، الحذف والذكر، الفروق في الخبر...إلخ.

2- في القرن الخامس وصلت العلوم العربيّة بصفة عامة إلى مرحلة التخصص والتّفرع والانشطار عن بعضها، فأرجع "عبد القاهر الجرجاني" اللّحمة فيما بين تلك

1- ينظر: نظرية النّظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللّغوية عند عبد القاهر الجرجاني، وليد محمد مراد، دار الفكر-سوريا، ط1، 1983م، ص: 54.

2- الأفق الحجاجي في نظرية النّظم، عمر بوقمرة، عالم الكتب الحديث-الأردن، ط1، 2017م، ص: 25.

العلوم، خاصة بين "النحو والبلاغة"، وبذلك أعاد الروح لعلم "النحو" الذي صار علما جافا يُعنى بالقوانين الظاهرة للإعراب.⁽¹⁾

فالنحو قبل "عبد القاهر الجرجاني" كان مقصورا على ضبط أواخر الكلم بالحركات الإعرابية المعروفة (الفتحة - الضمة - الكسرة)، والوقوف عند مواضع الصحة والفساد، حتى جاء "عبد القاهر الجرجاني" وأسس نظريته الشهيرة "نظرية النظم" والتي اتخذ فيها النحو ومعانيه كأساس لها، وكشف فيها عن فائدة النحو في فهم كتاب الله تعالى وبيان معانيه، وكشف عن النكت البلاغية والأسرار البيانية التي تنفتح من رحم البنية النحوية للتراكيب اللغوية، وهو بهذا العمل قد مزج بين علم النحو وعلم البلاغة في تحليله للظواهر اللغوية.

- ركز فيه صاحبه على الاتجاه التحليلي الفني الذي يقوم على تحليل النصوص وتذوقها، والوقوف على قيمها الجمالية.⁽²⁾

فكان "عبد القاهر الجرجاني" يورد الأمثلة والشواهد (قرآنية - شعرية) في تحليله لمباحث علم المعاني، ويعرض البدائل أو الأوجه التي يمكن أن يأتي عليها الكلام ويضع يده على الفروق بين تلك التعابير، ويستشعر موطن المزية والحسن في نظم تلك التراكيب.

- في كتاب "دلائل الإعجاز" نجد تحليلا فنيا بارعا لمباحث علم المعاني من خلال تذوق النصوص، واستنباط قيمها الجمالية، غير أنّ دراسته لهذه المباحث لم تكن تحت إطار مصطلح المعاني، بل كانت تتم في إطار شرح نظريته في النظم.⁽³⁾

كانت هذه بعض الخصائص والمميزات التي تجلت في مؤلف "عبد القاهر الجرجاني" الذي يعد من أبرز الدعائم التي اكتمل صرح البلاغة عليه، فسعى جاهدا بما أوتي من قوة وباع لغوي ليبيّن تارة ويبرهن تارة أخرى على أنّ بلاغة الكلام تكمن في

1- الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص: 25.

2- المصدر نفسه، ص: 25.

3- المصدر نفسه، ص: 25.

النظم، وقد توسع شرحا وتفسيرا لحدودها وأركانها مؤكدا على العلاقة الوطيدة بين النظم ومعاني النحو.

ب- موضوع المدونة:

يتكون عنوان مؤلف "عبد القاهر الجرجاني" من مركب إضافي، ومن يقرأ العنوان دون الولوج إلى عوالم النصوص التي بين دفتي الكتاب يتبادر إلى ذهنه أنّ المقصود به "تفسير الإعجاز القرآني".

ولا يظن "محمد بركات حمدي" أنّ "عبد القاهر الجرجاني" قد خالف بين عنوان الكتاب وما جاء فيه، وذلك لأنّ العنوان من شقين، الأول في "الدلائل" وهي العلامات والوسائل والبدايات والأسس والركائز، ثم إضافة "الدلائل" إلى "الإعجاز"، وهو إعجاز القرآن، ومعنى عنوان الكتاب أنّه في غير تفسير الإعجاز القرآني، وإنّما في وسائل هذا الإعجاز، وفي طرائق فهمه»⁽¹⁾.

وعليه «فإنّ عنوان الكتاب ينسجم تماما مع موضوعه الذي لا نجد فيه تفسيرا مباشرا للإعجاز، ولكنّه يقدّم الأدوات والوسائل والمنهج»⁽²⁾، والتي من جملتها العلم باللّغة وعلومها من نحو وصرف وبلاغة ونقد إضافة إلى العلم بالشعر.

ت- موضوعات المدونة:

استهل الإمام "عبد القاهر الجرجاني" كتابه بمدخل أفاض فيه الحديث عن معنى النظم، وفي الفرق بين "نظم الكلم" و"نظم الحروف"، وارتباط مزايا النظم ومحاسنه بالمواقع والأغراض، وأنّ النظم ترتيب معان مرتبطة بألفاظها، فكان يبيد ويعيد في قضية النظم

1- معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، محمد بركات حمدي، دار الفكر- الأردن، ط1، 1984م، ص: 17.

2- شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد إبراهيم شادي، دار اليقين- القاهرة-، ط2، 2013م، ص: 10.

حتى تتحدد معالمها، وتتضح أركانها وركائزها، وترسّخ في ذهن المخاطب، ثم بفاتحة أشاد فيها بمكانة العلم عامة، وعلم البيان على وجه الخصوص، موضحا أهميته.⁽¹⁾

وعرض "عبد القاهر الجرجاني" لآراء خصومه حول الشعر والنحو، وحاول الدفاع عنهما ودحض جلّ الشبهات المثارة حولهما ببيان فضلها وأهميتها لدارس القرآن الكريم، والمتذوق لكل أجناس الكلام.⁽²⁾

كما تطرق شيخ البلاغة "عبد القاهر الجرجاني" إلى المصطلحات التي تدور في إطار النظم والتأليف والصياغة، وهي "الفصاحة" و"البلاغة" و"البيان" و"البراعة" والتي أثارت جدلا في استخدامها بين العلماء.⁽³⁾

وناقش أيضا الخطأ الذي وقع فيه السابقون أنهم أطلقوا "الفصاحة" و"البلاغة" على الألفاظ، وبيّن أنّ "الفصاحة" و"البلاغة" لا ترجعان إلى الكلمة المفردة (اللفظ) وإنما إلى الكلام المنظوم فقال: «...فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرًا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضمّ كلمة وبناء لفظة على لفظة... وهل يقع في وهم، وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أدق، وامتزاجها أحسن، ومما يكّد اللسان أبعد؟».⁽⁴⁾

ومضى "عبد القاهر الجرجاني" يتحدث عن العناصر المكونة للنظم "كالتقديم والتأخير"، و"الحذف والذكر"، و"الفصل والوصل"، و"التعريف والتكبير"، وتعدد

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد إبراهيم شادي، ص: 12-13.

2- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، (دت)، ص: 18، 30.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 38، 41.

4- المصدر نفسه، ص: 38-39.

صياغات الخبر وما يترتب عنه من فروق، وأسرار "إنّما" والفرق بينها وبين أساليب أخرى تفيد الحصر، وكان بين الحين والآخر يُذكرنا بالنّظم وأتته المقصود بكل هذه الأبواب، ثم انتقل "عبد القاهر الجرجاني" إلى تحرير القول في الإعجاز باعتباره المقصود الأعظم من تأليفه للدلائل⁽¹⁾، حيث نفى جملة من وجوه الإعجاز التي ذكرها سابقوه، وبَيّن الوجه الذي يراه مناسباً أن يوصفَ به كتاب الله العزيز من بدايته إلى نهايته فجعل النّظم مناط الإعجاز.

و لقد كان لبعض موضوعات "علم البيان" كالكناية و"الاستعارة" و"التشبيه" و"المجاز" حظ أوفر من الدّراسة والبحث في مؤلّف "عبد القاهر الجرجاني"، فقد ترددت هذه الألوان مرة بعد مرة في مواضع مختلفة في الكتاب.⁽²⁾

وشملت مدونة البحث حديثاً عن قضية "اللفظ والمعنى"، وهي أكبر «مشكلة موهلة في تاريخ الدراسات البلاغية والنقدية...، والتي شغلت الأقدمين منذ القرن الثالث الهجري، ولعل تاريخ هذه القضية يبدأ أساساً بعد نزول القرآن ودهشة العرب في تفسير أسباب إعجازه، إضافة إلى نشاط الحركة العقلية والترجمات التي رافقت الفكر العربي في ظل الاحتكاك بالثقافات الأجنبية وبخاصة الفلسفة اليونانية. حينئذ بدأ التفكير في الألفاظ منفصلة عن المعنى، أو في المعنى مجرداً من اللفظ ثم وضّح هذا الانفصال عندما ظهر المتكلمون واشتد النزاع حول حقيقة الإعجاز».⁽³⁾

فقد احتدم الجدل حول هذه القضية النقدية إلى أن وصل عند "عبد القاهر الجرجاني"، فكانت له نظرتة الخاصة حول هذه المسألة؛ فرفض أن يكون "اللفظ" أهم مقوّم للعمل الأدبي، وأقوى دعامة للحكم على جودته.

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد إبراهيم شادي، ص: 12-13.

2- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 51، 59/251، 270/286، 291/293.

3- قضية اللفظ والمعنى في الميزان الجرجاني، عبود خليفة، مجلة حوليات كلية الآداب واللغات لجامعة طاهري محمد (بشار)، ديسمبر 2015، العدد 15، ص: 151.

وفي مقابل ذلك هناك من النقاد والبلاغيين من أسرفوا في إعلاء شأن "المعنى" وجعلوا المزيّة له وحده، وقد تصدى "عبد القاهر الجرجاني" إلى زعم شبه هؤلاء، وانطلق "عبد القاهر الجرجاني" في بناء نظريته في البلاغة بفكرة عدم الفصل بين "اللفظ والمعنى"، فمدار المزيّة والشرف عنده لا يرجع إلى الألفاظ المجردة، ولا إلى المعاني العامة، وإنما يرجع إلى النّظم وحسن الصياغة، والذي يتأتى من اتّصال كل من "اللفظ والمعنى" لا انفصاليهما، «فالمتكلم ينظم أفكاره، ويرتبها في ذهنه، وينسقها أولاً في نفسه، ثم يأتي دور الألفاظ في النطق أو الكتابة، فيكون ترتيب تلك الألفاظ، على حسب ترتيب الأفكار في الذهن، وتنسيقها في العقل، فاللفظ يتبع المعنى في النّظم، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس، ومقدّماً على غيره، وجب أن يكون اللفظ الدال عليه أولاً وقبل غيره من الألفاظ، وبقدر ما يكون ترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعاني في النفس، تكون البراعة، ويكون الحسن، فالمتكلم البليغ، والأديب الجيد، هو الذي يستطيع أن يرتّب ألفاظه، ويصوغ عباراته، وفق ترتيب المعاني والأفكار التي تكوّنت في ذهنه، ووضحت في عقله».⁽¹⁾

و لما كان البحث عن مزايا النّظم، والخصائص التي ينفرد بها أسلوب عن أسلوب، وكذلك الوسائل المعرفية والأدوات التي نستعين بها لتفحص محتوى النصوص، والكشف بواسطتها عن خباياها تعرض "عبد القاهر الجرجاني" إلى ثنائية "الذوق والمعرفة".⁽²⁾

أما بالنسبة إلى المنهج المتّبع في الكتاب، وكذا تقسيمه للمادة العلميّة «فقد سار "عبد القاهر الجرجاني" على نهج سابقه من حيث عدم التقيّد بموضوع واحد، فهو جامع بين مواضيع شتى إلا أنّها تسير في اتجاه واحد هو النقد والبلاغة والنحو، وقام بتقسيم المادة

1- دراسات بلاغية، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار-دار المعالم الثقافية، القاهرة-المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م، ص: 45.

2- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 190.

إلى فصول أو أبواب وكل فصل معنون بالمادة اللغوية مباشرة، ويقوم بتقديم الفكرة فيشرحها حيناً ويبرهن على صحتها حيناً، ويرد على الشبه⁽¹⁾.

وما عيب على "عبد القاهر الجرجاني" أنه لم يعتمد على منهج واضح من حيث ترتيب الأفكار وعرضها، فكانت السمة البارزة في الكتاب هي "الاستطراد" قال أحمد أحمد بدوي: «و لذلك يبدو في كتاب "الدلائل" التكرير، وعدم تركيز الأفكار، وعدم التقسيم المحكم للأبواب غالباً، وإنما هي أفكار تَرِدُ فَيُسَجَّلُها، وربما يكون قد سبق له شرح بعض هذه الأفكار، أو شرح مثل لها، وكان ينبغي ضم اللاحق إلى سابقه، أو زيادة في شرح ما سبق له أن شرحه»⁽²⁾، وقال محمد عبد المنعم خفاجي: «و "عبد القاهر الجرجاني" عالم لا مؤلف، وحسبك أن كتابه "الدلائل" صورة مشوهة للتأليف فهو لا يعرف أن يكتب الفكرة في صفحات مستقلة وإنما هو يُعِدُّ ويأتي من ههنا وههنا ويُكرِّر التكرير حتى يخرج إلى الهدر ويذكر جزءاً من الفكرة هنا وجزءها الآخر هناك»⁽³⁾.

وقد جند "عبد القاهر الجرجاني" مختلف الوسائل لبلوغ غايته وتحقيق مساعيه «من عرض النصوص، وتحليلها، والجدل العقلي، والمنطق السليم، مظهرها التأثير النفسي في ذلك كله، جامعا لنزعتين؛ الأولى علمية، والثانية أدبية، لعل الأولى تجلّت في تنفيذ الآراء ومناقشتها، وتجلّت الثانية في عدم إغفال روح الفن والإبداع»⁽⁴⁾.

وما يُلفت الانتباه أنّ "عبد القاهر الجرجاني" في معالجة قضاياها لم يتخذ "القرآن الكريم" كأساس أول لبيان البلاغة والإعجاز كما كان منتظرا عند قراءة عنوان الكتاب،

-
- 1- دراسة وصفية لكتاب دلائل الإعجاز، إكرام ملياني، مجلة أبحاث (العراق)، ديسمبر 2018، العدد 06، ص: 68.
 - 2- عبد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي، مكتبة مصر للطباعة - القاهرة-، (دط)، (دت)، ص: 298.
 - 3- عبد القاهر والبلاغة العربية، الخفاجي محمد عبد المنعم، مكتبة مصر - القاهرة-، (دط)، 1952م، ص: 59
نقلا عن: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، ص: 35.
 - 4- قراءة في منهجية عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، ناريمان عبد القادر يوسف، مجلة رؤى فكرية - مخبر الدراسات اللغوية والأدبية (سوق أهراس)، أوت 2018، العدد 08، ص: 177.

بل كان يقف في الغالب عند الاستشهاد بالأبيات الشعريّة لبيان وتفسير فكرته، وتدعيم قضيته، وإقناع خصمه بآرائه.⁽¹⁾

ومن الملاحظ أيضاً أنّ "عبد القاهر الجرجاني" لم يُوظف النثر المأثور كآلية لاستنباط قوانين البلاغة العربية، بل كان يعتمد إلى استخدام الجمل العادية على نحو: "انطلق زيدٌ"، و"ضربتُ زيداً"، و"قتلَ الخارجي زيدٌ" وغيرها من الجمل والتراكيب العادية ليشرح أو يُطبق عليها ما يريد، ولعل خطته تلك ناشئة من إيمانه من كون البلاغة العربية المؤثرة تبرز في الشعر، وأنّ "الشعر" هو الصورة الكاملة للبلاغة العربية، لذا اتخذ مصدرها أساسياً لفنون هذه البلاغة.⁽²⁾

ث- هدف المدونة:

لقد كان هدف "عبد القاهر الجرجاني" من تأليفه لـ "دلائل الإعجاز" بيان أنّ بلاغة الكلام تكون في "النظم"، وأنّ "القرآن الكريم" غير معجز لا بألفاظه المفردة، ولا بمعانيه وحدها، وإنما إعجازه يتمثل في نظمه وصياغته اللغوية البديعة التي عجز الناس عن الإتيان بمثله.⁽³⁾

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي، ص: 53، 55.

2- ينظر: دراسة وصفية لكتاب دلائل الإعجاز، إكرام ملياني، ص: 69-70.

3- ينظر: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية، وليد محمد مراد، ص: 54.

ثانياً: التعريف بصاحب المدونة:

أ- مولده ونسبه.

ب- نشأته وتعلمه.

ت- تصدده للتدريس.

ث- شيوخه.

ج- تلاميذه.

ح- ثقافته ومصدرها.

خ- نبوغه.

د- رأي العلماء فيه.

ذ- شعره.

ر- مؤلفاته.

ز- وفاته.

ثانيا - التعريف بصاحب المدونة:

حظي "علم البلاغة" من بين فنون اللغة العربية بمنزلة رفيعة ومكانة مرموقة وقدر عظيم، كيف لا وقد نشأ وترعرع في أحضان الدراسات القرآنية الإعجازية، قال "عبد القاهر الجرجاني" منوها بفضل هذا العلم: «ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأبسق^(*) فرعا، وأحلى جنى، وأعذب وزدا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا من علم البيان، الذي لولاه لم تر لسانا يحكوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدرر، وينفث السحر، ويثري^(*) الشهد^(*)، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الخلو اليناع من الثمر، والذي لولا تحقيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إيّاها، لبقيت كامنة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر^(*) صورة، ولا استمر السرا^(*) بأهلتها، واستولى الخفاء على مجلتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء».⁽¹⁾

ولقد مر "علم البلاغة" في مسيرته التاريخية بمراحل مختلفة، فكان في نشأته الأولى عبارة عن أفكار وملاحظات ماثوثة في ثنايا مؤلفات العلوم الأخرى، ثم ما انفكت تلك الإشارات واللفترات تنمو وتنضج إلى أن بلغت أوج ازدهارها وأخذت بيد هذا العلم إلى منحى الاستقرار والتفرد فاتضحت معالمه، واستقرت قواعده، وأصبح علما مستقلا بذاته،

* - بسق النخل بسوقاً أي طال، ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ص: 15.

* - يجمعه، ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد، تعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي-القاهرة-، (دط)، (دت)، ص: 06.

* - وهو العسل مادام لم يعصر من شمعته واحده شاهدة، ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ص: 15.

* - وهي الأبد وقولهم: لا أفعله يد الدهر أي: أبدا، ينظر: المصدر نفسه، ص: 15.

* - اختفاء القمر في آخر ليلة في الشهر، والتركيب صورة مستعارة هنا لاختفاء الفكر النير-لولا ظهوره بواسطة البيان، ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 62.

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ص: 15.

وقد مثل كل مرحلة من هذه المراحل ثلثة من العلماء الذين أسهموا بمؤلفاتهم في تأسيس هذا العلم والنهوض به.

و"عبد القاهر الجرجاني" كان من أبرز العلماء الذين كان لهم أثر كبير في البلاغة العربية ، لذا كان لابد من إلقاء نظرة سريعة موجزة حول هذه الشخصية اللامعة.
أ-مولده ونسبه:

هو "أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني"، "شافعي" المذهب، متكلم على طريقة "الأشاعرة"، "فارسي" الأصل "جرجاني" الدار⁽¹⁾، لم يذكر المؤرخون والمترجمون لسيرته الذاتية تاريخ وسنة مولده، ولم يتحدثوا عن عمره.

ولكن، رجّح "عبد العاطي غريب علي علام مقبول" أنّ يكون "عبد القاهر الجرجاني" قد وُلد عام "أربعمائة للهجرة"، حيث قال: « ولأنّ ما ذكره المترجمون له أنّه تتلمذ على أستاذ واحد هو الإمام النحوي "أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث"، وهو ابن أخت "أبي علي الفارسي"، وقد توفّي هذا الأخير سنة (421هـ)، وإذا كان "عبد القاهر الجرجاني" قد تألق نجمه في سماء كثير من العلوم والفنون وتلقى هذه وتلك من معين أستاذه "أبي الحسين" بعد أن أقام في "جرجان"، وإذا كان الجميع يعترف بتوقد ذهن الجرجاني واشتعال جذوته، وبأنّه لم يستطع الإحاطة بتلك المواد حتى

1- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، تحقيق: محمود محمد الطنحاني، عبد الفتاح محمد الحلوة، دار إحياء الكتب العربية(دم)، ط1، (دت)، ج:05، ص:149، إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي -مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة-بيروت-، ط1، 1986م، ج:02، ص:188، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري جمال الدين يوسف أبو الحسن، وزارة الثقافة -مصر-، (دط)، (دت)، ج:05، ص:108.

تكون سنة على الأقل فوق العشرين كان معنى ذلك أنّه ولد حوالي سنة (400هـ) وأتته عاش حوالي إحدى وسبعين سنة أو أربع وسبعين سنة؛ لأنّه اختلف في سنة وفاته». (1)

وترجيح "عبد العاطي غريب علي علام مقبول"، «يمكن أن يُعترض عليه بأنّه إذا كان "عبد القاهر الجرجاني" وُلد سنة (400هـ) وأنّه من الصّعب الإحاطة بتلك العلوم التي أتقنها "عبد القاهر الجرجاني" دون العشرين، معنى هذا أنّ الجرجاني لم يتلمذ إلاّ سنة واحدة وعلى يد شيخ واحد، وهذا الشيخ لم يشتهر إلاّ بقربته من خاله "أبي علي الفارسي"». (2)

والعصر الذي ولد وعاش فيه "عبد القاهر الجرجاني" هو «من أرقى العصور الحضاريّة في مسيرة الحضارة الإسلاميّة العربيّة، حيث ازدهرت فيه العلوم في شتى الميادين، ونضج العلم والتأليف ونشط فيها الإبداع في "النحو" و"الصّرف" و"البلاغة"». (3)

ب- نشأته وتعلّمه:

نشأ "عبد القاهر الجرجاني" في مدينة "جرجان" وهي: «مدينة مشهورة عظيمة تقع بين "طبرستان" و"خرسان"، فبعض يعدّها من هذه وبعض يعدّها من هذه، وقيل: إنّ أوّل من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء». (4)

وقد عُرفت هذه المدينة بجمالها وبشروعها النباتية، وطيب أخلاق أهلها؛ يقول "الحموي": «ولجرجان مياه كثيرة وضياح عريضة وليس بالمشرق بعد أنّ تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حُسنا من "جرجان" على مقدارها، وذلك أنّ بها الثلج والنّخل... وأهلها

1- البلاغة العربية بين الناقدین الخالدين عبد القاهر الجرجاني، ابن سنان الخفاجي، عبد العاطي غريب علي علام، دار الجيل-بيروت، ط1، 1993م، ص: 28-29.

2- الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عمر بوقمرة، ص: 04.

3- دراسة وصفية لكتاب دلائل الإعجاز، إكرام ملياني، ص: 65.

4- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر-بيروت، (دط)، (دت)، مج: 02، ص: 119.

يأخذون أنفسهم بالتآني والأخلاق المحمودة؛ قال: وقد خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسّخاء، منهم: البرمكي صاحب المأمون»⁽¹⁾.

أما عن رحلته العلمية، فعبد القاهر الجرجاني لم يغادر بلده "جرجان" لطلب العلم وتحصيله، بل ظل مقيماً فيها.⁽²⁾

ويمكن أن تكون هناك أسباب جعلت "عبد القاهر الجرجاني" لا يبرح موطنه للرحلة في طلب العلم منها:⁽³⁾

-وفرة العلماء في بلده "جرجان" التي كانت حاضرة لشتى العلوم والفنون والثقافات المختلفة، مما أغناه عن الرحلة.

- الأوضاع السياسية السائدة آنذاك، حيث تعاقب على الحكم ممالك أسسوا دويلات مثل "الدولة الزيارية"، ثم "الغزنوية" ثم "السلجوقية"، وكان التنافر قائماً على أشده بين الممالك والأسر الحاكمة، مما أدى إلى التوتر السياسي، وانعدام التواصل بين الأقاليم المتجاورة.

- ولا يبعد أيضاً أن يقع حيف السلاطين على العلماء، فيمنعهم من الرحلة خارج البلاد، إما رغبة فيهم لتوطين ملكهم، أو رهبة منهم خاصة وأنّ الفرق الإسلامية كانت في أوج صراعاتها، وما قصة الإمام أحمد -رحمه الله- وغيره من العلماء مع المأمون في عهد المعتزلة عنه ببعيد.

- وربما كان تعدد مصادر الثقافة من بين هذه الأسباب، أي أنه عَرَف كيف يوظف ثقافته النحوية في نظره إلى البلاغة والمعاني، واستفاد من معرفته بلغات أخرى غير

1- معجم البلدان، ياقوت الحموي، مج:02، ص: 119-120.

2- ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي (د م)، ط1، 1965م، مج:02، ص: 106.

3- الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عمر بوقمرة، ص: 06.

العربية، كالفارسية، والتركية، وربما حتى الهندية في تعمق ظاهرة اللّغة ووضع نظريته في علم المعاني والبيان.

ت- تصدره للتدريس:

وبعد أن أتمّ "عبد القاهر الجرجاني" تعلّمه وأتقن بعض العلوم، تصدر للتدريس في "جرجان"، وذاع صيته في الآفاق، وقصده طلبة العلم من كل حذب وصبوب يقرئون عليه كتبه، ويأخذون عنه، وظل مقيما في مسقط رأسه، يفيد الراحلين إليه، والوافدين عليه.⁽¹⁾

ث- شيوخه:

أجمع كل من أَرخ أو ترجمَ للإمام "عبد القاهر الجرجاني" أنه أخذ علمه الزاخر على يد الشيخ "أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث النحوي الفارسي" المتوفى سنة (377هـ) ابن أخت الشيخ "أبي علي الفارسي"⁽²⁾، وهو العالم «المشهور والمقصود من جميع الجهات، من أعظم الأساتذة الذين تتقّف على أيديهم، أخذ "عبد القاهر الجرجاني" عنه علم النحو، ولم يأخذه عن أحد سواه، عكف على دروسه وأخذ عنه جلّ علمه، درس عنده كتاب "الإيضاح" "لأبي علي الفارسي"، وقد عني "عبد القاهر الجرجاني" بهذا الكتاب عناية كبيرة، فوضع عليه شروحا كبيرة في "ثلاثين مجلدا" سمّاه "المغني"، ثم اختصر هذا الشرح في ثلاثة مجلدات بكتاب سماه "المقتصد"⁽³⁾.

1- ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ج:02، ص:188-189.

2- ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة-، (دط)، 1998م، ص:314، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللّغويين، اليماني عبد الباقي بن عبد المجيد، تحقيق: عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية السعودية - الرياض-، ط1، 1986م، ص:188، الوافي بالوفيات، الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي-بيروت-ط1، 2000م، ج:19، ص:34، إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ج:02، ص:188.

3- نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللّغوية عند عبد القاهر الجرجاني، وليد محمد مراد، ص:48.

وهناك من أهل السير والتراجم من يذكر شيخًا آخر "عبد القاهر الجرجاني"، وهو "أبو الحسن بن عبد العزيز بن الحسين بن علي بن اسماعيل الجرجاني"⁽¹⁾، وقد «اغترف "عبد القاهر الجرجاني من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخّج به وشمّخ بأنفه بالانتماء إليه، توفي بالري سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة».⁽²⁾

ج- تلاميذه:

تتلمذ على يد "عبد القاهر الجرجاني" مجموعة من العلماء نذكر منهم:

- 1- أحمد بن عبد الله المها باذي: لم تذكر التراجم عن هذا العالم سوى أنّه نحوي وله كتاب "شرح اللّمع لابن جنّي" ولم تزد على ذلك.⁽³⁾
- 2- أبو الحسن علي بن أبي زيد بن محمد بن علي الفصيح: هو «من أهل "أستر باذ"، بلدة من أطراف "خراسان"، قرأ النحو على "عبد القاهر الجرجاني"، وبرع فيه حتى صار من أعرف أهل زمانه توفي ببغداد سنة ست عشرة وخمسمائة».⁽⁴⁾
- 3- أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الأبيوردي: أحد قراء "أبيورد"، أديب ولغوي وشاعر، أخذ العربية عن "عبد القاهر الجرجاني"، وكان في العربية والعلوم الأدبية نسابة ليس مثله، متكبرا عظيما وكان حسن السيرة جميل الأمر منظرا من

1- ينظر: تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: عبد الحلّيم النجار، دار المعارف-القاهرة-، ط5، (دت)، ج: 05، ص: 199.

2- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت-ط1، 1993م، ج: 04، ص: 1796، 1797.

3- ينظر: معجم المؤلفين (تراجم مصنفى الكتب العربية)، كحالة عمر رضا، مؤسسة الرسالة (دم)، (دط)، (دت)، ج: 01، ص: 187، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج: 01، ص: 357، بغية الوعاة، السيوطي، مج: 01، ص: 320.

4- أنباه الرواة على أنباه النحاة، الففطي، ج: 02، ص: 306-307.

الرجال، وله تصانيف كثيرة منها: "تاريخ أبيورد"، و"المختلف والمؤتلف"، و"نهرة الحافظ"، توفي سنة (507هـ).⁽¹⁾

ح- ثقافة عبد القاهر الجرجاني ومصدرها:

إنّ المستقرئ لمؤلفات "عبد القاهر الجرجاني" يدرك أنّ الرجل قد أحاط بجملة من العلوم كان "النحو" في طليعتها فقد أخذه عن الشيخ "أبي الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث النحوي الفارسي" ابن أخت الشيخ "أبي علي الفارسي" والذي اتّخذ محورا أساسيا في "نظرية النّظم"⁽²⁾، إضافة إلى علوم أخرى قد نهل منها فقد «استعان في دراسته البلاغية بما كتب في النقد والبلاغة والإعجاز قبله. يمدّه بالجديد فيها ذوق مثقف، وحس لغوي دقيق، وقد قرأ الكثير من دواوين الشعراء، وعكف على التراث الثقافي قبله، وهضمه وتمثّله، وانعكس ذلك واضحا على ما كتبه، فمن قرأ لهم في النحو واللغة ورد ذكرهم في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز": الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، الزجاج، وأبو علي الفارسي وغيرهم، وممن قرأ لهم في الأدب والبلاغة والنقد: الجاحظ، وابن قتيبة، والقاضي الجرجاني والآمدي وغيرهم».⁽³⁾

ومن بين العوامل التي ساعدت الرجل أن يبلغ هذه المرتبة الرفيعة «تنوعه الثقافي واللغوي فاتقانه للغة الفارسية - وهي لغته - إضافة إلى التركية، جعله يطلع على ثقافة الآخرين دون واسطة، وهذا لا يعني أنّ ثقافته غير عربية بل هي ثقافة عربية إسلامية خالصة».⁽⁴⁾

-
- 1- ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج:05، ص: 2361، 2365، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج:03، ص:47، إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ج:03، ص: 49، 51.
 - 2- ينظر: البلاغة العربية بين الناقد الخالدين، عبد العاطي غريب علي علام، ص:30.
 - 3- المصدر نفسه، ص: 30-31.
 - 4- الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص:15.

وكان من فضل الله سبحانه وتعالى أن أمدَّ "عبد القاهر الجرجاني" « قريحة وقادة، وعقل فياض، وقلم سيال، وفكر غواص على دقائق المعاني التي خُفيت على غيره الأحقاب الطوال»⁽¹⁾.

خ- نبوغه:

برز "عبد القاهر الجرجاني" في "اللغة" و"النحو" و"الأدب" حتى عُدَّ من الأئمة في ذلك، وقيل إنَّه مؤسس علم البيان وواضع أصول البلاغة، ونظريتي علمي المعاني والبيان⁽²⁾.

د- رأي العلماء فيه:

أثنى كثير من العلماء الذين ترجموا لعبد القاهر الجرجاني عليه، فهذه شهادة من معاصره "الباخرزي" (ت 467هـ) والتي قال فيها: «اتفقت على إمامته الألسنة وتحمّلت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة...، فهو فرد في علمه الغزير لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير...»⁽³⁾.

وقد أشاد "السكاكي" (ت 626هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" بفضل "عبد القاهر الجرجاني" فقال في معرض حديثه عن "الاستعارة": «ومدار ترديد الإمام "عبد القاهر الجرجاني"، قدّس الله روحه، لهذا النوع بين اللغوي تارة، وبين العقلي أخرى على هذين

1- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، المراغي أحمد مصطفى، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده- مصر-، ط1، 1950م، ص:100.

2- ينظر: البلاغة العربية بين الناقدین الخالدين، عبد العاطي غريب علي علاّم، ص:28، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص:314، تاريخ آداب اللّغة العربية، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي-القاهرة-، (دط)، 2012م، ص:834، نظرية النّظم أصولها وتطبيقاتها، مسعود بودوخة، مركز الكتاب الأكاديمي-عمان-، ط1، 2018م، ص:36، نظرية النّظم تاريخ وتطور، حاتم الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام(دم)، (دط)، 1979م، ص:25.

3- دمية القصر وعصرة أهل العصر، الباخرزي علي أبو الحسن بن الحسن، المطبعة العلمية -سوريا-، ط1، 1930م، ص:108.

الوجهين، جزاه الله أفضل الجزاء، فهو الذي لا يزال ينور القلوب في مستودعات لطائف نظره، لا يألوا تعليماً، وإرشاداً»⁽¹⁾.

ولقد كان لعبد القاهر الجرجاني أثر كبير، ومكانة عظيمة في تاريخ البلاغة العربية، حيث خطا بها خطوات مازال الزمان يمثل لإبداعه وإنتاجه فيها، «فهي لم تكن قبله إلا أفكاراً متناثرة، وعبارات مفرقة، ومعلومات متداخلة، بل ربما كان يتخللها شيء من الخطأ، ولكنه لم يكد يضع كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" حتى أزاح عن البلاغة ما كان يكتنفها من لبس وغموض، وبذل في ذلك جهوداً جبارة حتى استطاع في النهاية أن يضع لنا أسس علم المعاني، وعلم البيان»⁽²⁾.

ويؤكد ذلك ما قاله "العلوي" (ت 749هـ) صاحب "الطراز في علوم حقائق الإعجاز" في فاتحة كتابه: «و أول من أسس لهذا العلم قواعده، وأوضح براهينه وأظهر فوائده، ورتب أفانيه، الشيخ العالم التحرير علم المحققين "عبد القاهر الجرجاني"، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد، وهد من سُور المشكلات بالتسوير المشيد، وفتح أزهاره من أكامها، وفتح أزواره بعد استغلاقتها واستبهاها. فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والجزاء»⁽³⁾.

وكذلك ما قاله "الفخر الرازي" (ت 606هـ) في صدر كتابه: «وفق الله تعالى الإمام مجد الإسلام "أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن النحوي الجرجاني" تغمده الله برحمته وأفاض عليه عيون مغفرته، حتى استخرج أصول هذا العلم وقوانينه ورتب حججه وبراهينه وبالغ في الكشف عن حقائقه والفحص عن لطائفه ودقائقه وصنّف في ذلك

1- مفتاح العلوم، السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت -، ط1، 1983م، ص: 371.

2- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب-القاهرة-، (د ط)، 1998م، ص: 416.

3- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية - بيروت -، ط1، 2002م، ج: 01، ص: 06.

كتابين لُقّب أحدهما "بدلائل الإعجاز" وثانيهما "بأسرار البلاغة" وجمع فيهما من القواعد الغربية والحقائق العجيبة والوجوه العقلية والشواهد الثقلية واللطائف الأدبية والمباحث العربية ما لا يوجد في كلام من قبله من المتقدمين ولم يصل إليها غيره أحد من العلماء الراسخين»⁽¹⁾.

ولقد أثنى "محمد مندور" في مؤلفه "النقد المنهجي عند العرب" على العمل الجبار الذي قام به "عبد القاهر الجرجاني" فقال: «وفي الحق إنّ "عبد القاهر الجرجاني" قد اهتمدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعقريّة لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كوّن مبادئه في إدراك "دلائل الإعجاز"، مذهب "عبد القاهر الجرجاني" هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللّغة في أوروبا... ونحن لا يهمنا الآن عن هذا المذهب إلاّ طريقة استخدامه كأس لمنهج لغوي في نقد النصوص. لقد فطن عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ اللّغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات»⁽²⁾.

وذهب "سيد قطب" إلى القول بأنّ "عبد القاهر الجرجاني" كاد أن يصل إلى أمر عظيم وهو "التصوير الفني"، لولا أن صرف اهتمامه في بحث قضية "اللفظ والمعنى" «رجل واحد من الباحثين في البلاغة والإعجاز سابق للزمخشري الذي ذكرناه هناك، بلغ غاية التوفيق المقدر لباحث في عصره، هو عبد القاهر الجرجاني. فلقد أوشك أن يصل إلى شيء في كتابه "دلائل الإعجاز"، لولا أنّ قصة "المعاني والألفاظ" ظلت تخايل له من أوّل الكتاب إلى آخره، فصرفته عن كثير مما كان وشيكا أن يصل إليه؛ لكنّه على الرغم من

1- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، تحقيق: نصر الله حاجي، دار صادر-بيروت، ط1، 2004م، ص: 24-25.

2- النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر-القاهرة، (دط)، (دت)، ص: 333-334.

ذلك كله كان أنفذ حسا من كل من كتبوا في هذا الباب على وجه العموم، حتى العصر الحديث»⁽¹⁾.

ذ- شعره:

لعبد القاهر الجرجاني شعر حفظته كتب التراجم ؛ كأبياته التي أنشأها في مدح وزير السلاجقة " نظام الملك الحسن بن إسحاق"، والتي قال فيها:⁽²⁾

لَوْ جَاوَدَ الْغَيْثُ غَدَا	بِالْجُودِ مِنْهُ أَجْدَرَا
أَوْ قَيْسَ عَزْفَ عُرْفِهِ	بِالْمِسْكِ كَانِ أَعْطَرَا
دُو شَيْمٍ لَوْ أَنْهَاهَا	فِي الْمَاءِ مَا تَغَيَّرَا
لَوْ مَسَّ عُودًا يَابِسًا	أَوْرَقًا، ثُمَّ أَنْثَرَا

و"عبد القاهر الجرجاني" «كان يرى أنّ النَّاسَ لا يصعدون إلى المناصب التي تكفل لهم رغد العيش إلاّ على حساب العزّة والأنفة؛ فيسخط»⁽³⁾ فيقول:⁽⁴⁾

هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ سِوَى	النَّدَالِةِ وَالْجَهَالِةِ
لَمْ يَرْقَ فِيهِ صَاعِدٌ	إِلَّا وَسُـلِّمَهُ النَّدَالِةُ

فهذان البيتان اللذان أنشدهما "عبد القاهر الجرجاني" يبرزان في نظره مميزات حياة ذلك العصر، فهي مليئة بالجهالة والندالة، وعدم تقدير العلم والعلماء والحفاوة بهما، وتدل

1- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق - القاهرة -، ط10، 1988م، ص: 30-31.

2- إنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي، ج: 02، ص: 189.

3- عابد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي، ص: 09.

4- دمية القصر، الباخري، ص: 108.

أيضا على عفة النفس وترفعها وسموها، فهي لا ترتضي بلوغ المراتب العليا بغير طريق الشرف، وهي فلسفة متشائمة تدل على ضيق الشيخ، وتبرمه من ذلك الزمن.⁽¹⁾

وكان "عبد القاهر الجرجاني" «لا يرضيه أن يغيّر من طبيعته، أو أن يُذل نفسه بتقيل أيدي قوم يراهم كلابا حينا، وترابا حينا آخر؛ وهو لذلك يكره التّفاق، ويُعلن في صراحة أنّه لن يغيّر من نفسه شيئا»⁽²⁾، فقال:⁽³⁾

خَلَعَ النَّاسُ إِهَابَا	وَتَبَدَّوْا فِي إِهَابِ
وَأَرَى نَفْسِي تَأْبَى	غَيْرَ مَا كَانَ ثِيَابِي
لَيْسَ مِنْ خِيَمِ الْكَرِيمِ الْخِيَمِ	وَالْمَحْضُ اللَّبَابِ
لَيْسَ بِالْأَقْبَالِ مَا نَيْلُ	بِتَقْيِيلِ الْكِلَابِ
إِنْ بَاغِيَ الرَّبْحَ وَالْخُسْرَانَ	فِي بَابِ وَبَابِ
تَاجِرٌ غَيْرَ بَصِيرِ	بِمَقَادِيرِ الْحَسَابِ

فهذه الأبيات التي جادت بها قريحة "عبد القاهر الجرجاني" تُظهر موقفه من الحياة في ذلك الزمان فهو يبنذ النفاق الذي يورث الذل والمهانة، ولا يقبل أن يغيّر من نفسه ويتقمص شخصية أخرى تتوارى خلف مبادئه الأصلية .

ومن هذه الأبيات أيضا قوله:⁽⁴⁾

كَبَّرَ عَلَى الْعِلْمِ لَا تَرْمِهِ	وَمَلَّ إِلَى الْجَهْلِ مَيْلَ هَائِمِ
وَعِشْ حِمَارًا، تَعِشْ سَعِيدًا	فَالسَّعْدُ فِي طَالِعِ الْبَهَائِمِ

1- ينظر: الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز - توثيق وتحليل ونقد-، نجاح أحمد عبد الكريم الظهار، أطروحة دكتوراه (منشورة)، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية-، 1987-1988م، ج:01، ص:11.

2- عبد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي، ص: 09.

3- دمية القصر، الباخري، ص:109.

4- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج:05، ص:150.

يتوجه الشاعر في هذين البيتين بسخطه على الحياة في ذلك الزمن التي تحط من قدر العلم ولا تأبه بالعلماء، وترفع من شأن الجهلاء.
وله في الحكمة: (1)

وَمَا لَكَ مَطْمَعٍ فِي الْمَرْءِ إِلَّا إِذَا مَا أَنْكَرَ الْأَمْرَ الْقَبِيحَا
فَأَمَّا وَهُوَ يَجْهَلُ بَيْنَ قَبْحِ وَبَيْنَ الْحَسَنِ فُرْقَانًا صَحِيحَا
فَإِنَّكَ فِي رَجَاءِ الْخَيْرِ مِنْهُ بِأَجْوَاذِ الْفَلَاةِ تَكِيلُ رِيحَا

وقد نظم "عبد القاهر الجرجاني" في مقدمة كتابه "دلائل الإعجاز" أبياتا من الشعر وهي في "ثلاثة وعشرين" بيتا، ضمّن فيها حقيقة "النّظم" التي عرضها بإسهاب في كتابه، وربطها كلياً بمعاني النّحو وأحكامه، وهذا النوع من الشعر يصنّف في خانة الشعر التعليمي الحكمي (2)، كقوله: (3)

فَمَا لِنَظْمِ كَلَامٍ أَنْتَ نَاظِمُهُ مَعْنَى سِوَى حُكْمِ إِعْرَابِ تُزْجِيهِ
اسْمٌ يُرَى وَهُوَ أَصْلٌ لِلْكَلامِ، فَمَا يَتَمُّ مِنْ دُونِهِ قَصْدٌ لِمُنْشِيهِ
وَأَخْرَهُوَ يُعْطِيكَ الزِّيَادَةَ فِي مَا أَنْتَ تُشِئُهُ أَوْ أَنْتَ تَنْفِيهِ

ففي هائيته هذه التي استهل بها مؤلفه «مزج النّظم بالشعر، فهو ناظم عندما أوجز فكرته في سر الإعجاز، وأنه ينبثق عن النّظم، وهو شاعر عندما يتحدى الخصم، أو يطلب منه أن يصغي إلى شرحه وبيانه». (4)

هذا كل ما تركه لنا "عبد القاهر الجرجاني" من شعر، والذي عبّر فيه عن بعض ما يحتدم في صدره من عاطفة أو انفعال، فصوّر أحوال بيئته ومجتمعها وما كان سائداً في

1- دمية القصر، البخارزي، ص: 109.

2- ينظر: كشف أسرار المعاني عند عبد القاهر الجرجاني، محمد حامد محمد، ص: 10.

3- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 11.

4- عبد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي، ص: 74.

عصره من قيم ومبادئ، كما لخص فكرته في "النظم" على شكل أبيات منظومة، وهي تقع في دائرة الشعر التعليمي.

ر- مؤلفاته:

ترك "عبد القاهر الجرجاني" آثارا كبيرة ومتنوعة يمكن أن نصنفها إلى خمسة فنون هي: "النحو والصرف"، "البلاغة"، "علوم القرآن"، "العروض"، و"مختارات من الشعر".

أ- النحوية:

1- المغني: وهو من أهم مؤلفات "عبد القاهر الجرجاني" النحوية، وهو شرح لكتاب "الإيضاح في النحو" "لأبي علي الفارسي" النحوي، وقد جاء مبسطا في نحو "ثلاثين مجلداً"، وهو من كتبه المفقودة.⁽¹⁾

2- المقتصد: جعل "عبد القاهر الجرجاني" هذا الكتاب شرحا ملخصا لكتابه "المغني"، والذي يقع في "ثلاثة مجلدات"، وهذا ما أجمعت عليه معظم كتب التراجم⁽²⁾، بخلاف ما ذهب إليه صاحب كتاب "كشف الظنون" من أنه في "مجلد واحد".⁽³⁾

3- التكملة: هو كالأستدراك لبعض المسائل التي لم يذكرها على "المغني".⁽⁴⁾

4- الإيجاز: وهو شرح مختصر لكتاب "الإيضاح في النحو" "لأبي علي الفارسي"، وقد أورده صاحب "كشف الظنون"، وذكر أن أوله هو: الحمد لله الذي

1- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند الجرجاني، عمر بوقمرة، ص: 16.

2- ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص: 313، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج: 05، ص: 150، بغية الوعاة، السيوطي، ج: 02، ص: 106.

3- ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، دار إحياء التراث - بيروت، (د ط)، (د ت)، مج: 01، ص: 212.

4- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص: 16.

تظاهرت علينا آلاؤه إلخ، وقد اهتم بشرح هذا المختصر الشيخ "جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن حاجب" المتوفى سنة "ست وأربعين وستمائة"، وسمّاه "المكتفى للمبتدى".⁽¹⁾

5- الجمل في النحو: هو كتاب مختصر يقال له "الجرجانية"، وكانت غاية "عبد القاهر الجرجاني" من تأليف هذا الكتاب تعليم الناشئة مبادئ وأساسيات النحو وهو ما صرح به "عبد القاهر الجرجاني" في مقدمة الكتاب حيث قال: «ولعل هذه التسمية تعكس لنا مضمون الكتاب، فهو يورد المبادئ الأولى للنحو بوضوح وبساطة، تاركا التعقيدات والتفصيلات لكتب المطولات».⁽²⁾

وقد ظفر هذا الكتاب بتقدير كبير من أعيان النحاة، وقامت عليه شروح كثيرة منها:⁽³⁾

- شرح "ابن الخشاب البغدادي النحوي" المتوفى سنة (568هـ)، وهذا الكتاب هو "المرتجل في شرح الجمل".
- شرح "علي بن الحسين بن علي الباقر الضرير"، وسمي "الجواهر في شرح جمل عبد القاهر الجرجاني".
- شرح "أبو الحسن علي بن ابراهيم الأنصاري البلسي" المتوفى سنة (571هـ)، وسمي شرحه "الحلل".

وغير ذلك كثير مما يدل على مدى العناية التي حظي بها هذا الكتاب.

1- ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مج:01، ص:212.

2- الجمل، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، تحقيق: علي حيدر، منشورات دار الحكمة-دمشق، (د ط)، 1982م، ص: "د"، "ه".

3- المرجع نفسه، ص: "و".

6- التلخيص: وهو شرح لكتاب "الجمال" السابق، وقد أشار إليه القفطي

بقوله: «وله شرح كتاب العوامل سمّاه "الجمال" ثم صنّف شرحه فجرى على عادته في الإيجاز». (1)

7- العوامل المائة في النحو: وهو كتاب مشهور متداول، ولشهرته هذه حظي

بعناية ثلثة من الشارحين منهم (2):

- "حسام الدين حسين التوقاني" (ت 962هـ) وهذا الشرح مع وجاته

متضمن لفوائد لا تكاد توجد في الكتب المبسوطة.

- "يحيى بن مخشي" (ت 900هـ) سماه "لمح المسائل النحوية".

وقد ذكر الإمام "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه هذا: «أنّ العوامل المائة تنقسم

إلى قسمين: لفظية، ومعنوية، فاللفظية منها على ضربين: سماعية وقياسية؛ فالسماعية منها إحدى وتسعون عاملاً، والقياسية منها سبعة عوامل، والمعنوية منها عاملان، فالجملة مائة عامل». (3)

ب- الصرفية:

لعبد القاهر الجرجاني مؤلّف واحد في مجال "علم الصرف" وهو: "العمدة

في التصريف" «توجد نسخة منه مصوّرة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية، صوّرت

نسخة "بتركيا" بمخطوطات النّحاة». (4)

1- إنباه الرواة في أنباه النّحاة، القفطي، ج:02، ص:189.

2- ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، ج:02، ص:1179-1180.

3- العوامل المائة، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، دار المنهاج-بيروت-، ط1، 2009م، ص:39-40.

4- الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص:16.

ت- العروضية:

"عبد القاهر الجرجاني" مؤلف في هذا الباب «وهو عبارة عن قصيدة تتضمن قواعد الأوزان الشعرية، وقد طُبعت في ذيل الكتاب "الإقناع في العروض وتخريج القوافي" للصاحب بن عباد سنة 1379هـ-1960م في "بغداد"، بتحقيق الشيخ "محمد حسن آل ياسين"، وحاوَل "عبد القاهر الجرجاني" في أبياتها أن يضبط الأوزان».⁽¹⁾

ث- علوم القرآن:

1- شرح الفاتحة: يقع هذا الكتاب في مجلد واحد، وهو كتاب ضائع.⁽²⁾
 2- درج الدرر في تفسير الآي والسور: وقد ذكره صاحب كتاب "هدية العارفين".⁽³⁾

ج- البلاغة والإعجاز القرآني:

1- الرسالة الشافية في الإعجاز: «وهو منشور ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن بتعليق الدكتورين "محمد خلف الله" و"محمد زغلول سلام"، فقد ذكر "عبد القاهر الجرجاني" في هذه الرسالة شُبه المعاندين في إعجاز القرآن وردّ عليهم بما يدحض حججهم ويُطل آراءهم، كما رد على القائلين بالصرفة، وذكر أنّ القرآن معجز في نفسه وبنظمه، وأنّه معجز في كل زمان ومكان، وأنّه وحي من الله وليس شيئاً على سبيل الإلهام».⁽⁴⁾

1- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، ص: 45.

2- ينظر: العوامل المائة، الجرجاني، ص: 12.

3- ينظر: هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، البغدادي إسماعيل باشا، مؤسسة التاريخ العربي (د م)، (د ط)، (د ت)، مج: 02، ص: 606.

4- البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، عبد العاطي غريب علام، ص: 33-34.

2- دلائل الإعجاز:

3- أسرار البلاغة:

وهما من أشهر كتب "عبد القاهر الجرجاني" وأعظمها، قال عنهما "طاش كبرى زاده: «ومن جملة مصنفاة "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" في علم المعاني والبيان وهما الآفة الكبرى، والفاء البفاء في العلمفن المذكورفن، وإلفهما ففنها علم من فأخر فف ذفك العلمفن». (1)

وكتاب "أسرار البلاغة" هو «العلامة الثانية، والمعلم الثاني فف ففاج "عبد القاهر الجرجانى" والعصر» (2)، ففأ ففه عن أبواب فعد من أهم أبواب البلاغة، من "فشففه"، و"اسفعارة"، و"مجاز"، و"فنافة"، فف أضاف إلفها ففأ ففروع علم البفءف، مثل "السجع"، و"الفففس"، و"الفففق".

وفاة "عبد القاهر الجرجانى" من فألف "أسرار البلاغة" «بلافة فففة. وضح ففه الأفسام والأصول، ووضف القوانفن، وذكرف الفروق بفن العبارات والفنون البفانفة، وإن فراففه لفنون البلاغة فف فذا الففاب فافف من أروع ما ففب، وقد اسففاذ من ففابه فذا فففر من الباففن وبعض السلف أمفال "القزوفنى" فف "شروح الفلففص" (3).

وقد صدر الففاب «فف عفة فبعبا، أولها سنة 1320هـ فف مصر بعنافة السفء "مفمف رشفء رضا" وإشراف الإمام "مفمف عبفه"، فف فبفه الأستاذ "أفمف مصطفى المرافى" فف مصر سنة 1367هـ-1948م وطفه أيضا "هفلموفا رففر" فف مطبعة

1- مففاح السعافة ومصباح السفاة فف موضوعاا العلمو، أفمف بن مصطفى الشفهفر بطاش كبرى زاده، فار الكفب العلمفة-بفرور-، ط1، 1985م، مف:01، ص:166.

2- كشف أسرار المعانى عند عبد القاهر الجرجانى، مفمف فامف مفمف، ص:08.

3- نظرفة النظم وقفمفها العلمفة، ولفء مفمف مراف، ص:55.

"وزارة المعارف" "بإستانبول" سنة 1954م، كما طبعه الدكتور "محمد عبد المنعم خفاجي" عدة طبعات في جزأين آخرها سنة 1399هـ - 1979م⁽¹⁾.

4- شرحان على إعجاز القرآن الكريم: وهو شرح لكتاب «أبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة 306هـ، الشرح الأول سَمَّاه المعتضد الكبير، والثاني سَمَّاه المعتضد الصغير»⁽²⁾، وأطلق عليه "السيوطي" اسم "إعجاز القرآن الكبير والصغير".⁽³⁾

ح- كتب متفرقة:

1- المختار من دواوين المتبّي والبحتري وأبي تمام: وقد طبع تحت عنوان "الطرائف الأدبية وقد ضم عمل "عبد القاهر الجرجاني" القسم الثاني من الكتاب المذكور.⁽⁴⁾

2- التذكرة : وأشار إليه "القفطي" في "إنباه الرواة" حيث قال: «وله مسائل منثورة أثبتتها

في مجلد، هو "التذكرة"، لم يستوف القول حق الاستيفاء في المسائل التي سطرها».⁽⁵⁾

3- المفتاح: لم يشر أحد إلى موضوعاته، واكتفى أصحاب التراجم بذكره اسمه.⁽⁶⁾

1- البلاغة العربية بين الناقدین الخالدين، عبد العاطي غريب علي علاّم، ص: 35.

2- الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عمر بوقمرة، ص: 17.

3- ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، ج: 02، ص: 106.

4- ينظر: الطرائف الأدبية، عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة-، (دط)، 1937م، ص: 201.

5- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ج: 2، ص: 189.

6- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج: 05، ص: 150، شذرات من ذهب في أخبار من ذهب،

العكري شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار

ابن كثير-بيروت-، ط1، 1989 م، مج: 05، ص: 309.

فقد بلغت مؤلفات " عبد القاهر الجرجاني " نحو تسعًا عشر مؤلفًا، احتلت كتبه في "النحو والصرف" المرتبة الأولى من بين إجمالي الكتب وهي "تسعة مؤلفات"، ثم تأتي في المرتبة الثانية مؤلفاته في "البلاغة والإعجاز القرآني وعلوم القرآن" وهي "سبعة"، كُتب لاثنتين منها الذبوع والانتشار، أحدهما "أسرار البلاغة" والثاني "دلائل الإعجاز" الذي هو موضوع البحث، أما باقي الكتب فقد كانت في العروض والشعر وتتمة لبعض القضايا والمسائل التي كانت عالقة تحتاج إلى بيان وكتاب آخر لم يفصح المؤرخون عن موضوعه ومضامينه.

وقد عدّ "فؤاد علي مخيمر" كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" «في مصاف مؤلفات "عبد القاهر الجرجاني" النحوية؛ كثمرة لجهوده في "علم النحو" وبخاصة وأنه بنى منهجه النحوي الجديد فيهما على أصول النحو وقواعده».⁽¹⁾

ز - وفاته:

ظل "عبد القاهر الجرجاني" مقيما "بجرجان" يفيد الراحلين إليه، والوافدين عليه ويصنف الكتب، ويقرؤها لطلابها، ويقرؤها عليها، حتى أدركته المنية في مسقط رأسه "بجرجان" سنة "إحدى وسبعين وأربعمائة" للهجرة، وقيل أنه توفي في سنة "أربع وسبعين وأربعمائة" للهجرة⁽²⁾، والراجح في كتب التراجم أنه توفي سنة "إحدى وسبعين وأربعمائة للهجرة".⁽³⁾

1- فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، فؤاد علي مخيمر، دار الثقافة للنشر والتوزيع (دم)، (د ط)، 1983م، ص: 16.

2- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج: 05، ص: 150، طبقات المفسرين، الداودي، ج: 01، ص: 335، بغية الوعاة، السيوطي، ج: 02، ص: 106.

3- ينظر: إنباه الرواة، القفطي، ج: 02، ص: 189، إشارة التعيين، اليماني، ص: 189، النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري أبو المحاسن، ج: 05، ص: 108.

وجملة القول أنّ "عبد القاهر الجرجاني" يعد بحق في طليعة علماء اللّغة العربية الأفاضال الذين قدموا خدمات جليلة في علوم اللّغة ؛ فقد اغترف علم النّحو من لدن شيوخ النّحو في عصره، واستفاد كثيرا ممّا كُتب في البلاغة والإعجاز قبله، فضلا عن أنّ الله - سبحانه وتعالى - ألهمه عقلا خارقا يستوعب كل ثقافة عصره، وحسا مرهفا يدرك مكامن الجمال في النصوص القرآنية والشّعريّة، وذوقا رفيعا، فكل هذه الأشياء تضافرت مجتمعة لتكوّن له آلة البيان والأداة لفهم الكلام، والتي استطاع من خلالها بلورة أفكارٍ سابقية من منظورٍ أوسع، ورؤية جديدة، فأبدع فيما ذهب إليه في مجال النّظم، وكُتبت له الريادة بجدارة واستحقاق.

الفصل الأول

المقصدية مقارنة تأصيلية – الإطار

النظري –

أولاً- في مفهوم مقصدية الخطاب واستراتيجيات الخطاب.

ثانياً- المقصدية في الدراسات الغربية.

ثالثاً- المقصدية في الدراسات العربية.

أولاً- في مفهوم مقصدية الخطاب واستراتيجيات الخطاب.

1- مفهوم المقصدية :

- أ- مادة "قصد" في المعاجم اللغوية.
- ب- مادة "قصد" ومشتقاتها في القرآن الكريم.
- ج- مادة "قصد" ومشتقاتها في الحديث النبوي
- د- المصطلحات المتقاربة في الدلالة على معنى
"القصد".
- ذ- الألفاظ المقابلة لمصطلح المقصدية في اللغات
الأجنبية.

1- مفهوم المقصدية:

يعد "التيارُ التداولي" آخر ثمرة تمخضت عن "الاتجاهِ التواصلي" الذي برز كردة فعل على "الاتجاه الشكلي" الذي تبنته "اللسانيات البنيوية" بزعامه "فرديناند ديسوسير"^(*)، والتي قامت بدراسة اللغة كبنية مغلقة دراسة علمية موضوعية مجردة، فهي ترى أنّ النصّ يتضمن معناه في داخله فحسب؛ لأنّ شكله اللساني يتضمن ذلك المعنى ويحتويه فهو نظام مغلق والنصّ الأدبي لا يقول شيئاً عن مبدعه، وإتّما يقول عن نفسه فحسب، وهو كيان لغوي مستقل أو نظام من الرموز والدلالات التي لا علاقة لها بخارج النصّ.⁽¹⁾

وكان من الأفكار التي نادى بها البنيويون "موت المؤلف" والمراد به فصل النصّ عن مؤلّفه ودراسته دراسة موضوعية تنطلق من النصّ ومعطياته في تحديد المعنى، وفي هذا إجحاف كبير في حق الذات المنتجة وتهميش لها بغية تحرير النص من قيود الظروف والسياقات التي ارتبطت بإنتاجه والتي ينجر عنها فرض مدلول واحد نهائي للنص، وجعله فضاءً مفتوحاً على التأويلات وتعدد القراءات ولا نهائية لمدلوله.

*- العالم اللغوي المشهور، وأب اللسانيات الحديثة، ولد سنة 1857 "بجنيف السويسرية"، ترعرع في كنف عائلة عريقة اشتهرت بالعلم والمعرفة، كتب "ديسوسير" مجموعة من المقالات حول اللغة جمعت كلها بعد موته بعنوان "ديوان المنشورات العلمية لفرديناند ديسوسير"، والذي صدر بجنيف سنة 1922، أما مؤلّفه الشهير فقد صدر بعد موته بثلاث سنوات أي سنة 1916 بعنوان "محاضرات في اللسانيات العامة"، ولم يكن لهذا الكتاب ليرى النور لو لم يقيم "شارل بالي" و"ألبار سيشهاي" بجمع محاضراته التي كان يلقيها على طلبته بجامعة جنيف من سنة 1906 إلى 1911 ثم تصنيفها وتبويبها ونشرها في الشكل الذي نعرفه اليوم، توفي "ديسوسير" سنة 1913م، ينظر: محاضرات في اللسانيات العامة، بن زروق نصر الدين، مؤسسة كنوز الحكمة (دم)، ط1، 2011م، ص: 12، اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، ط2، 2005م، ص: 119.

1- ينظر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ناظم عودة خضر، دار الشروق للنشر-الأردن، ط1، 1997م، ص: 127- 128.

وفق هذا، "فالأتجاه الشكلي" عمل على دراسة المنجز اللفظي في ذاته ومن أجل ذاته مغفلا السياق والعوامل الخارجية التي ولد النص فيها غير ملتفت إلى منشئ الخطاب ومقاصده، فمعنى النص ومدلوله مستمد من شكله اللساني ونظامه اللغوي على مستوى أصواته وألفاظه وصوره التركيبية، وهو لا يقول شيئا عن مبدعه كاهتماماته واعتقاداته، ولا ينقل لنا تجربته التي عايشها والتي لها أثر كبير في فعل الكتابة، ولا عن معطيات السياق الخارجي، وإنما يحاكي ذاته مستقلا عن جميع العوامل المساعدة في التواصل، ومكتف بذاته.

وفي مقابل ذلك عمل "الاتجاه التواصلية" على استدراك كلّ الهفوات والمزالق التي وقع فيها "الاتجاه الشكلي"، «فقد أتضح عدم كفاية الدراسة الشكلية سواء أكان ذلك من حيث التركيب، أم من حيث الدلالة المنطقية، وهذا ما دعا الباحثين لتطوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في التواصل ضمن إطاره الاجتماعي، مما استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلّفظ بالخطاب اللغوي بدءًا من تحديده، بمعرفة عناصره، ودور كلّ عنصرٍ منها في تشكيل الخطاب، وتأويله؛ وكذلك دراسة افتراضات المرسل عند إنتاج خطابه ووسائله وأهدافه ومقاصده، أو التنبؤ بها»⁽¹⁾.

والحقيقة أنّ "التيار التداولي" قد حقق قفزة نوعية غيرت مسار الدراسة منتقلا من إيلاء الاهتمام بالنظام اللغوي ومستويات الصياغة اللفظية والنصية إلى التركيز على التوجه التواصلية الوظيفية؛ «فمعنى النص ليس شيئا متأصلا في الكلمات والجمل والتراكيب وحدها، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولا إلى المعنى الكامل في كلام ما»⁽²⁾.

1- ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، الشهري عبد الهادي بن ظافر، دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت، ط 1، 2004م، ص: 09.

2- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية (دم)، (دط)، (دت)، ص: 14.

وتعدُّ "المقصدية" أحد أهم اهتمامات الدرس التداولي في ضوء التواصل، وهي لب العملية التواصلية؛ فالتداولية تهدف بالدرجة الأولى إلى مدارس المقاصد والمعاني التي يريد المتكلم إبلاغها وكيفية اكتشاف المتلقي لها، ويعمل مبدأ "المقصدية" على توجيه المرسل للسعي إلى إيجاد طرائق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية، واختيار الاستراتيجية التخاطبية المناسبة لنقل مراده، والتي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة هادفة وناجحة.

وقبل الوقوف على تجليات "المقصدية" في كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني " يجدر بنا بداية تحديد المعنى اللغوي للمصطلح وكذا عند أصحاب الاختصاص، بالبحث في جذوره في التراث العربي وصولاً إلى تبلور المفهوم لدى اللسانيين في الدراسات الحديثة.

أ- مادة "قصد" في المعاجم اللغوية:

ينتمي مصطلح "المقصدية" إلى الجذر اللغوي (قَصَدَ) المكون من القاف والصاد والذال، يُقال: «قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا وَمَقْصَدًا، وَمَقْصَدٌ: مفرد مَقْصِدٍ، وهو مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ قَدْ يُعْبَرُ عَنْ اسْمٍ مَكَانَ عَلَى سَبِيلِ الْجَازِ، وَالْقَصْدُ: مفرد قُصُودٍ، وَالْمَقْصُودُ: اسْمٌ مَفْعُولٍ؛ أي: الذي عُني بالقَصْدِ، وَمِنَ التَّوَابِعِ اللَّفْظِيَّةِ فِي جَانِبِ الصِّيغَةِ لِفِعْلِ قَصَدَ هُنَاكَ تَقْصِيدٌ، وَهُوَ عَلَى وَزْنِ تَفْعِيلٍ، كَتَأْصِيلِ دَلَالَةٍ عَلَى إِحَاقِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِالْمَتَكَلِّمِ، سِوَاءٍ مِنْ جَانِبِ الصَّحَةِ أَوْ مِنْ جَانِبِ الْخَطَأِ»⁽¹⁾.

1- الخطاب المقاصدي المعاصر (مراجعة وتقويم)، الحسان شهيد، مركز الإنماء - بيروت -، ط1، 2013م، ص: 34-35.

وقد تنوعت معاني مادة (قَصَدَ) ومشتقاتها في المعاجم اللغوية القديمة والحديثة بتنوع السياقات التي وردت فيها فمن أبرز معانيها:

1- استقامة الطريق وسهولته: يقال: «طَرِيقٌ قَصْدٌ أَي: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ»⁽¹⁾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ الْقَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النحل: 09) أي: «على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة»⁽²⁾.

2- الاعتماد والآنم والتوجه نحو الشيء: قال "ابن فارس": «قَصَدَ: الْقَافُ والصاد والذال أصول ثلاثة يُدُلُّ أَحَدُهَا عَلَى إِثْبَانِ الشَّيْءِ وَأَمَّهُ»⁽³⁾.

3- العدل: كما في قول الشاعر:

عَلَى الْحَكْمِ الْمَأْتِي يَوْمًا إِذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لَا يَجُورَ وَيَقْصِدُ

أي: يعدل⁽⁴⁾.

4- الاكتناز في الشيء: تقول العرب: «النَّاقَةُ الْقَصِيدُ الْمَكْتَنَزَةُ الْمُتَمَلِّئَةُ لِحْمًا، لِذَلِكَ سُمِّيَتْ الْقَصِيدَةُ مِنَ الشَّعْرِ قَصِيدَةً لِقَصِيدِ أُنْيَاتِهَا وَلَا تُكُونُ أُنْيَاتُهَا إِلَّا تَامَةً الْأُنْيَةُ»⁽⁵⁾.

1- المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين، مكتبة الشروق الدولية(دم)، ط4، 2004م، ص:738.

2- لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر - بيروت-، (د ط)، (د ت)، مج:03، ص:353.

3- مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر(دم)، (دط)، 1979م، مج:05، ص:95.

4- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت-، ط2، 1989م، ج:02، ص:525.

5- المرجع السابق، مج:05، ص:95 - 96.

5-الكسرُ: «وتَقَصَّدتِ الرِّمَاحُ: تَكَسَّرت، وَرُمِحَ قَصْدٌ سَرِيحُ الانكِسَارِ، والرِّمَاحُ بَيْنَهُم قِصْدٌ، وَشَعْرٌ مُقَصَّدٌ وَمُقَطَّعٌ، وَلَمْ يُجْمَعِ فِي المَقْطَعَاتِ مِثْلَ مَا جَمَعَ أَبُو تَمَامٍ، وَلَا فِي المَقْصَدَاتِ مِثْلَ مَا جَمَعَ المَفْضَلُ». (1)

6- القتلُ والإصابةُ: قال "أحمد الزاوي": «وَأَقْصَدَ السَّهْمُ: أَصَابَ فقتل مَكَانَهُ». (2)

7-الاقتراب والدنو: جاء في معجم التكملة: «قصد إلى فلان: اقترب منه ودنا منه». (3)

8-المرأة العظيمة: يقال: «القُصْدَةُ: بالفتح: المرأة العظيمة الهامة التي لا يراها أحدٌ من الناس إلا أعجبته». (4)

9-الانفصالُ: قال "الخليل بن أحمد الفراهيدي": «والقصيدة: مَخَّة العَظْم إذا خَرَجَتْ وانْقَصَدَتْ، أي انفصلت من مَوْضِعِهَا وَخَرَجَتْ». (5)

يتضح مما سبق أنّ من أبرز معاني مادة (قصد) في كلام اللغويين: الاستقامة الاعتدال، الاعتزام والتوجه نحو الشيء.

- 1- أساس البلاغة، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1998 م، ج:02، ص:81.
- 2 - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر (دم)، ط3، (دت)، ج:03، ص:629.
- 3- تكملة المعاجم العربية، رينهارت حوزي، ترجمة: محمد سليم النعيمي، مراجعة: جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية - العراق، ط1، 1997 م، ج:08، ص:288.
- 4- معجم النفايس الكبير، جماعة من المختصين، إشراف: أحمد أبو حاقه، دار النفايس (دم)، ط1، 2007 م، مج:02، ص:1582.
- 5- كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الفراهيدي الخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 2003 م، ج:03، ص:393.

ب- لفظ (قصد) ومشتقاته في القرآن الكريم:

وردت مادة (قصد) ومشتقاتها في "القرآن الكريم" في "سنة مواضع" أفاد أغلبها "التوسط بين الأمرين" وهي كالاتي: (1)

1- قال الله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: 19).

تضمنت "سورة لقمان" مجموعة من الوصايا من بينها ما جاء في هذه الآية؛ إذ أمر لقمان ابنه بالاعتدال في المشي فلا يمشي مشية المتماوتين، ولا يثب وثب الشطار. (2)

فالمشي باعتدال هو صفة عباد الرحمن قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: 63).

2- قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النحل: 9)، أي: «استقامة الطريق، وقع هنا (القصد) وصفا للسبيل من قبيل الوصف بالمصدر؛ لأنه يقال: طريق قاصد: أي مستقيم، وطريق قصد، وذلك أقوى في الوصف بالاستقامة كشأن الوصف بالمصادر». (3)

3- قال الله تعالى مخبرا عن سلوك المنافقين: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: 42)، فدلالة (قاصدا)

1- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، دار القلم-الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط4، 2009م، ص: 672.

2- ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعبوب الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، تحقيق: خليل مأمون، دار المعرفة-بيروت، ط3، 2009م، ج: 21، ص: 837.

3- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر والتوزيع-تونس، (دط)، 1984م، ج: 14، ص: 112.

في هذه الآية جاءت بمعنى "التوسط" أي: «وسطا في المسافة غير بعيد. واسم كان محذوف دل عليه الخبر أي: لو كان العرض عرضا قريبا، والسفر سفرا متوسطا، أو لو كان ما تدعوهم إليه عرضا قريبا وسفرا»⁽¹⁾.

4- قال الله تعالى مخبرا عن أصناف عباد الله المؤمنين: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: 32).

فالمقتصد «هو غير الظالم لنفسه كما تقتضيه المقابلة، فهم الذين اتقوا الكبائر، ولم يجرموا أنفسهم من الخيرات الأمور بها وقد يلمون باللمم المعفو عنه من الله، ولم يأتوا بمنتهى القربات الرافعة للدرجات، فالإقتصاد افتعال من القصد وهو ارتكاب القصد وهو الوسط بين طرفين يبيته المقام، فلما ذكر هنا في مقابلة الظالم والسابق علم أنه مرتكب حالة بين تلك الحالتين فهو ليس بظالم لنفسه وليس بسابق»⁽²⁾.

5- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان: 32)، أي متوسط في الكفر و«المقام دليل على أن المراد الإقتصاد في الكفر لوقوع تذييله بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ولقوله في "سورة العنكبوت": ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: 65)»⁽³⁾.

1- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 10، ص: 208.

2- المرجع نفسه، ج: 22، ص: 312-313 .

3- المرجع نفسه، ج: 21، ص: 192.

6- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 66)، أي: «طائفة عادلة غير غالية ولا مقصرة».⁽¹⁾

ت- لفظ (قصد) ومشتقاته في الحديث النبوي الشريف:

اشتملت أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على لفظ (قصد) ومشتقاته اللغوية منها ما يلي:

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قَالَ وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَرُوحُوا، وَشِيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ^(*)، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا».⁽²⁾

فمعنى قوله -صلى الله عليه وسلم- " القصد القصد تبلَّغوا: «الزموا الطريق الوسط المعتدل».⁽³⁾

2- عن جابر بن سمرة يصف صلاته -صلى الله عليه وسلم- قال: «كُنْتُ أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا»⁽¹⁾، أي: «متوسطة بين الطول الظاهر والقصر الحامق».⁽²⁾

1- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألويسي شهاب الدين أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي -بيروت-، (دط)، (دت)، ج:06، ص: 185.

* - الدلجة بضم المهملة وسكون اللام ويجوز فتحها وبعد اللام جيم وهي سير الليل، يقال سار دلجة من الليل أي ساعة، ينظر: فتح الباري بشرح الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، ابن حجر أحمد بن علي، المكتبة السلفية(د م)، (دط)، (د ت)، ج:11، ص:298.

2- صحيح البخاري، البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير -دمشق-، ط1، 2002م، رقم:6463، ص:1609.

3- فتح الباري، ابن حجر، ج: 11، ص: 298.

3- عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال، قال بريدة: « خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ أَمْشِي لِحَاجَةٍ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَمْشِي فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً، فَجَعَلْتُ أَكْفَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى رَأَيْتُ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا، فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ بَيْنَ أَيْدِينَا يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " أَتَرَاهُ يُرَائِي " فَقُلْتُ لَهُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فَأَرْسَلَ يَدَهُ وَطَبَقَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ يَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيُصَوِّبُهَا وَيَقُولُ " عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبُهُ»⁽³⁾.

قال "المنائوي" في معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- "عليكم هديًا قاصدًا": «طريقًا معتدلاً غير شاق، (عليكم هديًا قاصدًا) يعني الزموا القصد في العمل وهو استقامة الطريق أو الأخذ بالأمر الذي لا غلو فيه ولا تقصير»⁽⁴⁾.

ومن خلال توظيف "القرآن الكريم" و"السنة النبوية الشريفة" لمادة (قصد) ومشتقاتها نخلص إلى نتيجة مفادها أنّ رغم الاختلاف في سياقات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتنوع الصيغ التي وردت فيها هذه المادة إلا أنّها اشتركت في الدلالة على "الاعتدال والتوسط بين أمرين".

1- صحيح مسلم، مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفارابي، دار طيبة-الرياض-، ط1، 2006م، مج:01، رقم:866، ص:385.

2-المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)، النووي أبو زكريا يحيى بن شرف، بيت الأفكار الدولية-الأردن-، (دط)، (دت)، ص:565.

3- صحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة أبو بكر محمد بن اسحاق، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي (دم)، ط3، 2003م، ج:01، رقم:1179، ص:582.

4- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي عبد الرؤوف، دار المعرفة-بيروت-، ط2، 1972م، ج:04، ص:353.

ث-المصطلحات المتقاربة في الدلالة على معنى " القصد ":

توجد الكثير من المصطلحات المتقاربة في الدلالة على " القصد " مثل: الإرادة،

المعنى، والغرض...إلخ

1- بين القصد والمعنى:

يرى " طه عبد الرحمن " أنّ مدلول " القصد " في اللغة العربية يفيد ثلاثة أسماء على رأسها " المعنى "، يقول: «ومن طريف اللسان العربي أن يجعل "مدلول" اللفظ ثلاثة أسماء، كلّها تفيد لغة واصطلاحاً مفهوم القصد وهي بالذات المعنى والمراد والمقصود».⁽¹⁾

ويشير علماء اللغة العربية القدماء إلى أنّ " القصد " هو " المعنى "، وهذا ما يوضّحه "ابن فارس(ت 395هـ) في قوله: « فأما المعنى فهو القصد والمراد، يقال: عنيت الكلام كذا أي: قصدت وعمدت».⁽²⁾

وإلى نفس الرأي ذهب "أبو هلال العسكري(ت395هـ)" إلى: « أنّ المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق به القصد... يقال عنيته أعنيه معنى...ولهذا قال أبو علي-رحمة الله عليه- إنّ المعنى هو القصد إلى ما يقصد إليه من القول، فجعل المعنى القصد لأنّه مصدر... وقولهم عنيت بكلامي زيدا، كقولك، أردته بكلامي».⁽³⁾

فحسب هذين القولين فمصطلح " المعنى " لا يطلق إلاّ إذا كان مقصوداً، فيقال: عنيت كذا... أي: قصدته، وبهذا فالمعنى هو " القصد " إلى ما نقصد إليه من القول،

1- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي-بيروت-، ط1، 1998م، ص:215.

2- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 1997م، ص:144.

3- الفروق اللغوية، العسكري أبو هلال، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة-القاهرة-(دط)، (دت)، ص: 33-34.

والمعاني التي يقصدها المرسل قد تتطابق مع القول، وفي بعض الأحيان لا تتواجد هذه المعاني على مستوى البنية اللغوية الحرفية المشكّلة للخطاب، بل تتجاوز هذه الأنظمة اللغوية إلى مقاصد أخرى يستدل عليها من البنية السطحية للخطاب، استنادا إلى مجموعة من القرائن، «لأنّ مدار الأمر ينصب على ماذا يعني المرسل بخطابه، لا ماذا تعنيه اللغة، حتى ولو كان الخطاب واضحا في لغته، لأنّ معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه».⁽¹⁾

2- بين الإرادة والقصد:

يؤثر "القصد" بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط، مثل بعض الأفعال المتعلقة بالصدّق الذي ينوي المتزوج دفعه للمرأة، فإنّه بذلك يأخذ حكم الزواج، وإن خالف النيّة، فإنّه يتّصف بحكم آخر، وكذلك من استدان بدين ولم ينو الوفاء به فإنّه يعتد سارقاً.⁽²⁾

وقد حدد "أبو هلال العسكري" الفرق بين "القصد" و"الإرادة" بقوله: «أنّ قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره، والإرادة غير مختصة بأحد الفعلين دون الآخر، والقصد أيضا إرادة الفعل في حال إيجاده فقط، وإذا تقدمته بأوقات لم يسم قصدا، ألا ترى أنّه لا يصح أن نقول: قصدت لأن أزورك غدا»⁽³⁾. فالقصد يكون مختصاً، وصبوب الفعل مباشرة، أما "الإرادة" فغير مختصة، ولا تكون صوب الفعل، ويطلق أيضا "القصد" في حال إيجاد الفعل فإذا تقدم أو تأخر لا يسمى ذلك قصدا؛ أي أن تكون إرادة فعل ذلك الشيء محددة بفترة زمنية فهي إذن لحظية آنية.

1- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص:196.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص:189.

3- الفروق اللغوية، العسكري، ص:126.

ولإرادة المتكلم دور كبير في تحديد المعاني «فاللفظ عند النطق به يصاب بالضرورة شيء من التغيير، لأنّ المعنى لا يوجد منعزلاً عن المعاني الأخرى، ولذلك يتحوّل إلى معنى آخر بوجود هذه العلاقات وإرادة المتكلم».⁽¹⁾

3- بين الغاية والغرض والقصد:

يعرّف "التهانوي" "الغاية" على أنّها «كلّ مصلحة وحكمة تترتب على فعل الفاعل تسمّى غاية من حيث أنّها على طرف الفعل ونهايته، وتسمّى فائدة أيضاً من حيث ترتبها عليه، فهما أي الغاية والفائدة متحدثان ذاتاً ومختلفان اعتباراً»⁽²⁾، فالغاية وفق تعبير "التهانوي" هي كل ما يترتب على صاحب الفعل من وراء قيامه به، والفاعل إنّما يقصد ذلك الفعل لغاية يريد تحقيقها، وهذه الغايات قد تكون شخصية، ويمكن أن تشمل الصالح العام.

و"الغاية" «ترتبط مباشرة بالأسباب التي من أجلها نستعمل اللّغة، وبذلك يؤول الحديث عن الغايات إلى البحث في وظائف اللّغة، والبواعث التي من أجلها وجدت».⁽³⁾

ومن أهم هذه الغايات التي يسعى إلى بلوغها مستعمل اللّغة «الإبلاغ والطلب، والتعلّم والتعليم، والإفصاح، والتأثير والإقناع، والإمتاع، والتواصل، وذلك لأنّ مستعمل اللّغة إما أن يبلّغ مخاطبه بقضية ما على سبيل الإعلام، ويستعمل لذلك أسلوب الإخبار، أو أنّه يطلب شيئاً على سبيل الأمر أو النهي، أو يستعلم عن شيء على سبيل

1- الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، سلسلة علوم اللسان عند العرب-الجزائر-، (دط)، (دت)، ص: 111-112.

2- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي محمد علي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة ناشرون-لبنان-، ط1، 1996م، ج: 02، ص: 1246.

3- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى-نحو بناء نظرية المسالك والغايات-، محمد محمد يونس علي، دار كنوز المعرفة- عمان- ط1، 2016م، ص: 83.

الاستفهام، وقد تكون الغاية من الخطاب التأثير في مخاطبه بتغيير سلوكه عن طريق الوعظ أو النصيحة أو إقناعه بفكرة ما»⁽¹⁾.

وتختلف طرائق التعبير وآلياته لدى مستعمل اللغة باختلاف الغايات، فمثلا "عبد القاهر الجرجاني" في مدونة "دلائل الإعجاز" يسعى إلى غاية أسمى وهي التأثير في مخاطبه وحمله على الإقناع وتغيير أفكاره الخاطئة ومعتقداته، ولذلك فكل الوسائل التقنيات التي وظفها في بناء خطابه تسير وفق غايته.

أما الأغراض، فيرى "التهانوي" «أنَّ الغرض علّة غائية، وهي ما لأجله إقدام الفاعل على فعله، وهي ثابتة لكل فاعل فعل بالقصد والاختيار، فإنَّ الفاعل إنّما يقصد الفعل لغرض»⁽²⁾.

وهناك من يرى «بأنَّ الغرض عبارة عن علل قصدية للمخاطبة، وهو ما يجعله مناسباً لأغراض التخاطب»⁽³⁾.

ح- الألفاظ المقابلة لمصطلح المقصدية في اللغات الأجنبية:

المقصدية (Intentionality) وهو اسم مشتق من الفعل اللاتيني (Intender) ويعني الشد أو المد، أي الاتجاه نحو الشيء أو الامتداد نحوه⁽⁴⁾.

وجاء في معجم اللغات الثلاثي-الوجيز- "إنجليزي" فرنسي "عربي": «نية، قصد، عزم، تصميم، غرض، هدف، intention, dessein, but مقصود، متعمد، مراد intentionnel, voulu»⁽¹⁾.

- 1- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى-نحو بناء نظرية المسالك والغايات-، محمد محمد يونس علي، ص: 82.
- 2- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ص: 1245.
- 3- المرجع السابق، ص: 84.
- 4- ينظر: فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر-مصر-، (دط)، 2007م، ص: 169 نقلا عن: المقصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، وشن دلال، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية (بسكرة)، جانفي 2010م، العدد 06، ص: 64.

وفي موسوعة شرح المصطلحات النفسية ورد: « قصد، عمد، سعى لهدف /intention/ وقصدي، عمدي /intentional/»⁽²⁾.

الملاحظ أنّ أصل مصطلح "المقصدية" مأخوذ من الجذر الثلاثي "قصد"، والذي يترجم في اللاتينية إلى (Intender) المستعمل بمعنى الشد أو المد والتوجه، وفي اللغات الإنجليزية والفرنسية تستعمل بمعنى الهدف، الغرض، الإرادة، النيّة والعزم.

وينبغي الإشارة في هذا المقام إلى التداخل بين مصطلح "القصدية" و"المقصدية" والذي ولد لدى الدارسين عددا من المفاهيم تعود كلها إلى الجذر اللغوي (قَصَدَ) ويمكن حصرها في:⁽³⁾

-المفهوم الأول: المقصدية مصدر ميمي مبدوء بميم زائدة مصاغة من الفعل الثلاثي "قَصَدَ" على وزن(مَفْعَل)، تختلف عن المصدر الصناعي القصدية في أنّها نشاط قصدي يتعلق بمنهج الخطاب وتوجهه الواعي صوب الهدف المقصود في حين أنّ القصدية تتخذ أبعادا متعددة كونها تتعلق بالنص.

-المفهوم الثاني: ينطلق من مقارنة "شلاير ماخر(shleirmache)" من أنّ القصدية من جانب الذات تتعلق بالمؤلف وبوعيه وبطرائق تعبيره بوصفه المالك لسلطة القول، والمقصدية ترتبط بالموضوع فهي تخص الخطاب وهي أساس التفرقة بين الخطاب الأدبي وغيره من الخطابات الأخرى.

-المفهوم الثالث: يساوي بين القصدية والمقصدية في الاستعمال، ويؤمن بأنّه لا يمكن فهم قصدية المؤلف بعيدا عن قصدية النص.

1- معجم اللغات الوسيط -إنجليزي، فرنسي، عربي-، جروان السابق، دار السابق للنشر والتوزيع -بيروت- ط1،(دت)، ص:491.

2- موسوعة شرح المصطلحات النفسية- إنجليزي-عربي، لطفي الشربيني، تقديم: حسين عبد الرزاق الجزائري، دار النهضة العربية-بيروت-، ط1، 2001م، ص: 180.

3- القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، وسام مرزوقي، قوتال فضيلة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب(تمراست)، 2019م، العدد01، المجلد 08، ص: 173.

ويعبر عن "المقصدية" بمصطلحين:

الأول: الغاية أو الغرض فتعرّف على «أتمّ الغاية أو الهدف النصي من وراء إنتاج العمل الأدبي الذي يعد عاملاً أساسياً في تكوين المقاصد وجسراً يصل بين المؤلف والمتلقي للمساهمة في صناعة قرار لغوي، ففي تضافر هذه العناصر سبيل لفك شفرته وتحديد سيرورة دلالاته ذلك أنّ العناصر المساهمة في تكوين النص هي عناصر متحركة تتميز باللاثبات وتدفع باتجاه رسم مؤشرات للمقاصد الكامنة وتحديد الدلالات وتوليدها». (1)

ولعل ما يؤكد هذه النظرة الدكتور "مصطفى ناصف" بقوله: «ويعبر عن المقصدية أو المقصد بألفاظ من قبيل الغرض والحاجة». (2)

فالمقصدية تشير إلى هدف منتج النص، والتي يسعى المتلقي إلى استجلائه من خلال الاعتناء بالدوال المبتوثة في النصوص وبمختلف القرائن الخارجية والنصية، فمعتقدات وتصورات ومرجعيات المتكلم الفكرية والمعرفية تعد مرتكزا يستند عليه المتلقي لبيان مقاصد النص، وقد عبّر عنها "طه عبد الرحمن" بالمعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب، وهي شرط قوي وفعال لتحقيق التواصل بين المتخاطبين.

والمقصدية باعتبارها غاية وهدفا فهي «تحدد كيفية اختيار الوزن، والألفاظ الملائمة، وتركيبها بطرق معينة لتؤدي الغرض العام المتوخى. ولذلك نجد البحر الواحد ينظم فيه الشاعر مدحا أو فخرا أو هجاء أو رثاء... فالمقصد يتحكم في نسج القصيدة أو المقطوعة بل في البيت أو شطره مبنئ ومعنى، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ، والنظم، والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان

1- المقصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، وسام مرزوقي، قوتال فضيلة، ص: 173.

2- اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة-الكويت، (دط)، 1995م، ص: 11.

المقصد النسب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة من جميع ذلك .
وكذلك سائر المقاصد»⁽¹⁾.

الثاني: المعنى، فالنص أو الخطاب هو نسيج مشكل من مجموعة من التراكيب والتي تتضمن أكثر من مستوى وتفصح عن كم هائل من الدلالات والمعاني التي يطرحها المؤلف، ولذا فالمقصدية هي المعنى المستفاد من تلك التشكيلة اللغوية، والتي يتغني إيصالها إلى متلقيه.

فالمقصدية هي تلك المعاني الحاصلة في الأذهان حول موضوع ما، والتي يجد لها المتكلم ألفاظا تتمظهر فيها، ويتوخى استراتيجية لغوية تمكنه من نقل هذه المعاني إلى متلقيه، ومن هذا الجانب فإن مهمة القارئ لا يمكن قصرها على استقبال النص وإدراك هذه المقاصد، فهو طرف فاعل في الخطاب يمكنه تجديد النص وتخصيب معانيه وتحويله إلى رؤية أخرى.

1- في سيمياء الشعر القديم-دراسة نظرية وتطبيقية-، محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع(دم)، (دط)، 1989م، ص: 53-54.

2- مفهوم الخطاب:

أ- في المعاجم اللغوية

ب- في اصطلاح اللسانيين

2- مفهوم الخطاب:

أ- في المعاجم اللغوية:

يجل مصطلح "الخطاب" في المعاجم اللغوية إلى عدّة معانٍ، فقد جاء في معجم "مقاييس اللغة" في مادة (خَطَبَ) « الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خَاطَبَهُ يخاطبه خطاباً، والخطبةُ من ذلك، وفي التّكاحِ الطلبُ أن يزوّج، قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة: 235)، والخطبةُ: الكلامُ المخطوبُ به. ويقال: اختطبَ القومُ فلاناً، إذا دَعَوْهُ إلى تزوج صاحبتهُم، والخطبُ: الأمرُ يقعُ؛ وإنّما سُمي بذلك لما يقعُ فيه من التخاطبِ والمراجعةِ». (1)

وورد في "أساس البلاغة": « خَطَبَ: خَاطَبَهُ أَحْسَنَ الخِطَابِ، وَهُوَ المُوَاجَهَةُ بالكَلَامِ. وَخَطَبَ الخَطِيبُ خُطْبَةً حَسَنَةً. وَخَطَبَ الخَاطِبُ خُطْبَةً جَمِيلَةً. وَمِنَ الحِجَازِ: فَلَانٌ يَخْطُبُ عَمَلٌ كَذَا: يَطْلُبُهُ، وَقَدْ أَخْطَبَكَ الصَّيْدُ فَارْمِهِ، أَي: أَكْثَبَكَ وَأَمَكَّنَكَ، وَأَخْطَبَكَ الأَمْرُ، وَهُوَ أَمْرٌ مُخْطَبٌ، وَمَعْنَاهُ أَطْلَبَكَ مِنْ طَلَبْتِ إِليه حَاجَةً فَأَطْلَبْنِي» (2). وقد أشار "ابن منظور" إلى معاني هذه المادة بقوله: « خَطَبَ، الخُطْبُ، الشَّأْنُ أَوْ الأَمْرُ، صَعُرُ أَوْ عَظْمٌ؛ وَقِيلَ: هُوَ سَبَبُ الأَمْرِ. يُقَالُ: مَا خَطَبَكَ؟ أَي مَا أَمْرَكَ؟ وَتَقُولُ: هَذَا خَطَبٌ جَلِيلٌ، وَخَطَبٌ يَسِيرٌ. وَالخُطْبُ: الأَمْرُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ المَخَاطَبَةُ، وَالشَّأْنُ وَالْحَالُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلَّ الخُطْبُ، أَي عَظُمَ الأَمْرُ وَالشَّأْنُ... وَالخُطَابُ وَالْمَخَاطَبَةُ: مَرَاجَعَةُ الكَلَامِ، وَقَدْ خَاطَبَهُ بِالكَلَامِ مَخَاطَبَةً وَخُطَاباً، وَهُمَا يَتَخَاطَبَانِ». (3)

1- مقاييس اللغة، ابن فارس، ج: 02، ص: 198.

2- أساس البلاغة، الزخشري، ج: 01، ص: 255.

3- لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، دار المعارف - القاهرة، (دط)، (دت)، ج: 02، ص: 1194.

نلاحظ مما سبق أنّ مصطلح "الخطاب" في المعاجم اللغوية يدل على الكلام أو الحوار الذي يجري بين شخصين اثنين حول موضوع ما، كما تحمل مشتقات هذه اللفظة دلالات أخرى منها: الأمر الجلل، الطلب...إلخ.

والمتدبر لكلام الله يجد أنّه قد احتوى على مادة (خطب) ومشتقاتها، وذلك في إثنا عشر موضعا. (1)

ب- في اصطلاح اللسانيين:

يعتبر هاريس (Z.HARRIS) بإجماع اللسانيين أول من حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني يجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب من خلال بحثه المعنون بـ "تحليل الخطاب". (2)

وقد عرّفه بأنّه: «ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض» (3)، فالخطاب بمفهوم "هاريس" يتعدى مستوى الجملة إلى سلسلة متوالية من الجمل.

كما قدّم "بنفنست" تعريفا للخطاب والذي مفاده «هو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما». (4)

فالملاحظ من خلال تعريف "بنفنست" للخطاب أنّه قد أضاف صفة التأثير في المتلقي، فالمتكلم يسعى من خلال اللّغة إلى تحقيق هدف أساسي وهو التواصل، ولكن

1- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص: 235.

2- ينظر: تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي-بيروت، ط3، 1997م، ص: 17.

3- المرجع نفسه، ص: 17.

4- المرجع نفسه، ص: 19.

"بنفنست" قد تجاوزها إلى التأثير وهو ما ركزت عليه اللسانيات التداولية، كما حصر دائرة الخطاب بحيث جعله يقتصر على الكلام المنطوق باستعمال العلامات اللغوية.

و"الخطاب" من منظور "شارودو" (p.CHARAUDEAU) «ما تكوّن من ملفوظ أو حديث في مقام تخاطبي، وأنّ هذا الملفوظ أو الحديث يستلزم استعمالاً لغوياً عليه إجماع؛ أي قد تواضع عليه المستعملون للغة، وأنّ هذا الاستعمال يؤدي دلالة معينة»⁽¹⁾، ففي هذا التعريف نجد "شارودو" قد أضاف خصائص أخرى مميزة تدخل في البنية التشكيلية للخطاب، والتي تتمثل في السياق، وتواضع الجماعة اللغوية .

ويعرّف "ميشال فوكو" (M.FOUCAULT) الخطاب على أنّه «مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ، بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي نستطيع تحديد شرط وجودها»⁽²⁾.

الملاحظ من خلال هذه التعاريف التي تمّ إيرادها حول "الخطاب" أنّ الباحثين اللسانيين قد اختلفوا حول مدلوله فمنهم من قصره على اللغة المنطوقة، ومنهم من اتخذ الظروف التي تحف العملية التواصلية (السياق - المقام) أحد أهم محددات الخطاب، في حين ركز البعض الآخر على الهدف من إنتاج الخطاب.

1- في تعليمية الخطاب العلمي، بشير إبرير، مجلة التواصل (عناية)، عدد 8 جوان 2001م، ص: 76.

2- حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي-بيروت، ط2، 1987م، ص: 108.

3- مفهوم استراتيجيات الخطاب:

أ- الاستراتيجية مصطلحا:

يمارس الإنسان في حياته اليومية أفعالا كثيرة ومختلفة والتي من خلالها يثبت وجوده وانتماءه لهذا المجتمع، وهذه الأفعال التي يقوم بها يبتغي من وراءها تحقيق أهداف وغايات بعينها، وهذه الأهداف لا يمكن تحقيقها خارج نطاق منظومته الاجتماعية بل يساعده في ذلك سياق المجتمع الذي ينتمي إليه، وعليه فإنه يتخذ طرائق وأساليب معينة تتناسب مع السياق لبلوغ تلك الأهداف بشكل سليم ويُصطلح على هذه الطرق "بالاستراتيجيات"⁽¹⁾.

وباعتبار أنّ مصطلح "استراتيجيات الخطاب" يتكون من مركب إضافي، فقد بات من الضروري تحديد مفهوم كليهما على حدة؛ لكون هذا المصطلح يحمل قدرا من اللبس بسبب اقترانه بالعديد من المجالات المعرفية والحضارية، ثم التأليف بين هذين المفهومين قصد الانتهاء إلى تحديد مفهوم استراتيجيات الخطاب بمنهج يخدم الوجهة التداولية، والتي يقتضيها موضوع البحث.⁽²⁾

وعند النظر في مصطلح "الاستراتيجية" نجد أنّه غير عربي الأصول، فهو دخيل على اللغة العربية، فتذهب أغلب المعجمات والموسوعات إلى « أنّ أصل كلمة "استراتيجية" في "الفرنسية (stratégie)" وفي "الإنجليزية (strategy)" مشتقة أصلا من الكلمة اليونانية "ستراتيجوس (strategos)" وتعني فن قيادة الحرب عند الجنرال،

1- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 52

2- ينظر: استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران أنموذجا -مقاربة لغوية تداولية-، جيلي هدية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الأمين دباغين -سطيف 2-، 2016-2017م، ص: 47.

وتأتي بمعنى وضع الخطط لحماية الوطن وهزيمة الأعداء من خلال الاستخدام الفعال للموارد والقوى البيئية المحيطة»⁽¹⁾.

وعُرفت "الاستراتيجية" بأنها «طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهام، أو هي: تدابير موسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها»⁽²⁾.
وعُرفت أيضاً على أنها «فن توزيع واستخدام الوسائل العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية وبعبارة أخرى طرق استخدام القوة العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية»⁽³⁾.

فمن خلال هذه التعريفات تبين النشأة العسكرية لمصطلح "الاستراتيجية"، وارتباطها الوثيق بالحروب، والتي يقصد بها فن إدارة الحروب، ووضع الخطط وكيفية قيادتها وتنفيذ عملياتها لتحقيق النصر على الأعداء.

وبما أن "الاستراتيجية" مرتبطة بالخطوة «فهي ذات بعدين؛ أولهما: "البعْدُ التخطيطي"، وهذا البعد يتحقق في المستوى الذهني، وثانيهما: "البعْد المادي" الذي يجسد الاستراتيجية لتتبلور فيه فعلا. ويرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل الرئيس، فهو الذي يحلّل السياق، ويخطط لفعله، ليختار من الإمكانيات ما يفي بما يريد فعله حقاً، ويضمن له تحقيق أهدافه»⁽⁴⁾.

1- التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي ودوره في تلبية متطلبات التنمية المستدامة، أحمد محمود الزنغلي، مكتبة الأنجلو المصرية (دم)، (دط)، (دت)، ص: 42.

2- استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، عبد الرحمن العبدان، راشد الدويش، مجلة جامعة أم القرى (المملكة العربية السعودية)، العدد الخاص بالمناسبة المثوية لتأسيس المملكة العربية السعودية، 1998م، العدد 17، ص: 172.

3- الاستراتيجية الأمنية: أنواعها، تقنياتها ومتطلباتها، فضيل دليو، عاطف كلاع، الباحث الاجتماعي (قسنطينة 02)، 2017م، العدد 13، ص: 56.

4- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 53.

وبدخول مصطلح "الاستراتيجية" إلى ميادين متعددة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، اكتسب مفهوماً واسعاً ومعنى أعم حيث أصبح «يفيد كل عمل يتم القيام به بصفة منسقة لبلوغ هدف ما، لذا يتحدث الناس عن استراتيجية انتخابية واستراتيجية تجارية واستراتيجية سياسية، وباعتبارها مفهوماً فإنه يُستعمل استعمالاً مركزياً في فنون فكرية مختلفة في نظرية الألعاب وفي علم النفس العرفاني وفي علم النفس الاجتماعي وفي تحليل الخطاب».⁽¹⁾

و"الاستراتيجية" الناجحة تعتمد على اختيار الوسيلة الملائمة والكفيلة بتحقيق الهدف من بين الوسائل المتاحة، ولذا يتوجب على واضع الخطة أن يثبت براعته وأهليته في اختيار أفضل وأنجع الطرق، وتكييفها مع السياق فكلما كان اختيار الوسائل يتمشى مع السياق زادت فرص تحقيق هذه الأهداف.⁽²⁾

وإجمالاً يمكن القول أنّ "الاستراتيجية" تتعلق بإعداد الخطط بالدرجة الأولى، وتنصب على الاختيار الأمثل للوسائل والطرق قصد تحقيق غايات وأهداف محددة آنفاً، وتتم عملية التفاضل هذه بالاعتماد على السياق الذي تجرى فيه.

ب- استراتيجيات الخطاب:

هي «مجموعة القواعد التي يجب أن ترافق تواصل المرسل والمرسل إليه؛ كي يتم التواصل بنجاح».⁽³⁾

ويمكن أن تعرّف على أنّها «المسلك المناسب الذي يتّخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال

1- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغونو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، دار سيناترا-تونس، (دط)، 2008م، ص: 532.

2- ينظر: استراتيجيات التلميح ومقاصد الخطاب في بخلاء الجاحظ-دراسة تداولية-، صورية دحماني، مذكرة ماجستير (منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف-المسيلة-، 2015-2016م، ص: 21.

3- الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ناظم عودة خضر، دار الشروق للنشر-الأردن-، ط1، 1997م، ص: 154.

استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية، وفقاً لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل»⁽¹⁾.

وقد اصطلح النقاد القدامى على "استراتيجيات الخطاب" مصطلح "الاحتيايل" واعتبروه سلاح المتكلم للوصول إلى مبتغاه، ومفهوم "الاحتيايل" أو "الحيلة" عندهم يحمل شحنة إيجابية فهو مظهر من مظاهر الحدق والمهارة وأمانة من أمارات جودة النظر، ووسيلة لتحصيل المتكلم على مرغوبه.⁽²⁾

وحتى يتمكن المتكلم من اختيار الاستراتيجية المناسبة لخطابه لا بد أن يمتلك كفاءة تفوق "كفاءته اللغوية" وهي "الكفاءة التداولية".⁽³⁾

و"الكفاية اللغوية" (compétence linguistique) "أحد المصطلحات التي وضعها تشومسكي"^(*) في دراسته للغة ويقصد بها «معرفة المحادث (المتكلم السامع) للغة، أي معرفته الكامنة بقواعد لغته وقائمة وحداتها المعجمية».⁽⁴⁾

1- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 62.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 62.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 56.

*- أستاذ في اللسانيات وفيلسوف أمريكي، وأحد أبرز الشخصيات في القرن العشرين، كما يعد من أكثر مؤلفي العلوم شهرة، فقد ذكرت كتاباته حوالي 1619 مرة في قائمة المراجع العلمية من الفترة 1974 حتى 1992م، كذلك يعود إليه تأسيس نظرية "النحو التوليدي"، والتي تعتبر أهم إسهام في مجال اللسانيات في القرن العشرين، وقد تحصل على العديد من الجوائز والمنح، منها جائزة (kyoto) لعام 1988، وهي جائزة يابانية تقابل جائزة نوبل، قام تشومسكي " بنشر مايزيد على سبعين كتاباً وأكثر من ألف مقال في مجالات معرفية كثيرة منها: علم اللغة، والفلسفة، والسياسة، وعلوم الإدراك، وعلم النفس، ومن بين مؤلفات في "اللسانيات": "ملامح النظرية التركيبية 1965م"، "اللسانيات الديكارتية 1966م"، ينظر: فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي، هناء صبري، مكتبة العربي للمعارف-القاهرة-، ط1، 2015م، ص: 11، بيان اللغة، نعوم تشومسكي، ترجمة: إبراهيم الكلثم، جداول للنشر والتوزيع-بيروت-، ط1، 2017م، ص: 11.

4- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي -بيروت- ط2، 2007م، ص: 148.

"الكفاية اللغوية" ينظر إليها على أنها ملمة المتكلم لكل الجوانب المهمة التي تخص لغته كإحاطته بالقواعد النحوية والصرفية باعتبارها من الأساسيات التي يستطيع من خلالها تأليف وتشكيل جمل وتراكيب لغوية سليمة من حيث بنيتها تؤدي معنى. ونظراً لارتباط هذه الكفاية بالجانب النحوي فقد انتقدت من طرف ثلة من العلماء أمثال "فان ديك"^(*)، و الذي أطلق ما يسمى "بالكفاءة التداولية (التواصلية)".⁽¹⁾

ويقصد "بالكفاءة التداولية" مقدرة المتكلم على إنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصالية.⁽²⁾

وتعد "الكفاءة التداولية" مكوناً فاعلاً ضمن تكوين الإنسان السوي كما هي "كفاءته اللغوية"، إلا أنّ "الكفاءة التداولية" ليست نسقاً بسيطاً، بل هي أنساق متعددة ومتآلفة، حيث تتألف هذه الكفاءة لدى مستعمل اللغة من خمس ملكات على الأقل، وهي "الملكة اللغوية" و"الملكة المنطقية" و"الملكة المعرفية" و"الملكة الإدراكية" و"الملكة الاجتماعية".⁽³⁾

1- الملكة اللغوية: يستطيع مستخدم اللغة من إنتاج وتأويل عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جداً ومعقدة في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

*- من علماء اللسانيات البارزين، وهو هولندي الجنسية، ولد سنة 1943م، كانت أبحاثه الأولى تدور حول "الدراسة اللسانية للآداب"، ثم ما لبث أن تحوّل إلى تطوير دراسة (ضروب نحو النص)، وتداولية الخطاب، كما كانت له إسهامات في النظرية التداولية، وهو الآن يشتغل أستاذاً لدراسات الخطاب في جامعة "أمستردام"، ينظر: النص والسياق - استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق - المغرب، (دط)، 2000م، ص: 9-10.

1- ينظر: استراتيجيات الخطاب النورسي ومقصدياته من خلال المثنوي العربي السوري - مقارنة تداولية -، عايش محمد الهادي، مجلة العلوم الإنسانية (قسطنطينة)، جوان 2018م، العدد 49، المجلد "ب"، ص: 196.

2- النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجماعي - القاهرة -، (دط)، 2014م، ص: 42.

3- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 57.

2- الملكة المنطقية: وهي قدرة مستعمل اللّغة الطبيعية على اشتقاق معارف متنوعة بواسطة قواعد تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

3- الملكة المعرفية: يستطيع مستعمل اللّغة أن يكون رصيذا من المعارف المنظمة ويخزنها، وعند الحاجة يقوم باستحضارها لاستعمالها في تأويل العبارات اللّغوية.

4- الملكة الإدراكية: يتمكن مستعمل اللّغة من إدراك محيطه، وأن يشتق من إدراكه معارف، وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللّغوية المختلفة وتأويلها.

5- الملكة الاجتماعية: وهي معرفة وضبط الطريقة التي ينبغي أن يخاطب بها مخاطبا معيّنا في موقف تواصلية معيّن، قصد تحقيق هدف تواصلية محدد.

وبعد ذلك اقترح "فان ديك" أن تصنّف هذه الملكات الخمس إلى قوالب بحيث يختص كل قالب بوصف ملكة معينة، وهذه القوالب الخمس هي: "القالب اللّغوي"، و"القالب المعرفي"، و"القالب المنطقي"، و"القالب الإدراكي"، و"القالب الاجتماعي".⁽¹⁾

وقد قسّم "أحمد المتوكل" تبعاً لـ"فان ديك" هذه القوالب انطلاقاً من الأدوار التي تؤديها إلى قسمين، قسم سمّاه قوالب "الآلات" حيث يضم "القالبين اللّغوي والمنطقي"، وقسم آخر سمّاه "قوالب المخازن" فيندرج تحته "القالب المعرفي"، و"القالب الإدراكي"، و"القالب الاجتماعي". ويكمن الفرق بين الفئتين، في أنّ "قوالب الآلات" تقوم بإنتاج العبارات اللّغوية وتأويلها، بينما يقتصر دور "قوالب المخازن" على إمداد الأولى بما تحتاجه في عمليات الإنتاج والتأويل من عمليات غير لغوية.⁽²⁾

1- ينظر: قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية-البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي-، أحمد المتوكل، دار الأمان -الرباط-، (د ط)، 1995م، ص: 22.

2- المرجع نفسه، ص: 30.

ولذا يمكن القول أنّ "قوالب الآلات" ضرورية لكونها المصدر الرئيسي لإنتاج العبارات اللغوية، أما "قوالب المخازن" فهي بمثابة معين للأولى حيث تقوم باحتفاظ وادّخار ما أمكن من الجمل والتراكيب اللغوية لمختلف المواقف التواصلية، وإمداد "قوالب الآلات" بما تحتاجه.

والباحث في المصنفات العربية القديمة يجد ما يقرب من هذا التصنيف للملكات الذي وضعه كل من "فان ديك" و"أحمد المتوكّل" عند "حازم القرطاجني" (ت684هـ) في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، وقد أطلق عليها مصطلح "القوى".⁽¹⁾

وقد اشترط "حازم القرطاجني" توافر هذه القوى حتى تجود صنعة الشاعر حيث قال: «ولا يكمل لشاعر قول على الوجه المختار إلا بأن تكون له "قوة حافظة" و"قوة مائزة" و"قوة صانعة"». ⁽²⁾

وبالنظر إلى هذه القوى، نجد أنّ "القوة الحافظة": تكوّن خيالات الفكر فيها منتظمةً ومرتبةً ومحفوظة؛ لإمداد المرسل ما يناسبه في سياق مخاطبه، فإذا أراد مثلاً أن يقول غرضاً ما في نسيب أو مديح أو غير ذلك. أما "القوة المائزة" فيميّز بها المرسل ما يلائم الموضوع والنّظم والأسلوب والغرض مما لا يلائم وما يصح ومما لا يصح. وأخيراً، تتولى "القوة الصانعة" العمل في ضم المعاني والتراكيب التنظيمية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض، والتدرج بها حتى تكتمل كليات هذه الصناعة. ⁽³⁾

وهذه "القوى" أو "القوالب" لا تعمل بنفس الوتيرة في بناء نمط معيّن من الخطاب إذ «يتفاوت حجم عملها في صنع الخطاب من سياق لآخر، إذ يمكن أن

1- ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني حازم أبو الحسن، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط3، (دت)، ص: 42.

2- المرجع نفسه، ص: 42.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 42-43.

تعمل كلّها في آن واحد، وبدرجات متفاوتة، كما قد لا يعمل إلا بعض منها، ويتّضح عند "القرطاجني" أنّ عملها يتبلور في مراحل زمنية متتالية»⁽¹⁾.

ومما سبق تبين أهمية "الكفاءة التداولية (التواصلية)" بإضافتها إلى "الكفاءة اللّغوية"؛ لأنّ الثانية (الكفاءة اللّغوية) هي المعرفة بقواعد اللّغة لتكوين بنى لغوية صحيحة، ولذا فهي تقوم بوصف ما يستطيع أن يفعله المرسل والمرسل إليه في لغة معيّنة، بينما تقوم قوانين التواصل (الكفاءة التداولية) بوصف ما يستحسن فعله، واختيار الاستراتيجية المناسبة لموقف ما، والآليات الملائمة له.⁽²⁾

وعليه يمكن الخلوص إلى أنّ كل من الكفاءتين لهما دور مهم في العملية التواصلية، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما، "فالكفاءة اللّغوية" لا تكفي وحدها للقيام بعملية التواصل، فهي تتوقف على قدرة المتكلم المتمكن من معرفة اللّغة والتحكم في قواعدها من تنويع في أساليب الكلام، فلذا يجب أن تدعّم "بالكفاءة التداولية (التواصلية)" فهي تتجاوز محاكاة الجمل والتراكيب اللّغوية إلى معيار النحو الذي يضمن سلامة بنيتها نحوياً إلى توخي المتكلم استخدام اللّغة في سياق معيّن، فيوافق بين المنطوق والموقف الكلامي لإنجاح عملية التواصل.

و"الكفاءة التداولية" «تمكن المتلقي من فهم القصد، حتى وإن لم تكن البنية السطحية للخطاب كذلك كما في المثال التالي: "الجو حارٌ هنا" فالسيد عندما يقول لحادمه "الجو حار هنا" قد يقصد بذلك في ظل اشتراطات معينة-أن يطلب إقفال النافذة بطريقة غير مباشرة، وإدراك المتكلم أنّ هذه الجملة المعينة في ظل اشتراطات

1- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 58.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 59.

الكلام تفي بالغرض في نقل طلبه إلى خادمه بأن يقفل النافذة دون أن يخبره فعلا بأن يفعل ذلك تعكس كفايته التداولية». (1)

فالمخاطب وبما لديه من قدرات تداولية فهم قصد المرسل وتنبّه إلى أنّ الخبر طلي، وإن عد خبرياً في الوهلة الأولى، كما ينبغي التنبيه بأنّه لولا اشتراطات معينة كإدراكهما للعلاقة بينهما، وإدراكهما الارتباط بين برودة الجو وفتح النافذة، وشعورهما بعدم ملائمة الخبر في مثل هذا الموقف لما سمح للمرسل أن ينتج خطابه بهذه الصورة فهو من قبيل "الكفاية التداولية". (2)

وبهذا ندرك أنّ "استراتيجية الخطاب" هي نتيجة لصنعة "الكفاءة التداولية"، وهذه "الكفاءة التداولية" متفاوتة في مستواها بين الناس، فمنهم من يستطيع توصيل هدفه، بينما يخفق أحدهم ومرد ذلك إلى أنّ الخطاب في قسمه الأكبر هو كلام، إلاّ أنّه يجري مجرى الفعل. (3)

وبعد كلّ ما سبق ذكره يمكن تعريف "استراتيجيات الخطاب" بأنّها: الطرق التي يسلكها المتكلم للتعبير عن مقاصده وتحقيق أهدافه مستعملاً في ذلك العلامات اللغوية وغير اللغوية، مراعيًا في ذلك مقتضيات سياق التخاطب، وأحوال المخاطبين. والاختيار الأمثل للمسالك التي يتكوّن منها الخطاب ويتأسس عليها ينبئ على "الكفاءة التداولية" التي يمتلكها المتكلم، وهذه "الكفاءة التداولية" عبارة عن قدرات ذهنية تُكتسب عن طريق الدربة والممارسة.

1- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد يونس علي، ص: 149.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 149.

3- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 61.

ثانيا- المقصدية في الدراسات الغربية :

أ- المقصدية عند هوسرل في المنهج الظاهراتي.

ب- المقصدية عند جون سيرل.

ت- المقصدية في المعنى عند غرايس.

ث- المقصدية والتداولية.

ج- المقصدية ونظرية أفعال الكلام.

ح- المقصدية والسياق.

ثانياً- المقصدية في الدراسات الغربية:

يكاد يجمع الباحثون على أنّ مصطلح "المقصدية" قد أحيى لأول مرة على يد الفيلسوف "فرانز برنتانو" (Franz Brentano)^(*) في كتابه "علم النفس من وجهة نظر تجريبية" عام 1874م، والذي يعد مصدر التفكير الفلسفي في العقل والمقصدية في الفكر الأوروبي المعاصر، كما تعتبر المقصدية من أشهر نظرياته على الإطلاق.⁽¹⁾

وقد انطلق "فرانز برنتانو" في تأسيس نظريته من فرضية مفادها «أنّ كل الظواهر العقلية يتّجه الوعي بها نحو مضمون ما، أو موضوع ما بطريقة أو بأخرى، ففي التمثل شيء ما متمثل، وفي الحكم شيء ما مثبت أو منفي، وفي الحب شيء ما محبوب، وفي الكره شيء ما مكروه، وفي الرغبة شيء ما مرغوب... بهذا يكون الوجود القصدي للموضوع هو الصفة الأساسية التي تميز الظاهرة العقلية عن الظاهرة الطبيعية». ⁽²⁾

ولقد كانت أفكار "فرانز برنتانو" هي الأساس التي انطلق منه أغلب الفلاسفة حيث «مثل بفكره موقفاً وسطاً بين اتجاهين فلسفيين تقليديين سائدين في الفلسفة الغربية هما: الفلسفة الأوروبية والفلسفة التحليلية السائدة في البلدان الناطقة بالإنجليزية عدا

*- فيلسوف مثالي ألماني نمساوي ولد في 16 يناير 1838م في "مارينبرغ" بألمانيا، وتوفي في 17 مارس 1917م، كان ينتمي إلى أسرة ذاع صيتها في عالم الأدب، أسهم بإضافات مهمة في ميدان علم النفس، عمل كمدرس فترة من الزمن في جامعة "فيينا"، من أهم ما ألف كتاب "علم النفس من الوجة التجريبية" في سنة 1874م، و"مصدر المعرفة الأخلاقية" في سنة 1899م، وعندما كان اهتمامه الأساسي منصباً على علم النفس التجريبي فقد أنشأ مذهباً مثاليّاً عن غائية الظواهر العقلية، وكان لآرائه تأثير كبير على هوسرل ومور، ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة-بيروت-، ط3، 2006م، ص:169.

1- ينظر: الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالات في الفلسفة النمساوية، عز العرب لحكيم بناني، الدار البيضاء-المغرب-، ط2، 2013م، ص:56 نقلاً عن: قصيدة الخطاب في البيان والتبيين للجاحظ، مهدي حسن نصر الله، مذكرة ماجستير(منشورة)، كلية الآداب واللغات، الجامعة المستنصرية (العراق)، أبريل 2015-2016م، ص: 42.

2- المفهوم الفينومينولوجي للنظرية المقصدية عند هوسرل، محمد فرحة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية (تشرين)، 2009م، العدد01، المجلد 31، ص:95.

بريطانيا. ففي الفلسفة الأوروبية نجد "الفلسفة الظاهرية" التي ارتقى بها "أدموند هوسرل" إلى درجة النسقية والتنظير هي تطور لأفكار "فرانز برنتانو" عن "القصدية"، وفي "الفلسفة التحليلية" نجد أنّ القاسم المشترك بينهما وبين نظيرتها في أوروبا هي السمة القصدية للأفعال العقلية مع اختلاف في التطبيق والتفسير، واتخذ مفهوم "القصدية" منذ ذلك الحين معنيين اثنين سارا في اتجاهين متباينين مع أسبقية أحدهما عن الآخر واستفادة ثانيهما من الأول ونعني بهما: "ظاهراتية هوسرل"، و"قصدية سيرل"⁽¹⁾.

أ- القصدية عند "أدموند هوسرل" في المنهج الظاهراتي:

يجمع الباحثون على أنّ أول من استعمل لفظة "الفينومينولوجيا" (laphenomenologie) الفيلسوف الألماني "جوهان هانوتش لامبرت" (j.H.lambert) في كتابه (leipzig Neuesorganon 1764) في ألمانيا، ثم استعملها مجموعة من الفلاسفة أمثال "كانط"، "هيجل"، "رينو فيه"، "وليام هاملتون" وغيرهم.⁽²⁾

ولقد مثل "أدموند هوسرل" (Edmond Hossler)^(*) الشخصية البارزة والمؤسسة للفلسفة الظاهرية أو الفينومينولوجيا، وأول من استعمل المصطلح للدلالة على منهج فكري واضح المعالم، والتي كانت نتيجة تأثره بأفكار أستاذه "فرانز برنتانو" فحاول الارتقاء

1- الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالات في الفلسفة النمساوية، عز العرب الحكيم بناني، ص: 9
نقلا عن: القصدية في الموروث اللساني العربي (دراسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية)، دلال وشن، أطروحة دكتوراه (منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر (بسكرة)، 2016-2017م، ص: 12.

2 - ينظر: مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، انطوان خوري، دار التنوير - بيروت، ط1، 1984م، ص: 35.

*- فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهريات، ولد في 8 أبريل 1859 في مقاطعة مورافيا في تشيكوسلوفاكيا، درس الفلك والرياضيات والفيزياء والفلسفة في برلين وأنهى دراسته في فيننا، كلف بإلقاء الدروس في جامعة هاله وأعد أطروحته حول فلسفة العدد، من أبرز مؤلفاته: أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص والفلسفة الظاهرية، علم الحساب الذي صدر عام 1981م، فكرة الفينومينولوجيا، مباحث منطقية والذي يقع في مجلدين، توفي في 27 أبريل 1938 بمسقط رأسه، ينظر: مباحث منطقية مقدمات في المنطق المحض، أدموند هوسرل، ترجمة: موسى وهبة، المركز الثقافي العربي - بيروت، ط1، 2010م، ص: 01.

بالمقصدية من الصعيد السيكلوجي الصريف إلى مشارف الفلسفة الفينومينولوجية الترانسندنتالية التي أصبح من شأنها، فيما بعد أن طبعت القرن العشرين بروحية منهجيتها.⁽¹⁾

ونعني "بالفينومينولوجيا" «علم الظواهر، وقد استعملت أولاً في ميدان علم النفس لتدل على الظواهر السيكلوجية (الرغبة، الإدراك، الإحساس...) ومظاهر الوعي في محتواه النفسي والقائمة على ملاحظة ووصف الظاهرة، أما في إطارها الفلسفي والأنطولوجي فتعني تحديد بنية الظواهر وشروطها العامة بمعنى مشكل الظهور أو الانبثاق (أي ظاهرة كانت) الذي يتصل أول وهلة اتصالاً مباشراً بالوعي. فأول التقاء للوعي الذي أثارته وجلبت انتباهه ظاهرة معينة هو صلب المسائل التي تحاول "الفينومينولوجيا" معالجتها».⁽²⁾

وتهدف "الفينومينولوجيا" عند "أدموند هوسرل" إلى وصف عملية الإدراك وتحليل الشعور لاكتشاف الماهيات الكلية الكامنة فيه التي تقوم عليها كل معرفتنا وعلومنا، ولتحديد الماهيات ووصفها؛ يلتجئ "أدموند هوسرل" إلى أحد المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها المنهج الفينومينولوجي والذي استعاره من "فرانز برنتانو" وهو مفهوم "المقصدية".⁽³⁾

ومعنى "المقصدية" التي تأسس عليها "المنهج الهوسرلي" هي «أنّ الوعي هو دوماً وعي بشيء ما، فمن غير الممكن دراسة الوعي بشكل مستقل عن الموضوع ولا دراسة الأشياء في استقلال عن الوعي، إذ الموضوع يستمد معناه من الوعي الذي يقصده. وعليه تصبح الماهية مرتبطة بانفتاح الوعي على الموضوع ولا وجود لها خارج ذلك الوعي. وهذا ما يجعل الفينومينولوجيا تحدث خلخلة جذرية في طرح السؤال الفلسفي إذ تنقله من سؤال الماهية إلى سؤال المقصدية. لكن الماهية التي يقصدها التحليل الفينومينولوجي ليست ثابتة

1- مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، انطوان خوري، ص: 35.

2- تأويلات وتفكيكات، محمد شوقي الزين، منشورات ضفاف-بيروت، (دط)، 2015م، ص: 50.

3- ينظر: المفهوم الفينومينولوجي للنظرية المقصدية عند هوسرل، محمد فرحة، ص: 94.

بل تتميز بطابع ديناميكي، فهي ليست مستقلة عن الوعي الذي يقصدها ولا عن الموضوع الذي تؤسسه. فهي تقتضي إذن الإقرار بوجود تلازم بين الذات والموضوع، وهذا التلازم هو الذي تطلق عليه الفينومينولوجيا "القصدية"⁽¹⁾.

لذلك فمعظم الأحداث التي تصنع حياتنا كالاقتادات والآمال والمخاوف... إلخ تقوم على قصدية الوعي، فهي تتوجه منه إلى الموضوع المركز عليه في العالم الخارجي، فعلى سبيل المثال: في الغابة توجد الكثير من الأشجار إلا أنّ قصدية الوعي تتجه مباشرة إلى شجرة محددة من طرف الوعي لا إلى شجرة أخرى، وعندما أمل بالألا تحدث الحروب النووية أبداً، أمل في حالة المستقبل الممكنة للعالم.⁽²⁾

وعليه فالقصدية وفق "المنهج الظاهراتي" أو "الفينومينولوجي الهوسرلي" تتأسس على الارتباط بين الذات والموضوع، ويكون الوعي باستمرار متجها نحو الموضوعات المفكر فيها.

ويرى "أدموند هوسرل" «بتأثير من فلسفته القصدية أنّ النص الأدبي إنّما يحركه قصد مبدعه... وضمن هذا الإطار الفلسفي فإنّ النص الأدبي سيكون تجسيدا محضاً لمظاهر العالم والحياة كما تجلت في وعي المؤلف، وسوف يتثبت المعنى في هذا النص مرة واحدة وإلى الأبد، وهو يتطابق مع "الموضوع الذهني" الذي يحمله المؤلف في عقله، أو "يقصده" وقت الكتابة، وهكذا يصبح عقل المؤلف الجوهر الموحد لكل عناصر النص وكل مستوياته الدلالية والأسلوبية والبلاغية والشعرية... إلخ».⁽³⁾

فانطلاقاً من الفكرة التي أثارها "أدموند هوسرل" في منهجه "الفينومينولوجي" القائم على "القصدية"، والتي تركز بشكل خاص وواضح على العلاقة بين الذات

1- المفهوم الفينومينولوجي للنظرية القصدية عند هوسرل، محمد فرحة، ص: 94.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 94-95.

3- من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة (دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة)، عبد الكريم شرقي، الدار العربية للعلوم - منشورات الاختلاف، بيروت -، الجزائر، ط1، 2007 م، ص: 104-105.

والموضوع حاول نقل تلك الرؤية إلى النصوص الأدبية، فالنص الأدبي وفق منهج "أدموند هوسرل" لا يمكن أن ينفصل عن ذات مؤلفه ووعيه، والنص الأدبي عندما يتخذ بنية وتشكيلة معينة من حيث مفرداته ونظم تراكيبه وصوره وانزياحاته إنما هو نابع من ذات مؤلفه وأفعاله القصدية.

وبذلك يكون "أدموند هوسرل" قد تجاوز المنهج الديكارتي الذي يقوم على مبدأ عزل الموضوع عن الذات، أي أنّ الذات تفكر في نفسها، وعبارته الشهيرة التي تبناها في الكوجيتو "أنا أفكر، إذن، أنا موجود" لم تحمل في ثناياها موضوع تفكيرها، بل أبقى ديكارت على الفكر معلقاً دون موضوع... فغيب عليه أنّه لا يقر بموضوع ما كمادة لتفكير... وقد انتهى إلى أن جعل الذات المفكرة تفكر في نفسها.⁽¹⁾

فديكارت قد جعل الظواهر والموضوعات متعلقة بالذات وأهمّل الموضوع، ورفض فكرة أنّ الوعي يتجه نحو الأشياء، وهو الأمر الذي تداركه "أدموند هوسرل" فأعاد الاعتبار للموضوع، وأقام منهجه الفينومينولوجي الظاهراتي على مبدأ قصدية الوعي انطلاقاً من الذات نحو الموضوع.

وخلاصة يمكن القول «إنّ التفكير لا بد أن يكون تفكيراً في شيء ما، وكذلك الشعور لا بد أن يكون شعوراً بشيء ما، ولا يوجد في الحقيقة تفكير مجرد أو شعور خالص. إنّ الخاصية الأساسية للشعور هي الاتجاه دائماً نحو إدراك الأشياء المواجهة له،

1- ينظر: النقد الفلسفي للذات المفكرة عند ديكارت، المولدي عز الدين، الوسيط للنشر - تونس -، (دط)، 2008م، ص: 34 نقلاً عن: الخطابة العربية في العصر الأموي بين المقصدية والتأويل - مقارنة تداولية -، حسين بوبلوطة، أطروحة دكتوراه علوم (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة 01 -، 2018-2019م، ص: 89.

وهذا هو الذي يطلق عليه "أدموند هوسرل" قصدية الشعور، ويصبح الكوجيتو الديكارتي عند "أدموند هوسرل"، هكذا "أنا أفكر في شيء ما، إذن أنا موجود".⁽¹⁾

ب- القصدية عند جون سيرل:

لقد تجاوز "جون سيرل" John searl^(*) المفهوم الفينومينولوجي للقصدية سواء في شكله المفارق الترانسندنتالي (هوسرل) أو في شكله الوجودي (هايدجر)، وعمل على تطوير مصطلح القصدية.⁽²⁾

ويعد الفيلسوف اللغوي "جون سيرل" «من أبرز الفلاسفة في هذا العصر، وفي العصور التي سبقتة، انشغالا بالقصدية، تفكيراً، وتأليفاً، واحتجاجاً لآرائه المخالفة للتقاليد الفلسفية السابقة، وهو من أهم الفلاسفة الذين منحوا المقصدية بعدا تداولياً، من خلال اهتمامه بقدرة العقل على تمثيل الواقع، وربطه للفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام بالقصد».⁽³⁾

1- الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، سماع رافع محمد، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد-، ط1، 1994م، ص:35.

* - فيلسوف أمريكي نشأ في ظل تقاليد الفلسفة التحليلية وتراوحت مباحثه بين مشكلات فلسفة اللغة وفلسفة العقل، والاهتمام بدراسة الخصائص المميزة لأبنية الواقع الاجتماعي في مقابل عالم الوقائع الطبيعية المادية، وقد أدار حلقات بحثية "سيمنارات" في مجال فلسفة العقل، وعلم المعرفة العصبية، وعلم النفس المعرفي، ومبحث الإدراك العقلي، واشتهر بمؤلفاته في مجال فلسفة العقل لاسيما: القصد العقلي: مقال في فلسفة العقل (1983)، والعقل والمخ والعلم (1984)، كما أسهم في مجال فلسفة اللغة بأكثر من مؤلف منها: أفعال الكلام مقال فلسفة اللغة والتعبير والمعنى، وقد وجه عناية كبيرة للقوة الانجازية، ينظر: بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة، جون سيرل، ترجمة وتقديم: حسنة عبد السميع، مراجعة: إسحاق عبيد، المركز القومي للترجمة-القاهرة-، ط1، 2012م، ص: 09.

2- ينظر: بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة، جون سيرل، ص: 10.

3- القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام جون سورل نموذجاً، هشام صويلح، مجلة تاريخ العلوم (الخلفية)، جوان 2017م، العدد8، ج:02، ص:201.

وتندرج "القصدية" ضمن فلسفة العقل، وهي من مسألتها الصعبة، وربما صعبة بصورة مستحيلة، وتأتي في المرتبة الثانية تماما بعد مشكلة الوعي. في الحقيقة إن مشكلة القصدية نوع من صورة مرآتية لمشكلة الوعي.⁽¹⁾

ومصطلح "القصدية" من منظور "جون سيرل" «هو صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله والإشارة إليها؛ فإذا كان هناك اعتقاد ما مثلا، فإنه لا بد أن يكون خاصا بهذا أو بذاك أو تكون الحالة كذا وكذا. وحين أشعر بالخوف من شيء ما أو من توقع حدوث شيء ما. وإذا كانت لدي رغبة لا بد أن تكون رغبة في حدوث شيء أو أنّ شيئا يجب أن يحدث، وحين يكون لدي قصد معين يجب أن يكون قصدا لفعل شيء ما. وهكذا يكون الوضع في جميع الحالات».⁽²⁾

وعليه فالعقل له خاصية توجيه ذاته نحو الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، فكل الظواهر العقلية تكون موجهة صوب الأشياء، أو أنّها تتعلق بموضوعات خارج ذاتها، وبهذا يكون "جون سيرل" «قد طور بفلسفته الجديدة، مصطلح "القصدية" الذي كانت الظاهرية قد عرفتته من قبل في قصدها نحو الخارج، وتجاوز بذلك التحليل الظاهراتي سواء في شكله المفارق المتعالي، أو في شكله الوجودي، جامعا بين التركيب المنطقي والسببي، وموسعا ليشمل المعنى، والفهم، والتفكير، والتعبير عنه في اللّغة».⁽³⁾

1- ينظر: العقل مدخل موجز، جون سيرل، ترجمة: ميشيل حنا متياس، عالم المعرفة - الكويت -، (دط)، 2007م، ص: 130.

2- القصدية بحث في فلسفة العقل، جون سورل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي - بيروت -، (دط)، 2007م، ص: 21.

3- القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام جون سورل نموذجا، هشام صويلح، ص: 203.

وفي نظر "جون سيرل" ليست كل الحالات الواعية قصدية، وفي مقابل ذلك ليست كل الحالات قصدية واعية، يقول "جون سيرل": «ليس كل الوعي قصدية، وليست كل القصدية واعية، ولكن يوجد تشابك جدي ومهم بين الوعي والقصدية، فالحالات العقلية التي هي في الواقع غير واعية يمكن أن تصبح واعية، قد لا يمكن للوعي أن يحصل على هذه الحالات، ولكن يجب أن تكون ذلك النوع من الأشياء التي يمكن أن تكون جزءاً من حالة عقلية واعية».⁽¹⁾

فمثلاً توجد مشاعر شعورية للقلق أو الابتهاج، ولا توجد بالنسبة لها إجابة عن السؤال: "ماذا أنت قلق أو مبتهج بشأنه؟". فهذه أشكال غير قصدية من الوعي، كما نجد أشكالاً كثيرة من القصدية ليست واعية. فيمكن أن ينتابني اعتقاد حين أغط في نوم عميق أنّ "كلنتون" هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حتى حين أكون غائبا عن الشعور تماماً. لكن هذا الاعتقاد يوجد بصورة لا شعورية، ومازالت قصديته، لكن لم تعد شعورية.⁽²⁾

ولكن مع أنّ كل الحالات الواعية ليست قصدية، وليست جميع الحالات القصدية واعية، يبقى هناك ارتباطاً بين القصدية والوعي: إذ أننا لا نفهم القصدية إلا من خلال الوعي فهناك حالات قصدية كثيرة ليست واعية، ولكنها من النوع الذي يمكن ضمناً أن يكون واعياً.⁽³⁾

1- العقل مدخل موجز، جون سيرل، ص: 114.

2- ينظر: العقل واللغة والمجتمع - الفلسفة في العالم الواقعي -، جون سيرل، ترجمة: سعيد الخادمي، منشورات الاختلاف - المركز الثقافي العربي - الدار العربية للعلوم، الجزائر - بيروت - بيروت، (دط)، (دت)، ص: 102.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 104.

ت- المقصدية في المعنى عند "بول غرايس":

إنّ البحث في "النظرية القصدية" عرف اهتمام باحثين آخرين منهم الفيلسوف الإنجليزي "هربرت بول غرايس" (Harbart paul Grice^(*))، «ولقد كانت نقطة البدء عند "بول غرايس" هي أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همّه إيضاح الاختلاف بين ما يقال (what is said) وما يقصد (what is meant) فما يقال هو ما تعنيه العبارات والكلمات بقيمها اللفظية (face values)، وما يقصد هو ما يريد أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال»⁽¹⁾.

و في إطار شرح نظريته في المعنى ميّز "بول غرايس" بين المعنى الطبيعي أو الدلالة الطبيعية (natural meaning) والمعنى غير الطبيعي أو الدلالة غير الطبيعية (non natural meaning) وتوضيح المراد "بالمعنى الطبيعي" ساق "بول غرايس" الأمثلة الآتية:⁽²⁾

- الغيوم تعني أو تدل على المطر.

* - فيلسوف لغوي إنجليزي (1913-1988)، ينتمي إلى مدرسة "إكسفورد" المتأثرة بفلسفة "فتجنشتين"، تأثر "أوستن" الذي ينتمي بدوره إلى فلسفة اللغة العادية فاشتهر بإسهاماته في فلسفة اللغة وبخاصة تحليله للمعنى لدى المتكلم speakers meaning أو النظرية القصدية في المعنى، ومشروع علم الدلالة القائم على القصد intention-based-semantus ونظرية الاقتضاء التخاطبي implicature conversational. كان "غرايس" مثل أوستن يقدم شروحا لمحاضرات وليام جيمس، لخصت محاضراته في مقال سنة 1975م بعنوان المنطق والحادثة logic and conversation، من مؤلفاته: the studies in the way of words، Aspects of meaning، concept of value، ينظر: النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، صلاح اسماعيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية-الكويت-، (دط)، 2005م، ص: 17، الاستنزام الحوارية في سورة طه تحليل تداولي وفق نظرية غرايس، مبرود سعاد، مجلة المدونة (البليدة02)، 30 جوان 2018م، العدد01، المجلد 05، ص: 366.

1- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمد أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية (دم)، (دط)، (دت)، ص: 33.

2- محاضرات في فلسفة اللغة، عادل الفاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-، ط1، 2013م، ص: 12.

- الاحمرار يعني أو يدل على الخجل.

- تقطيب الحاجبين يعني أو يدل على الاستياء.

الملاحظ أنّ هذه الظواهر المعنى فيها كان طبيعياً؛ فالغيوم والاحمرار وتقطيب الحاجبين لم تحدث قصداً من قبل شخص ما للدلالة على المطر والخجل والاستياء على التوالي، فمعناها يعود بمجرد علاقة عليّة بين الدال والمدلول، فكلمة "معنى" أو كلمة "دلالة" لا تنطوي على القصد إطلاقاً.⁽¹⁾

أما المعنى "غير الطبيعي" أو "الدلالة غير الطبيعية" فتتجسد في الأمثلة الآتية:⁽²⁾

- هذه الرنات الثلاث في جرس الحافلة تعني أنّ الحافلة ممتلئة.

- أن يقول زيد لعمرو: إنّ غرفتك زربية خنازير تعني أنّ غرفة عمرو وسخة.

فهذه الأمثلة تحمل دلالة غير طبيعية أي أنّها مرتبطة بقصد المتكلم، فهناك صلة قائمة بين المقاصد التي يريد المتكلم إبلاغها والألفاظ التي استخدمها؛ فرنين الجرس ثلاث مرات من قبل سائق الحافلة يقصد به حمل الناس على الاعتقاد بأنّ الحافلة ممتلئة، لأنّهم يدركون القصد من الرنات الثلاث، وفي قول زيد لعمرو إنّ غرفتك زربية خنازير هناك صلة دلالة مقصودة من قبل المتكلم أنّ غرفة عمرو وسخة.⁽³⁾

"فالمعنى الطبيعي" هو المدلول التي تملكه الأشياء في الطبيعة، والذي من مميزاته الثبوت واللّزوم، بمعنى أنّه يلزم المتكلم بحقيقة واقعة معينة فأنت إذا قلت هذه السحب السوداء تعني المطر فسوف تلزم نفسك بحقيقة واقعة وهي أنّ السماء سوف تمطر. أما "المعنى غير الطبيعي" فتجسده كلماتنا وعبارتنا، وليس ملزماً، ويعتمد على القصد، فإذا

1- ينظر: محاضرات في فلسفة اللّغة، عادل الفاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-، ط1، 2013م، ص:12.

2- ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت-، ط3، 2003م، ص: 53.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 53-54.

قلت: إن إيماءة محمد تعني أنه في ضيق، فإن هذا القول لا يلزمك بأن يكون محمد في ضيق بالفعل، وهذا المعنى يعتمد على القصد بصفة جوهرية ومحورية.⁽¹⁾

إذن، فميزات "المعنى الطبيعي" الثبوت واللزوم وخلوّه من القصد، في حين أنّ "المعنى غير الطبيعي" يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقصد، وهو الدعامة الأساسية التي تقوم عليها العملية التخاطبية «فكل مخاطب يتطلب استحضار المقاصد حتى يقوم التعاون بين المتحاورين ويفهم كل منهما قصد الآخر، وفي نفس الوقت يتلاءم الملفوظ مع السياق. وعليه يتضح أنّ مدلول العبارة قد يتجاوز المعنى الحرفي لمجموع الألفاظ. وقد يتولد المعنى لدى المخاطب قبل أن ينتهي المتكلم من التلفظ بالعبارة. كما أنه قد ينتهي من التلفظ بالعبارة دون أن يكتمل معناها بعد لدى المخاطب، وكل هذا يكشف عن المعنى الحرفي والمصرح به ليس سوى جزء من المعنى. أما الجزء المتبقي فيتوقف على كل من المتكلم والمخاطب».⁽²⁾

كما أنّ «الآليات التأويلية التي يستخدمها المخاطب لإدراك مدلول الخطاب الموجه إليه تقوم على فرضية تبني على مقاصده، إذ بدونها لن يتمكن من إعطاء تأويل ملائم لما يوجه إليه».⁽³⁾

ولما كان "القصد" صلب نظرية "بول غرايس" اتخذ "مبدأ التعاون" (cooperative principal) وهو «ذلك المبدأ الذي يركز عليه المرسل للتعبير عن قصده، مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه».⁽⁴⁾

1- ينظر: النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، صلاح اسماعيل، ص: 43.

2- الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسن الباهي، إفريقيا الشرق - المغرب، ط2، 2013م، ص: 127.

3- المرجع نفسه، ص: 126.

4- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 96.

ولقد صاغ "بول غرايس" هذا المبدأ على الشكل الآتي: «لتكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار».⁽¹⁾

وبعد تحديد "بول غرايس" للمبدأ العام الذي يحكم عملية التخاطب عمد إلى تفريعه إلى مجموعة من القواعد أطلق عليها اسم "القواعد التخاطبية (conversational maxims)، وصنّف هذه القواعد تحت أربع مقولات وهي الكم، والكيف، والإضافة والملائمة، والجهة أو الصيغة وهذا بيانها:⁽²⁾

1- مقولة الكم (quantity): ترتبط مقولة الكم بكمية المعلومات التي يجب

تقديمها في التخاطب، وتحقق بقاعدتين

- أن تكون إفادتك المخاطب على قدر حاجته (بغية تحقيق الأغراض الحالية للتخاطب).

- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

2- مقولة الكيف (quality): وتحت هذه المقولة تأتي قاعدة عامة "حاول أن تجعل

إسهامك التخاطبي صادقاً، وتتجلى في قاعدتين:

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.

- لا تقل ما تفتقر إلى دليل كاف عليه.

3- مقولة الإضافة أو الملائمة (relation): تحت هذه المقولة توجد قاعدة

واحدة تقول: كن ملائماً.

1- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص:96.

2- ينظر: اللسان أو الميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص:238-239، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، صلاح اسماعيل، ص:88-89، التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلا نشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار-سوريا-، ط1، 2007م، ص:84-85.

4- مقولة الجهة أو الصيغة (manner): ينظر "بول غرايس" إلى هذه المقولة على أنها لا ترتبط بالمقول مثل المقولات السابقة، وإنما ترتبط بالأحرى بكيفية قول المقول، والقاعدة العامة التي تمثل هذه المقولة هي "كن واضحاً" وتندرج تحتها قواعد متنوعة مثل:

- اجتنب غموض (obxurity) التعبير.

- اجتنب اللبس (ambiguity).

- كن موجزاً (اجتنب الإطالة بغير ضرورة).

- كن مرتباً.

فمجموع هذه القواعد التي تضبط العملية التخاطبية، والتي يحكمها مبدأ عام وهو "مبدأ التعاون" تقوم بتحديد ما يجب على المتحاورين القيام به، لكي يتم التخاطب والتواصل بطريقة فعالة وناجحة.

فالسبيل الوحيد الذي يضمن تناقل المعاني بين المتكلم والمخاطب بصورتها الحقيقية هو الالتزام بهذه المبادئ التي أقرها "بول غرايس"، فمتى بدا من أحدهما ظاهر الإخلال بهذه القواعد، وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى المصروف إليه يحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر ومن القرائن، وذلك بالذات ما عرّف عنه بالاستلزام الحواري أو الاستلزام التخاطبي (conversational implicature).⁽¹⁾

ولعل ما نستنتجه من هذا القول أنّ انتهاك المتكلم لإحدى قواعد مبدأ التعاون السالفة الذكر يجعل مدلول الملفوظ ينتقل من المعنى الحرفي للصيغة اللغوية الشكلية إلى معنى ثانٍ مستلزم، وهذا المعنى الضمني غير المباشر يستفاد من المظهر الصوري للخطاب ومن القرائن.

1- ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط2، 2000م، ص:104.

لقد كانت غاية " بول غرايس " من وضع هذه القواعد « تنظيم عملية التخاطب، التي يصورها على شكل لعبة، وما من لعبة إلا ولها قواعد يفترض أن تكون محترمة، لكن قد يحدث أحيانا ويتم الخروج عن إحدى القواعد الفرعية مع احترام للمبدأ العام، هذا الخروج سماه غرايس بعملية الخرق (violation) التي تهدف إلى اشتقاق دلالات جديدة كامنة وراء المحتوى الدلالي للعبارات اللغوية». (1)

والقصد عند " بول غرايس " ليس قصدا بسيطا، بل على عكس ذلك هو قصد مركب، وانطلاقا من اعتباره القصد مركبا عمد إلى تفريعه إلى ثلاثة قصود: (2)

- القصد الأول: قصد المتكلم إبلاغ المتلقي محتوى دلاليا معينا.
- القصد الثاني: قصده أن يتعرف المتلقي على القصد الأول.
- القصد الثالث: قصده أن يبلغ المتلقي أنّ القصد الأول يتحقق بتعرف المتلقي على القصد الثاني.

ويمكن إضافة قصد آخر لأنّ تحقق القصد المركب يتوقف على تعرف المخاطب على القصد الثاني:

- القصد الرابع: قصد المتكلم أن يتعرف المخاطب على القصد الثاني.
- وعليه فالمقاصد تترتب على شكل ثلاثة قصود تتحدد في " القصد " و " القصد القصد " و " قصد قصد القصد "، وهذا ما نبه إليه " طه عبد الرحمن " في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام " حيث قال: «يلزم عن هذا النموذج (القصد) أن تتعدد المقاصد، وتتعدد مستوياتها، وتتداخل كما يظهر ذلك في الشرط الثاني من هذا النموذج

1- الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول غرايس، الراضي رشيد، مجلة فيصل (السعودية)، يناير 2000م، العدد 28، ص: 57، نقلا عن: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، ليلي كادة، أطروحة دكتوراه (منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة -، (دت)، ص: 117-118.

2- المحاوره مقارنة تداولية، حسن بدوح، عالم الكتب الحديث - الأردن -، ط1، (دت)، ص: 160-161.

حيث مرده إلى قصود ثلاثة متراكبة هي: "القصْد"، و"قصْد القصْد"، و"قصْدُ قصْدِ القصْد" (1).

فبالإضافة إلى هذه القصود يمكن إضافة قصود أخرى عليها تفوق الحصر، كما أنّ نموذج "القصْد" عند "طه عبد الرحمن" يتّسع إلى جانب هذا الترتيب العمودي للقصود، لتصنيف أفقي لها، كأن يميّز بين "قصْد الخبر" و"قصْد صدق الخبر" و"قصْد الإخبار" و"قصْد التأثير" (2).

ث- المقصدية والتداولية:

ظهرت التداولية (pragmatique) من منطلق نقدها لمنهج الدراسة البنيوية الذي ترى بأنّه انحصر في الجانب الشكلي للغة، وإقصاءها لكل القرائن الحالية والمقامية المرتبطة بإنتاج الخطاب، وعدم تجاوزها في دراستها للغة مستوى أعلى من الجملة، وهذا في نظر علماء التداولية تقليص من حجم اللغة الحقيقي وقصور في بيان حقيقة الظاهرة اللغوية، وأنّ على اللسانيات أن تتجاوز الدراسة السطحية للغة (3).

ولقد جاءت التداولية بفكرة لغوية جعلتها تجتاح الساحة اللغوية في الآونة الأخيرة، وتفرض نفسها، إذ تميزت «بمفهومها الموسع للغة عموماً، ولعلم الدلالة خصوصاً، فهي لا تفصل الإنتاج اللغوي عن شروطه الخارجية، ولا تدرس اللغة الميتة المعزولة بوصفها نظاماً من القواعد المجردة؛ كما تفعل البنيوية؛ حينما تعدد الكلام والفرد المتكلم والسياق غير اللغوي

1- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص: 45.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 45.

3- ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم (دم)، (دط)، (دت)، ص: 52.

عناصر خارجية عن اللغة... وإنما تدرس ظواهر اللغة بوصفها "كلاما" مستعملا من قبل "شخص معين" في "مقام معين" موجه إلى "مخاطب معين" لأداء "غرض معين"⁽¹⁾.
فالتداولية تدرس التركيب اللغوي في مقاماته التواصلية المختلفة، وليس بمعزل عنه، وتهتم بتفسير وتحليل المنتج اللغوي في إطار علاقته بالمتكلم، وهذا يقتضي إدماج طرف فاعل في التواصل اللغوي وهو المتكلم، كما عدت المخاطب عنصر مهما في بحثها، لأنها تنظر إلى أنّ اللغة على أنّها عبارة عن نشاط يمارسه المتكلم وهو موجه إلى مخاطب معين قصد تحقيق غرض معين.

ومن هذا المنطلق تعرّف "التداولية" على أنّها «دراسة اللغة في الاستعمال (in use) أو في التواصل (in interaction) لأنه يشير إلى أنّ المعنى ليس متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول (negotiation) اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما»⁽²⁾.

كما عرّفت أيضا بأنّها «دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم»⁽³⁾.

ولذا فعلماء التداولية يرون أنّ معرفة الدلالة مرتبطة ارتباطا وثيقا «بما يكتنه وينويه المتكلمون من مقاصد معقدة موجهة نحو مستمعهم، فالدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلق من دون شك بالقواعد والتوافقات المتواضع عليها تعلقا كبيرا، غير أنّ الطبيعة العامة

1- المنحى الوظيفي في التراث العربي، مسعود صحراوي، مجلة الدراسات اللغوية (الرياض)، أبريل 2003م، العدد 01، مجلد 05، ص: 11، 13.

2- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: 14.

3- التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتاي، الدار العربية للعلوم - دار الأمان، بيروت - الرباط، ط1، 2010م، ص: 19.

لمثل هذه القواعد والتوافقات لا يمكن أن تفهم آخر الأمر إلا بالرجوع إلى مقصدية التواصل⁽¹⁾.

ومبدأ "المقصدية" من أبرز الأسس والمرتكزات التي قامت عليها النظرية التداولية في جوهرها، «فهي لب العملية التواصلية، لأنه لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات»⁽²⁾.

وإذا كان الغرض من التخاطب هو التواصل وتحقيق الفهم والإفهام، فإن المتكلم يعتمد إلى إيجاد طريقة للتعبير عن مقصده واختيار الآليات المناسبة لنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى، مما يدل على أنّ المقاصد من العوامل المؤثرة في اختيار الاستراتيجية المناسبة التي تضمن وصول مقاصده⁽³⁾.

فالمقاصد تتحكم في اختيار المتكلم استراتيجية دون الأخرى، ومثال ذلك رغبة المتكلم في تقديم النصح والتوجيه لمخاطبه تدفعه لاختيار الاستراتيجية المباشرة الصريحة، ورغبته في ممارسة فعل التأثير عليه، واستدراجه لمضمون الدعوى المعبر عنها تتطلب اختيار الاستراتيجية الاقناعية الحجاجية.

كما أنّها من العوامل المؤثرة في استعمال اللغة وتأويلها، وقد أدرك الباحثون ذلك في كل العلوم المتعلقة بلغة الخطاب، ولا حظوا أنّها تعمل على بلورة المعنى كما هو عند المرسل⁽⁴⁾.

1- في تداوليات القصد، إدريس مقبول، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (فلسطين)، 2014، العدد 05، المجلد 28، ص: 1210.

2- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 184.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 181.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص: 181.

ونظرا للأهمية التي تحتلها المقاصد في الخطاب، اشترط العلماء على منتج الخطاب ليعبر عن قصده أن يمتلك اللّغة في كل مستوياتها (المعجمية والصوتية والتركيبية والصرفية) ومنها المستوى الدلالي، وذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك بمعرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضع التي تنظم إنتاج الخطاب بها. (1)

فامتلاك المتكلم للكفاءة اللّغوية والتي تتمثل في إلمامه بأدوات اللّغة وأبنياتها ووسائلها لإبلاغ قصده هي من الضروريات التي لا يتم إنتاج الخطاب بدونها، ولا تتأتى عملية التواصل إلّا بها.

ولكنّ هذه الكفاءة اللّغوية هي في نظر البعض غير كافية للتعبير عن المقاصد، إذ لا بد من التزود بالكفاءة التداولية والتي تمكن صاحبها من الاستثمار الجيد للّغة ووسائلها وأدواتها والتحكم في توظيفها داخل الخطاب بما يتلاءم والسياق لنقل المقاصد إلى المخاطب. (2)

والمقصدية في بعدها التداولي تعتمد على قصدتين:

1- القصد الإخباري (intention communication): أي «ما يقصد إليه المتكلم

من حمل لمخاطبه على معرفة معينة. هذه المعرفة التي ليست سوى ما أراده المتكلم من الكلام، فكل كلام يحمل في الغالب خبرا " مضمونا"، وهذا الخبر سواء توحد أو تعدد إنّما يأتي ليبين عن موقف خاص من قضية فيكون بذلك مفيدا لأمر قد يعرفه المخاطب تذكيرا وتنبها، أو يجمله فيكون تعريفا له وتبصيرا». (3)

1- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 183.

2- ينظر: مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب(تناول تداولي للخطاب الشوري)،يونسى فضيلة، مجلة الخطاب(تيزي وزو)، جانفي 2010م، العدد 06، ص: 285.

3- في تداوليات القصد، إدريس مقبول، ص: 1212.

"فالقصد الإخباري" هو وجوب حصول المخاطب على فائدة معينة، لأنّ الأصل في الكلام أن يلقى لتحقيق الفائدة، ولا يتصور كلام ليس من ورائه شيء، يقول "الجاحظ (ت255هـ)": «لا خير في كلام لا يدل على معنائه، ولا يشير إلى مغزائه، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعته»⁽¹⁾.

و"القصد الإخباري" الذي ذكره أصحاب التداولية قد اصطلح عليه علماء اللّغة العربية "قصد الإفادة". واشترط أرباب اللّغة من النحاة في الكلام شرط الإفادة، وقد قيده "ابن هشام (ت761هـ)" بالمفيد بالقصد⁽²⁾، حيث قال في تعريفه للكلام: «هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه»⁽³⁾.

فالأساس الذي من أجله وضعت اللّغة هو تحقيق الفائدة، وهو مدار التفرقة بين الدلالة الإفرادية للكلم والدلالة التركيبية، وهذا ما أوضحه "حسن طبل" من خلال قوله: «فالكلمة المفردة لها دلالة على معناها الذي وضعت إزاءه، ولكننا لا نفيد من تلك الدلالة في ذاتها شيئاً ما؛ إذ إن معنى الكلمة قد سبق أن حصلناه وارتسمت صورته في أذهاننا قبل وضعها، وبناء على ذلك فإنّ وظيفة وضع الكلمات ليست في التعريف بالمعاني المفردة لها، بل هي أن تضم تلك الكلمات (مصطحبة تلك المعاني) في بناء لغوي تتفاعل فيه فينتج عن تفاعلها معنى آخر أو معانٍ أخرى هي ما يطلق عليها عبد القاهر (الفوائد)، ومقتضى ذلك أنّ الفائدة هي نتاج الدلالة التركيبية لا الإفرادية»⁽⁴⁾.

1- البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، (دط)، (دت)، ج:01، ص:116.

2- ينظر: في تداوليات القصد، إدريس مقبول، ص:1212.

3- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام جمال الدين، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر - دمشق، ط:1، 1964م، ج:02، ص:419.

4- المعنى في البلاغة العربية، حسن الطبل، دار الفكر العربي - القاهرة، ط:1، 1998م، ص:63-64.

كما جعل علماء اللغة شرط الفائدة معياراً للتمييز بين الجملة والكلام أو القول، يقول "ابن هشام": «والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، "كقام زيد"، والمبتدأ وخبره، "كزيد قائم"، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: "ضرب اللص"، و"أقائم الزيدان"، و"كان زيد قائماً"، و"ظننته قائماً"، وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا مترادفين (الجملة والكلام) كما يتوهم كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنّه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: ويسمى جملة، والصواب أنّها أعم منه؛ إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا نسمعهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام».⁽¹⁾

2- القصد التواصلي (intention communication): هو «ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطبه على معرفة قصده الإخباري... فلا يتوقف نجاح التواصل على التلقي الجيد للكلام فحسب، بل عليه (أي على المتلقي) أن يدرك القصد التواصلي للمرسل وأن يتفاعل معه فعلياً وإدراكياً بشكل سليم».⁽²⁾

وهذا النوع من القصد اصطلاح عليه علماء اللغة العربية «الفهم والإفهام، فالفهم هو تفاعل بين الذات واللغة من حيث يحصل لها إدراكها على الجملة والتفصيل مع ما يتطلبه ذلك من استحضار لشروط التحصيل الداخلية والخارجية، وانعكاسه هو ما نسميه الصورة المتعدية من تفاعل الذات مع اللغة إلى قصد تحقيق هذا التفاعل عند الآخر من طريق الإفهام».⁽³⁾

1- مغني اللبيب، ابن هشام، ج: 02، ص: 419.

2- في تداوليات القصد، إدريس مقبول، ص: 1212.

3- المصدر نفسه، ص: 1213.

كما ميّز علماء التداولية بين نوعين من المقاصد:

1- المقاصد الإجمالية: هي المتصلة بالخطاب ككل، وفيها يتجسد المغزى العام

من الخطاب برمته، وما يسعى منتج الخطاب إبلاغه وإفهامه لمتلقي خطابه. (1)

2- المقاصد الموضوعية: هي المقاصد المرتبطة بالقول، المتعلقة بجزء من الخطاب،

وتعبر عن هدف أو مغزى جزئي فحسب، وبمجرد الانتقال إلى عبارة أخرى يتغير المقصد، فهي لا تمثل المغزى العام من الخطاب ككل. (2)

ح- المقصدية ونظرية الأفعال الكلامية:

نظرية الأفعال الكلامية (speech acts) من المباحث الجوهرية في اللسانيات التداولية، وضع أسسها "جون أوستين" (John logshan Austin)، وتتجلى قيمة هذه النظرية في أنّها حاولت أن تتجاوز النظرة التقليدية لوظيفة اللّغة، والتي كانت تركز على الطرح الوصفي المعرفي لها وتقرير الوقائع، لتتجهم أكثر بالبعد العملي المؤثر لها. (1)

وهذه النظرية تقوم في أساسها على اعتبار «أنّ كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ)، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، ومن ثم إنجاز شيء ما». (2)

1- ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ص: 216.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 216.

* - فيلسوف إنجليزي، ولد في مدينة لانكستر عام 1911م، وتوفي في أوكسفورد عام 1960م، كان من ممثلي المدرسة التحليلية التي سميت بمدرسة اللّغة العادية، ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص: 117.

1- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، ص: 43.

2- التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة - بيروت -، ط 1، 2005م، ص: 40.

فالعمل الكلامي هو كل عملية تلفظية لقول أو مجموعة من الأقوال تتصف ببنية نحوية معينة وتحمل دلالة محددة، يسعى المتكلم من خلالها إلى تحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي.

وقد نشأ تصور لدى "جون أوستين" عن فكرة نظرية أفعال الكلام، إذ توصل في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم العمل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي: (1)

1- فعل القول (acte locutoire): ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة. ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي. ولكن "أوستين" يسميها أفعالاً: الفعل الصوتي، وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، أما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقاً لقواعد لغة معينة، أما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معاني وإحالات محددة.

2- الفعل المتضمن في القول (act illocutoire): هذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، فهو عمل ينجز بقول ما، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي القائم على أداء فعل معين، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد، أو تحذير، وعد، أمر، شهادة في محكمة. والفرق بين الفعل الأول (أ) والفعل الثاني (ب) هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.

3- الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري (perlocutionary act): يرى أوستين أنه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة)، فقد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائماً بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في

1- التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص: 41-42.

المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط، لذا سماه "أوستين" الفعل الناتج عن القول، وسماه البعض "الفعل التأثيري".

وفق تحليل "جون أوستين" للفعل الكلامي، فهو «يتشكل من ثلاثة أفعال: فعل القول، الفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، والتي تشكل في مجملها كيانا واحد مع العلم أنّ هذه الأفعال يقع حدوثها في وقت واحد». (1)

ولتوضيح ذلك نحلل القول الآتي: "إن لم تتعلم سأهجرك". فإنّ فعل الكلام هو إنتاج هذه الجملة في حد ذاته ذات بناء لغوي نحوي سليم وذات دلالة. أما الفعل المتضمن لهذا الملفوظ فيتمثل في التهديد والتحذير، في حين أنّ الفعل التأثيري يتعلق في هذه الحال باستثارة الخوف أو العدوانية أو التصميم على التعلم. (2)

وعلى ضوء عرض نظرية "جون أوستين" حول أفعال الكلام يتضح أنّ الفعل الكلامي أو الحدث الكلامي يقوم على مفهوم أساسي وضروري وهو "مقصدية المتكلم"، وهو شديد الصلة بالقوة الانجازية، يقول "زيسيسلاف وأورزنيك": «يرتبط الفعل الإنجازي بوصفه فعلا جزئيا لفعل كلامي معقد ارتباطا وثيقا بمقاصد المتكلم. ويحقق المتكلمون بمساعدة اللغة أشد قصودهم (مقاصدهم). وفي ذلك لا يمكن أن تحدد المقاصد وأن تحلل على نحو مباشر مثل الأفعال القولية وأفعال التحقق إلى حد ما ... إذ يتعلق المعنى في المقام الأول بالجانب الإنجازي للفعل الكلامي المتمم». (3)

1- مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلاي دلاش، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر -، (دط)، (دت)، ص: 24
نقلا: نظرية أفعال الكلام في ضوء الأسلوبين الخبري والإنشائي، عربي غالية، مجلة فصل الخطاب (تيارت)، سبتمبر 2019، العدد 27، المجلد 07، ص: 14

2- ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، الأمل للطباعة والنشر - تيزي وزو -، ط2، (دت)، ص: 149.

3- مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، زيسيسلاف وأورزنيك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار - القاهرة -، ط1، 2003م، ص: 21.

ومن هنا يسعى السامع جاهدا لفهم واستيعاب القوة الإنجازية المقصودة من الفعل الكلامي الذي ينجزه المتكلم، يقول "جون أوستين" في هذا الصدد « وعلى ذلك فإنّ إنجاز قوة فعل الكلام يتضمن الوصول إضافة إلى سكون النفس واطمئنانها إلى حسن الفهم وتصور الغرض». (1)

وقد جعل "أوستين" «غموض التعبير الدلالي والتركيبى الذي يؤدي إلى عدم قدرة المتلقي على فهم مراد المتكلم سببا في فشل الفعل الإنجازي بشكل تام؛ لأنّ قصد المتكلم من إحداث سلسلة من الأصوات، لتكون فعل صوتي تركيبى لا يتم إلاّ في حالة واحدة: أن تعمل وفق القواعد التركيبية النحوية الصحيحة، أن تكون وفق الأعراف اللغوية المتعارف عليها وسط الجماعة اللغوية». (2)

ج- المقصدية والسياق:

إنّ تحصيل المعنى هو « النتيجة المرجوة من كل نص أو رسالة، وهو خلاصة ما يود المرسل أن ينقله للمتلقي، ولكن قد لا يكون اللفظ قادرا على تقديم المعنى الإجمالي، أو المحدد للرسالة، بمعنى أنّ الألفاظ قد تتيح عدة خيارات للرسالة الواحدة، ولكن السياق الذي يحكم مجريات الرسالة، ويتحكم في معطياتها، وبواعثها، ومنطلقاتها، وأهدافها يحدد طبيعة هذا المعنى، ويتحكم في إقصاء الاحتمالات الأخرى، عن طريق دعم المقترح الأكثر بروزا وحضورا». (3)

1- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني: إفريقيا الشرق (دم)، (دط)، (دت)، ص: 147.

2- البعد القصدى لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني، عائشة صالح أحمد با بصيل، شريفة أحمد حسن القرني، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث (فلسطين)، يناير 2019م، العدد 01، المجلد 03، ص: 105.

3- المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، فاطمة الشيدي، دار نينوى-دمشق، (دط)، 2011م، ص: 06.

فإهمال السياق في عملية نقل المقاصد ينجر عنه عدم وضوحها وظهور إبهامات كثيرة، ولا قيمة لها⁽¹⁾، ولذلك كانت دراسة التراكيب والقوالب اللغوية بمعزل عن محيطها وظروف إنتاجها «لا يحقق أهداف التعبير والتواصل وغاياتهم، ولا يفرق الأداءات المختلفة عن بعضها؛ لأنّ اللغة واقع اجتماعي حي، وأبنيتها تحدد أولاً على أساس أنّها علاقات وأنظمة داخلية تتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية، ثم على أساس أنّها وسيلة للتواصل»⁽²⁾.

فالوصول إلى ثمرة المعنى لا ينحصر في مادة التركيب وبنية الشكلية، وفي العلاقة بين الدال والمدلول فقط، وإنما يتخطى ذلك إلى السياق الخارجي أو المقام فهو الكفيل بتوجيه التركيب نحو دلالة محددة، والوقوف على المقاصد الحقيقية للخطاب، والمعين في عملية التأويل والتي تجنب صاحبها التيه.

وتكمن أهمية السياق وضرورة معرفته في أنّه يفسر أموراً لا يستطيع السياق اللغوي وحده تفسيرها، ويضم إليه مجموع العلاقات القائمة بين المشتركين في الحديث، فلا يمكن للسامع أن يفهم قصد منتج الخطاب ما لم تكن لديه معرفة بالظروف والملابسات التي قيل فيها⁽³⁾.

وقد اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بالسياق، حتى صار يمثل مفهوماً مركزياً في تحليل الخطاب، فهو: «عملية شاملة تستدعي كل ما يحيط بالخطاب من عناصر تساعد على ضبط المعنى، فيستغلها المتكلم باعتبارها آليات تكشف عنه وتسهم في تأويله حتى يستطيع

1- ينظر: المقاربة التداولية، فرانسوار أرمينكو، ص: 05.

2- التراكيب النحوية من الوجهة التداولية، عبد الحميد السيد، مؤته للبحوث والدراسات (الأردن)، 2001م، العدد 02، مجلد 16 ص: 76.

3- ينظر: علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، تقديم: سليمان العطار، محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب - القاهرة-، ط1، 2007م، ص: 23.

الوصول إلى مبتغاه من مقاصد وأهداف، وتتنوع هذه المقاصد والأهداف حسب تنوع السياقات من لحظة إلى أخرى في مجرى الخطاب»⁽¹⁾.

فالسباق من أبرز القرائن المعينة في تحديد المقاصد، كما تتعدد المقاصد باختلاف السياقات، فلا يمكن أن يبنى صرح أي خطاب بمعزل عن السياق، ولا يمكن أن تتم عملية التأويل بعيداً عنه «فالقول يؤول اعتماداً على سياق ما، فيكون السياق والقول معاً مقدمات عملية التأويل التداولية»⁽²⁾.

ويرى "هايمس" أنّ السياق «يضطلع بدور مزدوج إذ يحصر مجال التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود»⁽³⁾. فالسياق وفق "هايمس" يسهم بشكل كبير في الوصول إلى التأويل المقصود، ويدفع اللبس الذي قد يقع.

1- التداولية علم استعمال اللّغة، حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب- الأردن-، ط2، 2014م، ص: 362.
 2- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، أنريبول، ترجمة: مجموعة الباحثين بإشراف: عز الدين المجدوب، دار بيناترا-تونس-، (دط)، 2010م، ص: 147.
 3- البعد التداولي عند سيوييه، إدريس مقبول، عالم الفكر(الكويت)، سبتمبر 2004م، العدد 01، المجلد 3، ص: 255.

ثالثاً- المقصدية في الدراسات العربية.

أ- المقصدية عند الأصوليين.

ب- المقصدية عند البلاغيين والنقاد.

ثالثاً- المقصدية في الدراسات العربية

إذا حاولنا تتبع موضوع المقصدية في الدراسات العربية الأصيلة فسنجده يتصل بعلوم معرفية كثيرة، وسأقتصر في هذا المبحث على جوانب منها، لا سيما ما ورد عند علماء أصول الفقه والبلاغة والنقد.

أ- عند الأصوليين:

ارتبطت معرفة الأحكام الشرعية أشد الارتباط "بمقاصد الشريعة الإسلامية"؛ إذ من خلالها تفهم الأحكام وتؤدي التكاليف والعبادات وفق منهج رباني قويم، ولذا توجهت العناية "بالمقاصد" للكشف عنها ورصدها. فما المقصود بها؟ وماهي أقسامها؟ وفيما تكمن أهميتها؟

1- مفهوم مقاصد الشريعة:

أكد كثير من الباحثين أنّ العلماء السابقين من الأصوليين والفقهاء لم يذكروا تعريفا اصطلاحيا مضبوطا "لمقاصد الشريعة"⁽¹⁾، وإنما أشاروا إليها وعبروا عنها بألفاظ وصيغ تعبيرية عديدة.

ويمكن أن نحصر بعض التعابير التي استخدموها للدلالة على مقصود ومراد الشارع فيما يأتي:

أ- التعبير بـ (الدين، النفس، العقل، النسل، المال) للدلالة على "الكليات الشرعية الخمس":

1- ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع، نعمان جغيم، دار النفائس-الأردن-، ط1، 2002م، ص:25، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، تقديم: طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي(دم)، ط4، 1995م، ص:17، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي محمد سعد بن أحمد بن مسعود، دار الهجرة- المملكة العربية السعودية-، ط1، 1998م، ص:33.

عبر علماء أصول الفقه عن "المقاصد" بالكليات الشرعية الخمس "الشهيرة «ومقاصد الشارع في خلقه تنحصر في حفظ خمسة أمور: "الدين"، "النفس"، "العقل"، "النسل"، "المال"، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة»⁽¹⁾.

ب- التعبير بالحكمة:

"الحكمة" من المصطلحات التي تستعمل للدلالة على "مقصود الشارع" يقول "القاضي عياض": «والاعتبار الثالث سليم من التعصب شديد، وهو الالتفات إلى قواعد الشريعة ومجامعها، وفهم "الحكمة" المقصودة بها من شارعها»⁽²⁾.

وتعد الحكمة من أكثر الألفاظ استعمالاً عند الفقهاء في مؤلفاتهم، فتجدهم يتناولون حكم مسألة ما، ثم يتبعونه بحكمتها، فيقولون مثلاً: "الزكاة: حكمها، حكمتها"، "الصلاة حكمها، حكمتها".

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن "ابن فرحون" في تحديد "مقاصد القضاء" يقول: «وأما حكمه: فهو فرض كفاية، ولا خلاف بين الأئمة أنّ القيام بالقضاء واجب ولا يتعين

1- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي محمد سعيد رمضان، مؤسسة الرسالة (دم)، (دط)، (دت)، ص:119.

2- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب ابن مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (دم)، ط2، 1983م، ج01، ص:92.

على أحد إلا أن لا يوجد منه عوض... وأما حكمته: فرفع التهارج^(*)، ورد التواثب^(*)، وقمع الظالم، ونصر المظلوم، وقطع الخصومات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽¹⁾.

ت- التعبير بالعلل:

وكذلك عبّروا عن "مقصود الشارع" "بالعلة والعلل"، فهي على هذا تساوي مصطلح "الحكمة"⁽²⁾.

ومن أمثلة ذلك "باب الرخص" «فلا شك أنّ رفع المشاق عن الناس والتخفيف عنهم، هي الحكمة والمقصود، وهي العلة الحقيقية للرخص الشرعية، ولكن الشارع لا يقول للمكلفين: كلما وجدتم عنتا فترخصوا، وإنما حدد لهم أمارات معروفة، وأسباب معينة، هي ما يسميه الأصوليون: الأوصاف الظاهرة المنضبطة (أو العلل)، فبناء عليها يقع الترخيص؛ كالسفر، والمرض، والعجز، والإكراه... وأما ما سوى هذه من صور المشاق التي لا حصر لها، مما لم يسمّه الشارع، فقد ترك تقديرها، وتقدير ما تستحقه من ترخيصات للمجتهدين والمفتين، الموقعين عن ربّ العالمين»⁽³⁾.

ث- التعبير بالمصالح:

ورد في كلام الفقهاء والأصوليين التعبير عن "مقصود الشارع" "بالمصلحة" سواء أكان تحصيل هذه المصلحة عن طريق جلب المنافع أو عن طريق دفع المضار⁽⁴⁾.

* - الناس يهرجون: أي يقعون في فتنة واختلاط وقتل.

* - أي دفع وقوع التواثب من بعضهم على بعض إذا لم يكن قضاء، ينظر: تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون برهان الدين أبو الوفاء، تعليق وتخريج أحاديثه وكتابتها: جمال مرعشلي، دار عالم الكتب-الرياض-، (دط)، 2003، ج:01، ص:10

1- تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون، ج:01، ص:9، 10.

2- ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الرسوني، ص:23.

3- المصدر نفسه، ص:23.

4- ينظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الدار العالمية للفكر الإسلامي-الرياض-، ط2، 1994م، ص:79.

وقد ذُكرت تعريفات تتقارب في جملتها من حيث الدلالة على معنى "المقاصد" ومن تلك التعريفات ما يلي:

عرّفها العلامة المغربي "علال الفاسي" بقوله: «المراد بمقصد الشريعة: الغاية منها؛ والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها».⁽¹⁾

وعرّفها "الخادمي" بقوله: «هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصالحة الإنسان في الدارين».⁽²⁾

وفي ضوء هذه التعريفات يمكننا أن نصوغ تعريفا "لمقاصد الشريعة" فنقول: هي المصالح التي تعود على العباد في الدارين، والتي التفت إليها الشارع في تشريعه للأحكام.

2- أقسام مقاصد الشريعة الإسلامية :

تنقسم المقاصد الشرعية إلى أقسام عديدة باعتبارات مختلفة:

أولا: باعتبار مدى شمولها لمجالات التشريع وأبوابه، تنقسم بهذا الاعتبار إلى مقاصد عامة، ومقاصد خاصة، ومقاصد جزئية.

أ- المقاصد العامة: والمقصود بها « المعاني والحكم التي تلاحظ في جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها، بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها الكبرى».⁽³⁾

"مقاصد الشريعة العامة" هي القضايا الكلية العامة التي روعيت في جميع مجالات التشريع أو في أغلب أحواله من عبادات ومعاملات وعادات... إلخ.

1- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي (دم)، ط5، 1993م، ص: 7.

2- الاجتهاد المقاصدي حججه ضوابطه مجالاته، الخادمي نور الدين بن مختار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الدوحة -، ط1، 1998م، ص: 52- 53.

3- المصدر نفسه، ص: 54.

وقد اشترط "محمد طاهر بن عاشور" في المقاصد التي تعد من "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية الشروط الآتية:⁽¹⁾

أ- أن تكون ثابتة: والمراد بالثبوت أن تكون تلك المعاني مجزوما بتحققها أو مظنونا ظنا قريبا من الجزم.

ب- أن تكون ظاهرة: والمراد به أن يكون المقصد واضحا بحيث يختلف الفقهاء في تشخيص المعنى، ولا يلتبس على معظمهم بمشابهة، مثل حفظ النسب الذي هو المقصد من مشروعية النكاح فهو معنى ظاهر ولا يُلتبس بحفظه الذي يحصل بالمخادنة أو بالإلاطة وهي إصاق المرأة البغي الحمل الذي تَعَلَّقَهُ برجل معين ممن ضاجعوها.

ت- أن تكون منضبطة: أي أن يكون للمعنى حد معتبر لا يتجاوزه، ولا يقصر عنه، بحيث يكون القدر الصالح منه لأن يعتبر مقصدا شرعيا قدرا غير مشكك، مثل: حفظ العقل إلى القدر الذي يخرج به العاقل عن تصرفات غير العقلاء الذي هو المقصد من مشروعية التعزير بالضرب عند الإسكار.

ث- الاطراد: أن لا يكون المعنى مختلف باختلاف أحوال الأقطار والقبائل، مثل: وصف الإسلام والقدرة على الإنفاق في تحقيق مقصد الملائمة للمعاشرة المسماة بالكفاءة المشروطة في النكاح في قول مالك وجماعة من الفقهاء بخلاف التماثل في الإثراء أو في القبيلية.

1- مقاصد الشريعة الإسلامية، بن عاشور محمد طاهر، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس-الأردن، ط2، 2001م، ص: 252- 253.

فالمقصد الكلي العام «من كل الشريعة وأوامرها ونواهيها إنما هو التعبّد والتدين لله رب العالمين، فذلك مقصد كلي لا يخرج عن تحقيقه حكم من أحكام الشريعة، ومن المقاصد الكلية للشريعة أيضا جلب المصالح ودرء المفاسد، والتيسير ورفع الحرج»⁽¹⁾.

ب- المقاصد الخاصة:

عرّفها "اليوبي" بقوله: «الأهداف والغايات والمعاني الخاصة بباب معين من أبواب الشريعة، أو أبواب متجانسة منها أو مجال معين من مجالاتها، وذلك كمقاصد العبادات جميعا، ومقاصد الجنايات أو مقاصد باب من أبواب الشريعة كالمقاصد المتعلقة بباب الطهارة كله أو باب البيوع وهكذا»⁽²⁾.

"فالمقاصد الخاصة" ما تعلق بباب من أبواب التشريع الإسلامي، أو موضوع محدد من موضوعات الشريعة كالمقاصد التي رعاها الشارع في أحكام العبادات، قال "الشاطبي": «إنّ مقصود العبادات الخضوع لله، والتوجه إليه، والتذلل بين يديه، والانقياد تحت حكمه، وعمارة القلب بذكره؛ حتى يكون العبد بقلبه وجوارحه حاضرا مع الله، ومراقبا له غير غافل عنه وأن يكون ساعيا في مرضاته وما يقرب إليه على حسب طاقتة»⁽³⁾.

ت- المقاصد الجزئية:

والمقصود بها «المقاصد المتعلقة بمسألة معينة دون غيرها؛ لأنّ ما تقدم من المقاصد العامة أو الخاصة على التفسير المذكور هي كلية: إما باعتبار جميع الشريعة، وإما باعتبار

1- مقاصد الشريعة تأصيلا وتفصيلا، محمد بكر اسماعيل حبيب، إدارة دعوة والتعليم سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم - المملكة العربية السعودية -، 1427هـ، العدد 213، ص: 299 - 300.

2- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي، ص: 411.

3- الموافقات، الشاطبي إبراهيم أبو إسحاق بن موسى بن محمد، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان - المملكة العربية السعودية -، ط1، 1997م، ج: 02، ص: 383.

جميع مسائل الباب أما هذه فهي خاصة بمسألة خاصة أو دليل خاص فما يستنتج من الدليل الخاص من حكمة أو علة تعتبر مقصدا شرعيا جزئيا». (1)

فعلى سبيل المثال المصلحة المتوخاة من وراء نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن دفن الميت بالليل قال الفقهاء: «إنَّ المقصد من وراء هذا النهي هو أنَّ الدفن في الليل يفوت عن الميت كثرة دعاء المسلمين المرغب فيه بخلاف الدفن في النهار الذي يحضره جمهور الناس عادة، وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ المقصد هو خشية الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عدم إحسان الكفن لأنَّه لا يبين بالليل». (2)

ثانيا - باعتبار أهميتها في قيام حياة الجماعة أو الأفراد واستقامتها، وتنقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

أ - مقاصد ضرورية: عرّفها "الشاطبي" بأنّها « ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهاجر وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين». (3)

فمعنى "المقاصد الضرورية" المصالح التي لا يمكن لحياة حقيقية منتظمة أن تقوم بدونها، فهي الركيزة الأساسية بحيث لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها؛ لأنّها مصدر الاستقرار والتوازن والثبات في الحياة الدنيا، والفلاح والنعيم والفوز في الآخرة، وبدونها يعم الفساد ويعيش الناس في فوضى.

وقد فسّر "ابن عاشور" اختلال نظام الحياة بانخراط الضروريات «بأن تصير أحوال الأمة شبيهة بأحوال الأنعام بحيث لا تكون على الحالة التي أرادها الشارع منها. وقد يُفضي

1- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، البيبي، ص: 415.

2- أثر المقاصد الكلية والجزئية في فهم النصوص الشرعية (دراسة تطبيقية من السنة النبوية)، الكيلاني عبد الله إبراهيم زيد، دراسات علوم الشريعة والقانون (الأردن)، 2006م، العدد 01، المجلد 33، ص: 101-102.

3- الموافقات، الشاطبي، ج: 2، ص: 18.

بعض ذلك الاختلال إلى الاضمحلال الآجل بتفاني بعضها ببعض، أو يتسلط العدو عليها إذ كانت بمَرَصِدٍ من الأمم المعادية لها أو الطامعة في الاستيلاء عليها، كما أوشكت حالة العرب في الجاهلية على ذلك بإشارة قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103)». (1)

ب- المقاصد الحاجية: عرّفها "محمد الزحيلي" تعريفاً شاملاً فقال هي: «الأمر التي يحتاجها الناس لتأمين شؤون الحياة ببسر وسهولة، وتدفع عنهم المشقة، وتخفف عنهم التكاليف، وتساعدهم على تحمل أعباء الحياة، وإذا فقدت هذه الأمور لا يختل نظام حياتهم، ولا يتهدد وجودهم، ولا يتأبهم الخطر والدمار والفوضى، ولكن يلحقهم الحرج والضيق والمشقة». (2)

"فالمقاصد الحاجية" إذن لا تجري مجرى "المقاصد الضرورية" بحيث إذا فقدت اختل نظام الحياة، وتعطلت المنافع، بل جاءت شريعتنا الإسلامية السامحة بهذه المقاصد لرفع ذلك الحرج ودفع تلك المشقة والضيق، ولتوفير متطلبات الحياة ببسر وسهولة للمكلفين.

و"المصالح الحاجية" تشمل كل أبواب الفقه الإسلامي، فهي تدخل في "العبادات" و"المعاملات" و"العقوبات الشرعية" وغيرها. فمن "الحاجيات" في مجال "العبادات": التيمم عند مشقة استعمال المال أو فقده، والقعود في صلاة الفجر والاضطجاع فيها والإيماء، والتخلف عن صلاة الجمعة، والفطر في رمضان للشيخ الهرم، والنيابة في الحج والرمي لعدم الاستطاعة، وقصر الصلاة في السفر. (3)

1- مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص: 300.

2- موسوعة قضايا إسلامية معاصرة - مقاصد الشريعة -، محمد الزحيلي، دار المكتبي (دم)، (دط)، (دت)، ج: 05، ص: 636-637.

3- ينظر: الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، ابن نجيم زين الدين بن إبراهيم بن محمد، وضع حواشيه وخرّج أحاديثه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت -، ط 1، 1999م، ص: 64-65.

وفي مجال "العادات": « كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال، مأكلا ومشربا وملبسا ومسكنا ومركبا، وما أشبه ذلك». (1)

ت- المقاصد التحسينية:

عرّفها "الإمام الغزالي" بقوله هي: «ما لا يرجع إلى ضرورة، ولا إلى حاجة؛ ولكن يقع موقع التحسين والتزيين، والتوسعة والتيسير؛ للمزايا والمراتب، ورعاية أحسن المناهج في العبادات والمعاملات، والحمل على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات». (2)

كما عرّفها شيخ المقاصد "الإمام الشاطبي" بقوله: «الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق». (3)

فالمقاصد التحسينية ترجع إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن العبادات، فلا يختل بفقدانها نظام الحياة، ولا يدخل على المكلف الحرج والضيق، بل إذا لم تراع تكون الحياة مستنكرة عند ذوي العقول وأصحاب الفطر السليمة. (4)

و"المقاصد التحسينية" كالمقاصد الحاجية "تجري في" العبادات "و" العادات "و" المعاملات "و" الجنائيات ".

1- الموافقات، الشاطبي، ج: 02، ص: 22.

2- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، الغزالي أبو حامد، تحقيق: محمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد- بغداد، (دط)، 1971م، ص: 169.

3- الموافقات، الشاطبي، ج: 02، ص: 201.

4- ينظر: المقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي، محمد عبد العاطي محمد علي، دار الحديث- القاهرة- (دط)، 2007م، ص: 201.

فمن "التحسينيات" في مجال "العبادات" «الطهارات وستر العورات وأخذ الزينة من اللباس الجيد والجديد عند دخول المسجد ومحاسن الهيئات، والطيب، والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل من الصدقات، والصلاة، والصيام».⁽¹⁾

وفي "المعاملات": «كنهي الشارع الاحتكار، لما روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم قال: "من احتكر طعاماً أربعين يوماً يريد به الغلا فقد برئ من الله وبرئ الله منه».⁽²⁾

باعتبار محل الصدور تنقسم المقاصد إلى قسمين:

أ- مقاصد الشارع: هي جملة المعاني التي قصدها الشارع بوضع الشريعة والتي تتمثل إجمالاً في جلب المصالح ودرء المفاسد في الدارين.⁽³⁾

ب- مقاصد المكلف: وهي «الأهداف التي يقصدها المكلف من تصرفاته واعتقاداته وأقواله وأفعاله، وهي التي تميز بين القصد الصحيح والقصد الفاسد، وبين العبادة والعادة، وبين ما هو خالص لله وبين ما هو رياء وسمعة».⁽⁴⁾

ت- أهمية معرفة المقاصد وفوائدها:

إنّ علم المقاصد بالنسبة إلى الشريعة الإسلامية بمثابة روحها الذي به تنبض؛ إذ لا يمكن فهم الشريعة واستيعاب تفاصيلها إلا في ضوء مقاصدها، فمعرفة مقاصد الشريعة في

1- أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، سميح عبد الوهاب الجندي، مؤسسة الرسالة - بيروت -، ط1، 2008م، ص: 279.

2- المقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي، محمد عبد العاطي محمد علي، ص: 205.

3- ينظر : الاجتهاد المقاصدي حجته ضوابطه مجالاته، الخادمي، ص: 53.

4- مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، يوسف أحمد محمد البدوي، دار النفائس - الأردن -، (دط)، (دت)، ص: 123.

أحكامها وفروعها، ودراستها وتطبيقها لها أهمية وفوائد عظيمة بالنسبة للمسلم عامة وللعالم الفقيه والمجتهد خاصة، وتتجلى في الأمور التالية:⁽¹⁾

1- زيادة الإيمان بالله تعالى ورسوخ العقيدة في القلب؛ فيحصل له القناعة التامة بعظمة هذا الدين وصدقه، ويدعوه ذلك إلى الالتزام به لما يرى من تحقيق المصالح ودرء المفاسد، فيترك ما سواه من الشرائع.

2- تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، التي هي الغاية من خلق العباد، فكما أنّ الخلق عباد لله كونا وقدرًا، لا بد أن يكونوا عبادا لله شرعا ودينا.

3- تخفف على المكلف الكثير من الأعباء؛ لأئها قائمة على التيسير ورفع الحرج والمشقة وعدم تحمله ما لا يطيق.

4- إنّ مقاصد الشريعة تعين في الدراسة المقارنة على ترجيح القول الذي يحقق المقاصد، ويتفق مع أهدافها في جلب المنافع ودفع المفاسد.

5- الاستعانة بالمقاصد في توجيه الفتوى، وفهم بعض الاحكام الشرعية.

6- إنّ علم المقاصد فتح الباب أمام المجتهدين ليقفل الخلاف بينهم ويستمر الاجتهاد دونما توقف.

ب- المقصدية عند البلاغيين والنقاد:

إنّ المتتبع للإنتاج العلمي في تراثنا البلاغي والنقدي يجد ملامح الفكر المقصدي في ثنايا كتبهم، والتي تشبه إلى حد كبير ما توصل إليه علماء التداولية اليوم، وذلك أثناء إشارتهم إلى فائدة السامع، وفي العلاقة بين اللفظ والمعنى، وفي تحيّر الألفاظ، وفي ما يلي تفصيل لذلك.

1- ينظر: أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، سميح عبد الوهاب الجندي، ص: 97- 98، ومقاصد الشريعة عند ابن تيمية، يوسف أحمد محمد البدوي، ص: 103.

أ- الجاحظ (255هـ):

يعد الجاحظ من العلماء الأوائل الذين أرسو معالم التداولية في البلاغة العربية، فقد أبرز مظهرا من مظاهرها في معرض تناوله لمعنى "البيان" حيث قال: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»⁽¹⁾.

فالجاحظ «استخدم مصطلح "الإفهام" للتعبير عن "المقصدية" والمقصود به أن غاية المتكلم من كلامه هو البيان وأن يحصل على ثمرة المعنى، فما يسعى المتكلم في طلبه هو إيصال المعنى الذي تدركه الأفهام»⁽²⁾.

فالمقصدية في نظر الجاحظ تتلخص في تأدية المتكلم للمعنى واضحا مقبولا يمكن المتلقي من إدراكه، فما يسعى المتكلم في طلبه هو إحداث الإفهام له. ولذا فهو يحرص كل الحرص على كيفية تبليغ المراد حتى تجري عملية الاتصال بين طرفي الخطاب في أفضل وأحسن صورة.

ب- ابن قتيبة (276هـ):

تبوأ قضية "اللفظ والمعنى" مكانة كبيرة عند البلاغيين والنقاد؛ إذ أدلى كل فيها بدلوه، فظهر فيها من يتعصب للفظ ويحتج له، وبين من لا يرى سوى المعنى شيئا يدعو للاهتمام، وبين ثالث على مذهب الوسط محاولا التوفيق بين الرأي الأول والرأي الثاني لا من هؤلاء ولا هؤلاء، وليس الغرض في هذا المقام هو عرض ومناقشة الخلاف الذي جرى

1- البيان والتبيين، الجاحظ، ج:01، ص:76.

2- تطبيقات معياري المقصدية والمقبولية في النص في معهود الخطاب عند العرب، عثمان جميل قاسم الكنج، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية (ماليزيا)، ديسمبر 2015م، العدد:02، ص: 24.

بين العلماء حول قضية اللفظ والمعنى، وإنما أثرها في المقصدية التي مدارها قائم على فهم الألفاظ.

وانطلاقاً من ثنائية "اللفظ والمعنى" ميّز "ابن قتيبة" بين أربعة أقسام من الشعر وهي: (1)

- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه.

- ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد فائدة في المعنى

- ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه.

- ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه.

فمن أمثلة الضرب الأول الذي حسن لفظه وجاد معناه قول "أوس بن حجر" (2):

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

فالمقصدية في هذا البيت قد بلغت غايتها وكما لها لأن كلا من اللفظ والمعنى قد اتّصفاً بالجودة والحسن.

أما إذا اتّصف أحدهما بالرداءة فإنّ "مقصدية" الخطاب تقصر، وإذا اتّصف كلا منهما بالقبح والرداءة فإنّ "مقصدية" النص تضعف، وبالتالي لا يتحقق المعنى المقصود من النص ويؤدي إلى فشل سيرورة العملية التواصلية التفاعلية بين المتكلم والمتلقي. (3)

ت - الرّماني (382هـ):

أورد "الرّماني" في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" تعريفاً "للبلاغة" إذ يقول: « وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. فأعلاها طبقة في

1- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف - القاهرة -، (دط)، (دت)، ج: 01، ص: 64، 69.

2- ديوان أوس بن حجر، أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار بيروت - بيروت -، (دط)، 1980م، ص: 53.

3- ينظر: تطبيقات معياري المقصدية والمقبولية في النص في معهود الخطاب عند العرب، عثمان جميل قاسم الكنج، ص: 24.

الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة»⁽¹⁾.

ففي هذا التعريف يضع "الرماني" ميزان البلاغة العربية في أمرين هما:

- إيصال المعنى إلى السامع ليفهمه.

- اختيار لهذه المعاني الألفاظ الأحسن والأنسب.

ففي تعريف الرّماني لمصطلح "البلاغة" نلمس بعض الإشارات التي تدور حول "المقصدية" والتي تتمثل في كيفية إيصال المعاني وتمكينها في قلوب المتلقين والتي تتأتى عن طريق إلباس المعاني الصورة الجميلة من اللفظ، فإذا لم يراع المتكلم الأداء الصحيح لما في ذهنه من معان، لم يتسنى للسامع إدراكها.

ولذا اشترط علماء البلاغة وأرباب الفصاحة جملة من الشروط على المتكلم أن يتوخاها في تأدية المعاني كخلوص الكلمة من تنافر الحروف، وغرابة الاستعمال، ومخالفة القياس، وخلو الكلام من التعقيد اللفظي، والضعف في التأليف.

فمن الأمثلة التي ساقها البلاغيون حول "التعقيد اللفظي" قول "الفرزدق" يمدح "إبراهيم بن هشام المخزومي"، "خال هشام بن عبد الملك بن مروان" يقول:⁽²⁾

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلِّكًا أَبُو أُمَّهِ حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

1- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني علي أبو الحسن بن عيسى، تحقيق

وتعليق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف-مصر-، ط3، (دت)، ص: 75-76

2- لم أعر على هذا البيت في ديوانه على رغم شهرة نسبه إليه.

فالمعنى الذي كان يريد الشاعر أن يثبته لممدوحه بسيط جدا، وهو أن هذا الممدوح لا يشبه أحدا على الإطلاق في فضائله إلا ابن أخته هشام بن عبد الملك بن مروان، وهو بذلك يمدح الاثنين معا. (1)

ولكن ما أفقد البيت الشعري قيمته هو ذلك التعقيد الذي أجهم المعنى، ووغدا عائقا في الفهم والإبانة عما كان يريد الشاعر إثباته لممدوحه، فكان الأولى له أن يقول: "وما مثله في الناس أحد يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه"

ث - أبو هلال العسكري (395هـ):

اشتراط البلاغيون والنقاد القدامى ضرورة توفر المقصدية في الكلام أو الخطاب لذلك فمتى خلا الكلام من هذا المعيار أصبح بلا قيمة وخرج من دائرة اهتمامهم. (2)

ولذلك أكدوا على ضرورة أن يتخير الشاعر الألفاظ التي تلي مقاصده، وتحقق أغراضه دون تكلف يؤدي إلى اختلال في نظم النص، واستغلاق للمعنى بتوظيف ألفاظ لا تلائم السياق (3)، وهذا ما يراه "أبو هلال العسكري" حيث قال «لا خير في المعاني إذا استكرهت قهرا، والألفاظ إذا اجترت قسرا، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخر معناه، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى، وظهور المقصد». (4)

فمن يريد أن يحقق غايته بإيصال مقاصده إلى متلقيه عليه أن يتعرف على قوانين اللغة ومستوياتها المعجمية والتركيبية والدلالية، ويجيد اختيار الألفاظ والتراكيب وفقا لمتطلبات السياق والمقام فهو ميدان البراعة، إذ يقول "أبو هلال العسكري": «ومن تمام

1- ينظر: الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الجامعة المفتوحة (دم)، (دط)، 1993م، ص: 32.

2- ينظر: القصدية والمقبولية بين التراث النقدي والدرس اللساني الحديث، إياد نجيب عبد الله، إياد مصطفى عاشور، مجلة جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، يوليو 2016م، العدد 17، ص: 351.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 352.

4- الصناعتين الكتابة والشعر، العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (دم)، ط 1، 1952م، ص: 60.

آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية ووجوه الاستعمال لها، والعلم بفاخر اللفظ وساقطها، ومتخيرها وردئها، ومعرفة المقامات وما يصلح في كل واحد منها من الكلام»⁽¹⁾.

فمن مبادئ عملية الاتصال أن يستعمل المتكلم للتعبير عن فكرة ما الألفاظ والتراكيب المناسبة التي توافق الموقف الذي قيل فيه، وقد ساق "أبو هلال العسكري" شواهد شعرية عدّة لأغاليط الشعراء وتصحيفات الرواة وأخطائهم؛ التي أفسدت المعنى وحرفته عن المقصد المراد⁽²⁾، من ذلك ما أنشده رجل لابن هرمه حيث قال:⁽³⁾

بِاللَّهِ رَبِّكَ إِنَّ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهَا هَذَا ابْنُ هَرَمَةَ قَائِمًا بِالْبَابِ

فقال: ما كذا قلت؛ أكنت أتصدق؟ قال: فقاعدا. قال: كنت أبول؟ قال: فماذا؟

قال: واقفا. ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى.

وإذا كانت هاتان الكلمتان متقاربتان (قائما، واقفا)، ففرق بينهما من ناحية أنّ القيام يستدعي الاستمرار والدوام، بينما الوقوف لا يستدعيهما، وابن هرمة يريد أن يعلم صاحبه بمكانه، من غير أن يريد إخبارها بأنه ثقيل الظل، لا يبرح بابها، بل هو قائم بجواره. فعلى الرغم من أنّ الكلمتين متقاربتين من حيث المعنى، لكن إحداهما كانت أدل على إحساس الشاعر من الأخرى، والمؤدية إلى المقاصد التي كان يريد إيضاها وإبرازها لمتلقيه، فالشاعر الموفق هو الذي يهتدي إلى الكلمة التي تكون شديدة الإبانة على المقصد والتي لها الوقع في النفس وتأثيرها على المتلقي؛ لأنّ التمييز بين الألفاظ من المقاييس التي بنى عليها النقاد العرب قسما كبيرا من نقدهم.⁽⁴⁾

1- الصناعتين الكتابة والشعر، العسكري، ص: 21.

2- القصدية والمقبولية بين التراث النقدي والدرس اللساني الحديث، إباد نجيب عبد الله، إباد مصطفى عاشور ص: 352.

3- المصدر السابق، ص: 68.

4- ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، تحفة مصر للطباعة والنشر - القاهرة -، (دط)، (دت)، ص: 453.

ح- ابن رشيق القيرواني (465هـ):

عقد "ابن رشيق القيرواني" في كتابه "العمدة في محاسن الشعر" بابا في "آداب الشاعر" حيث جعل العلم بالمقاصد من جملة ما يحتاج إليه الشاعر في صناعة الشعر، إذ يقول: «وأول ما يحتاج إليه الشاعر - بعد الجهد الذي هو الغاية، وفيه وحده الكفاية - حسن التأتي والسياسة، وعلم مقاصد القول؛ فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أحل وأوجع، وإن فخر حبّ ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حنّ ورجع، ولكن غايته معرفة المخاطب كائنا من كان؛ ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا»⁽¹⁾.

فإدراج - ابن رشيق القيرواني - العلم بمقاصد الكلام من جملة ما يتطلب على الشاعر معرفته قبل خوض غمار صناعة الشعر نابع من تصوره النقدي للكتابة التي كان قوامها التعبير عن المعنى دون تكلف وتعقيد، ولذلك كانوا يحرصون على ضرورة اختيار الألفاظ والتراكيب اللغوية الملائمة والمعبرة عن الغرض.

تأسيسا على ما سبق يمكننا القول بأنّ مبدأ "المقصدية" كان الأساس الذي قامت عليه الفلسفة "الظاهرانية الفينومينولوجية" بزعامة "إدموند هوسرل"، ثم أوجدته فيما بعد تيارات أخرى فكان مصب اهتمام فلاسفة من أمثال: أوستين، وسيرل، وغرايس، هذا الأخير الذي أعطى للمتكلمين ومقاصد مكانة محورية عند تفسير المعنى، وهو مفهوم خصب في التيار التداولي .

1- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل - سوريا-، ط5، 1981م، ج: 01، ص: 199.

الفصل الثاني:

الاستراتيجية الإقناعية في

خطابه محمد القاهر الجرجاني

أولاً- العجاىء التقرىمى فى خطابء ءلائل الإءجاز.

ءانىا- ألىاء الإءناع فى ءلائل الإءجاز.

1- الوسائل اللءوءىة.

2- الوسائل البلاغىة.

3- الوسائل شهء المنطقىة.

4- السلمء العجاىء.

5- الوسائل المنطقىة.

أولاً- الحجاج التقويمي في خطاب دلائل الإعجاز.

أ- تعريف الحجاج التقويمي

ب- مميزات الحجاج التقويمي ونماذج منه في خطاب

"دلائل الإعجاز".

أولاً- الحجج التقويمي في خطاب دلائل الإعجاز:

أ- تعريف الحجج التقويمي:

هو خطاب «متوقع من مرسل إليه متخيّل يفترض المرسل وجوده تحسباً لأي اعتراضات قد يواجه بها خطابه، بالاستناد على معرفته به وبعناصر السياق، ومن ذلك حججه المفترضة، إذ يراعي المرسل في خطابه الحجاجي أمرين هما: الهدف الذي يريد تحقيقه وهو الإقناع، والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه والتي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه، ويمحصها عند استحضار حججه، فيفتنّها ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه، فلا يتمسك بها إلاّ إذا أدرك أنّها تؤوّل بخطابه إلى القبول والتسليم»⁽¹⁾.

فخطاب المتكلم في هذا النوع من الحجج يتشكل على مقتضى ما يفترضه ويتوقعه من اعتراضات من قبل متلق متخيل يتجادل معه، فيضع في حسبانه استفساراته وردود أفعاله، ويقوم باستحضار مختلف الحجج والأدلة التي تنفي وتدحض ادّعاءات المتكلم، معولاً في ذلك كلّ على سعة اطلاعه ومعرفته بالموضوع وبعناصر السياق.

ب- مميزات الحجج التقويمي ونماذج منه في خطاب "دلائل الإعجاز":

الواقف على خطاب "دلائل الإعجاز" يجده خطاباً تقويمياً محضاً، فترى "عبد القاهر الجرجاني" على طول الكتاب يجرّد من ذاته ذاتاً أخرى، فيطرح السؤال انطلاقاً من توقعه لاعتراضات المتلقي ثمّ يجيب عنها ويدي بحججه، وهكذا حتى لا يترك اعتراضاً متوقعاً إلاّ وعرض له وفنّده.⁽²⁾

1- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 473.

2- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص: 114.

يتجسد "الحجاج التقويمي" «في بعض أصناف الخطابات التي يستثمر فيها المرسل مقولات من قبيل: قال... فقلت، إن قلت... قلنا، فإن قيل... قيل، كيف لا يكون كذلك مع أنه كذا وكذا. وغيرها من المقولات التي تدل على أنّ المرسل يستبق اعتراضات المرسل إليه، ثم يدحضها بحجج في الخطاب نفسه، معوّلاً في تكوين خطابه الحجاجي وبنائه على سعة معرفته بالموضوع»⁽¹⁾.

وهذه الخاصة موجودة في خطاب "عبد القاهر الجرجاني" «من خلال العبارات التي تدور في خطابه، ومنها: (فإن قلت ... قيل، وليس يتصور مثل ذلك... لأته، فإذا قد عرفت ... فههنا)»⁽²⁾.

ومن نماذج ذلك قول "عبد القاهر الجرجاني" في أحد فصول الكتاب: « فإن قيل: فإنه يلزم على تقديرك الفساد من وجه آخر، وذاك أنه يجوز إذا قلت: "ليس لنا أمراء ثلاثة"، أن يكون المعنى: ليس لنا أمراء ثلاثة، ولكن لنا أميران اثنان. وإذا كان كذلك: كان تقديرك وتقديرهم جميعاً خطأ. قيل: إن هاهنا أمراً قد أغفلته، وهو أن قولهم "آلهتنا"، يوجب ثبوت آلهة، جلّ الله وتعالى عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً. وقولنا: "ليس لنا آلهة ثلاثة"، لا يوجب ثبوت اثنين البتة. فإن قلت: إن كان لا يوجب، فإنه لا ينفيه. قيل: ينفيه ما بعده من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لِلَّهِ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (النساء: 171). فإن قيل: فإنه كما ينفى الإلهين، كذلك ينفى الآلهة. وإذا كان كذلك، وجب أن يكون تقديرهم صحيحاً كتقديرك»⁽³⁾.

1- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 474.

2- البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حامدة تقبايت، ص: 64.

3- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 246.

فعبء القاهر الجرجاني من خلال هذا الخطاب الذي بين أيدينا قد «عقد محاوره افتراضية (ضمنية) مع مخاطبه، استعرض من خلالها الحجج التي بإمكانها أن تقوم في ذهن مخاطبه. ثم استعرض من خلالها الحجج التي بإمكانها أن تقوم في ذهن مخاطبه، ثم تلاها بحجج له دحض من خلالها الحجج المفترضة من المخاطب، فكل قول في خطاب الجرجاني مبني على اعتراض مفترض من مخاطبه وبعدها تأتي الحجج التي تدحضها، وهو ما يظهر أهمية المخاطب لدى الجرجاني»⁽¹⁾.

ويمكن أن نمثل لهذا الصنف من الحجاج بمثال آخر يقول "عبد القاهر الجرجاني": «فإن قيل: إذا كان اللفظ بمعزل عن المزية التي تنازعها فيها، وكانت مقصورةً على المعنى، فكيف كانت "الفصاحة" من صفات اللفظ البتة؟ كيف امتنع أن يوصف بهذا المعنى فيقال: "معنى فصيح، وكلام فصيح المعنى"؟ قيل: إنما اختصت الفصاحة باللفظ وكانت من صفته، من حيث كانت عبارة عن كون اللفظ على وصف إذا كان عليه، دلّ على المزية التي نحن في حديثها، وإذا كانت لكون اللفظ دالاً، استحال أن يوصف بها المعنى، كما يستحيل أن يوصف المعنى بأنه "دالّ" مثلاً، فاعرفه. فإن قيل: فماذا دعا القدماء إلى أن قسّموا الفضيلة بين المعنى واللفظ فقالوا: "معنى لطيف، ولفظ شريف...»⁽²⁾.

والمتصفح في آخر المدونة يجد أيضاً البعد الحجاجي التقويمي حاضراً بحيث يعترف "عبد القاهر الجرجاني" بعناد خصمه وتعصبه لرأيه وتمسكه به وعدم إفصاحه لصحة ما ذهب إليه والتسليم له بسهولة⁽³⁾، فيقول: «اعلم أنك لن ترى عجباً أعجب من الذي عليه الناس في أمر النظم، وذلك أنه ما من أحد له أدنى معرفة إلاّ وهو يعلم أن هاهنا نظماً أحسن من نظم، ثم تراهم إذا أنت أردت أن تبصّرتهم ذلك تسدّرت أعينهم، وتضل عنهم

1- البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حامدة تقبايت، ص: 64.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 49-50.

3- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص: 122.

أفهامهم. وسبب ذلك أنهم أول شيء عدموا العلم به نفسه، من حيث حسبه شيئاً غير توخي معاني النحو، وجعلوه يكون في الألفاظ دون المعاني. فأنت تلقي الجهد حتى تميلهم عن رأيهم، لأنك تعالج مرضاً مزمناً، وداًء متمكناً. ثم إذا أنت قد تمّ بالخزائم إلى الاعتراف بأن لا معنى له غير توخي معاني، عرض لهم من بعد خاطر يدهشهم، حتى يكادوا يعودون إلى رأس أمرهم»⁽¹⁾.

فخصوص "عبد القاهر الجرجاني" ينكرون أن يكون مرجع المزيّة والشرف في النظم إل توخي معاني النحو فيما بين الكلم من علاقات، ويدعون أنّ مصدر الاستحسان والأريحية التي تحدث في نفس المخاطب عائد إلى الألفاظ دون المعاني.

كما قد يكون "الحجاج التقويمي" عن طريق «مخاطبة المرسل إليه وكأته حاضر، باستعمال فعل أمر من قبيل (واعلم أن) أو نهي مثل (ولا يغرب عن بالك). لدحض أي حجاج لا ينتسب إلى مرسل معيّن، ولكنّه حجاج متوقع. وعلى هذا، فالمرسل لا يتصور اعتراضات المرسل إليه فيدحضها فقط، بل ويُسايها حتى يرى أنّ خطابه قد بلغ من الإقناع مبلغاً يطمئن إليه»⁽²⁾.

والمستقرئ لكتاب "دلائل الإعجاز" يجد هذه الخاصية مجسدة فيه، فهو ينضح بفعل الأمر (اعلم)، ومن أمثلة ذلك قوله في قضية "اللفظ والمعنى": «واعلم أي على طول ما أعدت وأبدأت، وقلت وشرحت، في هذا الذي قام في أوهام الناس من حديث اللفظ لربّما ظننت أي لم أصنع شيئاً، وذاك أنّك ترى الناس كأنّه قد قُضي عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصدده، على التقليد البحت، وعلى التوهّم والتخيّل، وإطلاق اللفظ من

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 356.

2- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 475.

غير معرفة بالمعنى، قد صار ذلك الدّأب والدّيدن، واستحكم الداء منه الاستحكام الشديد». (1)

وخلاصة القول أنّ مميزات وخصائص "الحجاج التقويمي" في خطاب "دلائل الإعجاز" بادية لا خفاء فيها من مدخل الكتاب إلى غاية نهايته، وعليه يمكن الحكم على أنّ خطاب "عبد القاهر الجرجاني" هو خطاب تقويمي" محظ وهذا مما لا شك فيه، فهو «يُرسل خطابه إلى قوم منكرين لهذا الخطاب؛ لأنّهم درجوا منذ زمن بعيد على قول نقيض له، حتى صار عندهم في عداد المسلمات التي لا تقبل التنازل عنها، خاصة وقد اقترنت بمنزعه ديني عقدي الذي هو أشدّ تمكنا من النّفس البشرية، بل وصل عنادهم إلى درجة الاعتراف بحجج المرسل ثم إذا خلّوا بأنفسهم خطر لهم ما يُدهشهم حتى يكادوا يعودون إلى رأس أمرهم وهو رأيهم القديم، وهذا الذي أجهد "عبد القاهر الجرجاني"». (2)

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 236.

2- الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص: 122.

ثانيا- آليات الإقناع في "دلائل الإعجاز":

1- الوسائل اللغوية

- أدوات التعليل

- التكرار

- الصفة

- الأفعال اللغوية

ثانيا- آليات الإقناع في "دلائل الإعجاز":

1-الوسائل اللغوية:

إنّ اللّغة هي أداة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس الكامنة في النفوس، ووسيلة للتفاعل والتّواصل بين المتكلم والمتلقي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي لها وظيفة «تتجاوز كونها وسيلة تواصل إلى وسيلة تأثير في العالم والسلوك، ويصير الكلام ذا قوة بلاغية كامنة فيه حال النطق به، وقوة أخرى تأثيرية فعلية على مستوى المتلقي، تظهر من خلال الآثار والنتائج المترتبة». (1)

فوسيلة المحاجج هي اللّغة التي يتوسل بها إلى إحداث تغيير في سلوكات وقناعات الطرف الآخر، وتعديل ادّعاءاته وأقواله، ومحاولة استدراجه إلى الدعوى المعبر عنها، وإقناعه بمدى صحتها.

ولقد جنّد "عبد القاهر الجرجاني" جملة من الآليات اللّغوية التي تؤدي وظيفة إقناعية، ومن أهمها ما يلي:

1-1-ألفاظ التعليل:

لجأ "عبد القاهر الجرجاني" في مدونته إلى استعمال "ألفاظ التعليل" «لتركيب خطابه المحاججي، وبناء حججه فيه» (2)، والتي تمثلت في:

1- اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرر العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة (دم)، ط1، 2009م، ص:94.

2- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص:478.

أ- لفظ السبب:

وبالرجوع إلى المدونة نجد هذه اللفظة ماثلة في خطاب "عبد القاهر الجرجاني" كقوله في "باب النّظم": وإن أردت أظهر أمراً في المعنى، فانظر إلى قول "إبراهيم بن العباس":⁽¹⁾

فَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ، وَأُنْكَرَ صَاحِبٌ، وَسُلِّطَ أَعْدَاءٌ، وَغَابَ نَصِيرٌ
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَاذِ دَارِي بِنَجْوَةٍ، وَلَكِنْ مَقَادِيرٌ جَرَتْ وَأُمُورٌ
وَإِنِّي لِأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُحَمَّداً لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخٌ وَوَزِيرٌ

يقول "عبد القاهر الجرجاني" معقبا على هذه الأبيات مُبرزا فيها جمال المعنى: «فإنّك ترى ما ترى من الرّونق والطلّاة، ومن الحُسن والحلاوة، ثم تتفقد السبب في ذلك، فتجده إمّا كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو (إذ نبا) على عامله الذي هو (تكون)، وأن لم يقل: (فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر) ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به من بعد، ثم أن قال: (وأُنكر صاحب) ولم يقل: (وأُنكرت صاحباً)، لا ترى في البيتين الأوّلين شيئا غير الذي عدته لك تجعله حسنا في "النّظم" وكله من معاني النحو كما ترى...»⁽²⁾.

فعبد القاهر الجرجاني يمهّد بكلمة (السبب) لحججه التي سيسوقها، وبالتالي فإنّ هذا التمهيد يفضي إلى أنّ ما وراءه هو حجّة على دعوى⁽³⁾: أنّ ما نراه من الرّونق والطلّاة ومن الحُسن والحلاوة في نظم تلك الأبيات هو راجع إلى معاني النحو.

1- الطرائف الأدبية - القسم الثاني: ديوان إبراهيم العباس الموصلي -، ص: 132.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 63-64.

3- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 479.

وتتلخص هذه الحجج في أنّ الشاعر «قدّم الظرف (إذ نبا) على الفعل (تكون على الأهواز)؛ لأنّ الأصل: فلو تكون داري بنجوة إذ نبا... إلخ.

وثانيها: التعبير عن الماضي بصيغة المضارع؛ لأنّ الأصل أن يقول: (كان على الأهواز) ليوافق (نبا)، ولكن العدول عنه إلى (تكون) يشير إلى تمسكه بما يتمناه مهما كان مستبعدا.

وثالثها: بناء الفعل للمفعول في قوله (وأنكر صاحب) ولم يقل (وأنكرت صاحباً) القصد منه تعميم الفاعل، وأنّ الإنكار ليس خاصا بصاحب دون صاحب لأتّهما حالة عامة»⁽¹⁾.

ونضرب مثالا آخر من المدونة يُظهر وظيفة لفظ (السبب)، ويتمثل ذلك في "باب حذف المفعول"، والذي قسمه إلى قسمين: الأول: جلي واضح لا صنعة فيه، والثاني: خفي تدخله الصنعة، ومثاله قول "عمرو بن معدي كرب"⁽²⁾:

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ
نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجْرَتِ

يقول "عبد القاهر الجرجاني" معلقا على هذا البيت: «(أجرت) فعل متعدّ، ومعلوم أنّه لو عدّاه لما عدّاه إلّا إلى ضمير المتكلم نحو: (ولكن الرّماح أجرتني)، وأنّه لا يُتصوّر أن يكون هاهنا شيء آخر يتعدّى إليه، لاستحالة أن يقول: (فلو أنّ قومي أنطقني رماحهم)، ثم يقول: (ولكن الرّماح أجرت غيري)، إلّا أنّك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه إلى لفظك. والسبب في ذلك أنّ تعديتك له توهم ما

1- شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد إبراهيم شادي، ص: 149.

2- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع وتنسيق: مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق، ط2، 1985م، ص: 73.

هو خلاف الغرض، وذلك أنّ الغرض هو أن يُثبت أنّه كان من الرّماح إجرارٌ وحبسٌ للألسن عن النطق، وأن يصحّ وجود ذلك»⁽¹⁾.

فمن خلال القراءة المتأنية يتبيّن لنا وظيفة لفظ (السبب) في مقولة "عبد القاهر الجرجاني"، والتي تتمثل في تبرير اختيار الشاعر إضمار مفعول الفعل (أجزّت) بدلا من إظهاره، وكأنّ سائلا يسأل فيقول: لماذا لجأ الشاعر في هذا البيت إلى حذف المفعول به وعدم التصريح به كما في قوله (أنطقني)؟

فالشاعر في هذا البيت قد جعل "الرّماح" مركز الصورة لتحسيد جملة من المعاني، ولعل أبرزها التخاذل وخيبة الأمل والندم والتحسر، فقوم الشاعر لم يدلوا بلاءً حسنا في الحرب حتى يحركوا كيان الشاعر فيمدحهم ويثني على عملهم، فتراجع الرّماح وتخاذلها ثبّت نفسيته وأخرس لسانه عن النطق فسكت رُغما عنه، ولذا حذف مفعول الفعل (أجزت) لإثبات الإجرار وإسنادها إلى الرّماح حتى يتجسد تخاذل تلك الرّماح ووراء ذلك: التعريض بخيبة قومه وتخاذلهم وضعفهم.⁽²⁾

ب- لأنّ:

يعمد المحاجج إلى انتقاء جملة من الأدوات اللّغوية، ولعل (لأنّ) من بين الأدوات التي استعان بها "عبد القاهر الجرجاني" في مدونته الحجاجية، ويمكن أن نمثل لذلك بالنماذج النصية التالية:

1 - قال "عبد القاهر الجرجاني": «وهكذا السبيل إن زعم زاعم أنّ الوصف المعجز هو (الجريان والسهولة)، ثم يعني بذلك سلامته من أن تلتقي فيه حروف تثقل على اللسان لأنّه ليس بذلك كان الكلام كلاما، ولا هو بالذي يتناهى أمره إن عُدّ في الفضيلة

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص:107.

2- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص:236.

إلى أن يكون الأصل، وإلى أن يكون المعوّل عليه في المفاضلة بين كلام وكلام، فما به كان الشاعر مُفْلِقًا، والخطيب مِصْقَعًا، والكاتب بليغًا»⁽¹⁾.

ينفي "عبد القاهر الجرجاني" في هذا القول زعم القوم الذين اتخذوا سلاسة الحروف وخفتها على اللسان وصفا للإعجاز في القرآن الكريم، وعلّل ذلك بأنّ الكلام بصفة عامة يتكون من الحروف الخفيفة والثقيلة، فقد تكون الحروف ثقيلة لكنّها مؤدّية للغرض معبرة عن المقاصد والغايات، كما أنّ المفاضلة والموازنة بين الكلام، والحكم على شاعرية الشاعر، وبلاغة الكاتب ليس مرده إلى السهولة والخفة في الحروف.

2- قال "عبد القاهر الجرجاني": «ثم إن هذا الوصف ينبغي أن يكون وصفا قد تجدد بالقرآن، وأمر لم يوجد في غيره ولم يُعرف قبل نزوله، وإذا كان كذلك، فقد وجب أن يُعلم أنّه لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة؛ لأنّ تقدير كونه فيها يؤدّي إلى المحال، وهو أن تكون الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللّغة قد حدثت في مذاقة حروفها وأصدائها أوصاف لم تكن، لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن، وتكون قد اختصّت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعها السامعون عليها أن كانت متلوّة في القرآن، لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن»⁽²⁾.

اعترض "عبد القاهر الجرجاني" على القائلين بأنّ الصفة المميزة للقرآن الكريم والتي أهلتها ليكون معجزا ما حوته اللّفظة القرآنية من أوصاف، وقد علل استحالة هذا الوصف؛ فمعاني الألفاظ المفردة أمر متواضع عليه من الجماعة اللّغوية، أما ما نجده من ثراء الكلمة في القرآن الكريم، فإنّه يعود إلى ما استمدته من تركيبها ونظمها⁽³⁾.

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 300.

2- المصدر نفسه، ص: 248.

3- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 470.

3- يقول "عبد القاهر الجرجاني" في باب "الفصل والوصل": «وليس كذلك الحال في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ و﴿وَمَكْرُوا اللَّهَ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ لأنَّ الأول من الكلامين فيهما كالتَّاني في أنَّه خبر من الله تعالى وليس بحكاية. وهذا هو العلة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 11-12)، إنَّما جاء (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) مستأنفاً مُفتتحاً "بألا"، لأنَّه خبر من الله تعالى بأنَّهم كذلك، والذي قبله من قوله (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)، حكاية عنهم. فلو عطف للزم عليه مثل الذي قدِّمت ذكره من الدخول في الحكاية، ولصار خبراً من اليهود ووصفاً منهم لأنفسهم بأنَّهم مفسدون، ولصار كأنَّه قيل: قالوا: (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، وقالوا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)، وذلك ما لا يشكُّ في فساده».⁽¹⁾

يقف "عبد القاهر الجرجاني" في هذا النص موقف المعلل للعطف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء: 142)، وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا اللَّهَ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 54)، وترك العطف في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 11-12)، فوقع العطف بواسطة الحرف "و" في سورتي "آل عمران والنساء"؛ لأنَّ الجملتين المعطوفتين فيهما خبر من الله تعالى، وليس حكاية، فالمشاركة والمناسبة بين الجملتين قائمة، أما ترك العطف في "سورة البقرة"؛ لأنَّ القائل ليس واحداً، ولو عطفنا لأوهم أنَّ القائل واحد وأدى إلى اختلال المعنى، لذلك ترك العطف بين الجملتين لعدم المشاركة بينهما فالجملة الأولى حكاية عن المنافقين والثانية خبر من الله تعالى.⁽²⁾

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 154-155.

2- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 317-318.

وعليه فبناء تركيب الآيتين الكريميتين من "سورة النساء وآل عمران" على شاكلة العطف لاشتراكهما في نفس الحكم (كلاهما خبر من الله تعالى)، أما في "سورة البقرة" فقد امتنع العطف وتم الفصل بين الآيتين لعدم الاشتراك في الحكم (الجملة الأولى من مقول المنافقين والثانية خبر من الله سبحانه وتعالى)، ودفع التوهم أنّ جملة (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) من مقول المنافقين أيضا.

4- يقول "عبد القاهر الجرجاني" في "باب القصر": «وإذا كان الأمر ظاهرا كالذي مضى، لم تقله كذلك، فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبّهه للذي يجب عليه من صلة الرّحم ومن حسن التّحاب: (ما هو إلاّ أخوك)، وكذلك لا يصلح في (إنّما أنت والد)، (ما أنت إلاّ والد)، فأما نحو: (إنّما مصعب شهاب)، فيصلح فيه أن تقول: (ما مصعب إلاّ شهاب)؛ لأنّه ليس من المعلوم على الصّحّة، وإنّما ادّعى الشاعر فيه أنّه كذلك. وإذا كان هذا هكذا، جاز أن تقوله بالنّفي والإثبات إلاّ أنّك تخرج المدح حينئذ عن أن يكون على حدّ المبالغة، من حيث لا تكون قد ادّعت فيه أنّه معلوم، وأنّه بحيث لا يُنكره مُنكر، ولا يخالف فيه مخالف».⁽¹⁾

إنّ الأصل في استخدام (إنّما) أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، ولكن في بعض الأحيان قد يُعدل عن هذا الأصل فيلجأ التّأظم إلى استعمال (إنّما) في الأمور المعلومة، وكان الأولى له أن يستخدم طريق النفي والاستثناء.⁽²⁾

فالعدول عن أصل وضع (إنّما) في قوله (إنّما مصعب شهاب) قد برره "عبد القاهر الجرجاني" بالمبالغة، وعلى الادّعاء أنّ كون مصعب شهابا من الأمور التي أصبحت معلومة لدى كل النّاس بحيث لا ينكره ولا يخالفه فيها أحد.

1 - دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 218.

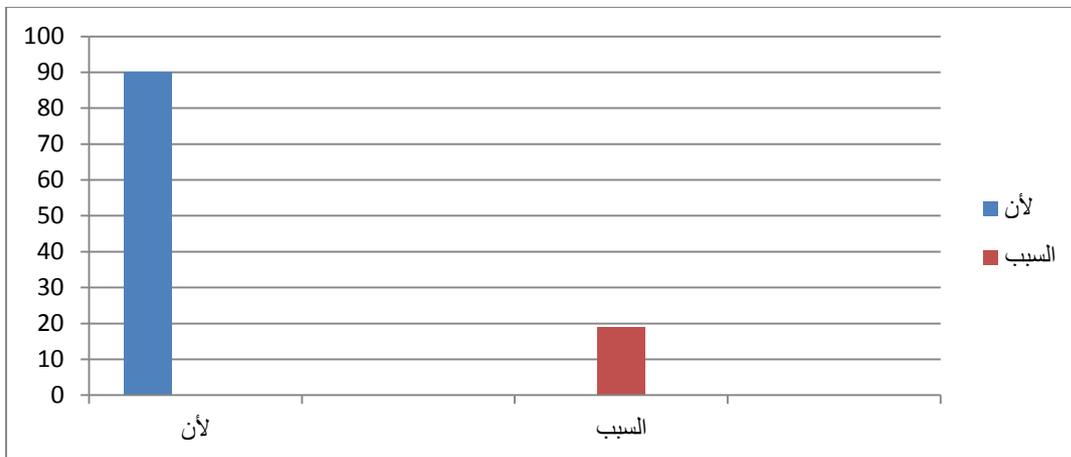
2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 216.

إنّ هذه المدونة تقوم على الطابع الحجاجي، "وعبد القاهر الجرجاني" يحاول من خلالها تحقيق أغراضه ولعل أبرزها الإقناع والتأثير، مستعينا في ذلك بلفظة (السبب) وأداة التعليل (لأنّ)، وهذا حسب اطلّاعي .

وقد أجريت إحصاءً لمواضع استعمال هاتين الأداةين فكانت النتائج كالآتي:

الأداة	عدد التكرارات
لأنّ	90
السبب	10

ويمكن أن تمثل لعدد التكرارات بالمدرج التكراري التالي:



مدرج تكراري يمثل نسبة تردد الأداة "لأنّ" ولفظ "السبب"

فالملاحظ من خلال المدرج التكراري الموضح أعلاه أنّ أداة التعليل "لأنّ" في كتاب "دلائل الإعجاز" قد استخدمت بشكل كبير حيث بلغت نسبة 90%، ولعل هذا راجع في نظري إلى اعتبار "عبد القاهر الجرجاني" أنّ الأداة "لأنّ" هي من أقدر الوسائل اللغوية تأدية للمقاصد، وبمأنّ خطابه موصوف على أنّ حجاجي يهدف إلى دحض الاعتراضات والشبه، وإزالة الشك الذي يختلج صدر المتلقي، ويدور في ذهنه حول القضية المختلف فيها، فأثر التعليل بالأداة "لأنّ" للوصول بالمتلقي إلى اليقين وإزالة الشك الذي كان يراوده، والله أعلم.

1-2- التكرار:

يأخذ التكرار باعتباره آلية من الآليات اللغوية قيمته الجدلية الحجاجية، حيث يستعمله المرسل رغبة في تثبيت الفكرة، وتأكيد القضية المطروحة، وترسيخها في ذهن المتلقي.⁽¹⁾

وقد عمد إليه "عبد القاهر الجرجاني" في مدونته، ويتجلى ذلك في تكراره لفكرة النظم والتي مدارها قائم على "توخي معاني النحو"، حيث بدأ الحديث عنه في مقدمة مؤلفه من الصفحة 7 إلى غاية الصفحة 12، وفي فصل القول "في الفرق بين الحروف المنظومة، والكلم المنظومة" في الصفحات من: 42-45، وفي فصل عنونه ب"صفة النظم وشواهد من محاسنه" من الصفحة 60 إلى غاية الصفحة 64.

كما نلني "عبد القاهر الجرجاني" قد أعاد الحديث عن "النظم" في الفصول

التالية:

- في أن هذه المزايا في النظم، بحسب المعاني والأغراض التي تُؤمّ.
- في النظم يتحد في الوضع، ويدق فيه الصنع.
- في أن النظم متوقف على التركيب النحوي .
- في أن النظم هو توخي معاني النحو.
- تحليلي للنظم.

1- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عمر بوقمرة، ص: 129.

فتكرار "عبد القاهر الجرجاني" لمسألة "النظم" لم يكن اعتباطا بل أراد من خلال ذلك التكرار تثبيت فكرة أنّ سر الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في نظمه، وأنّ هذا النظم قائم على توحّي معاني النحو بين الكلم.⁽¹⁾

ومن أكثر الموضوعات التي تردت في "دلائل الإعجاز" "الاستعارة والتمثيل والكناية"، والحق أنّ هذا التكرار لم يكن تكرارا بالمعنى الحرفي لنفس المضامين، ولكن يعاد الموضوع بطريقة مختلفة عن الأولى بإضافة أشياء لم تكن قد ذكرت من قبل.⁽²⁾

ففي المرة الأولى جاء الحديث عن هذه الألوان الفنيّة (الاستعارة والتمثيل والكناية) لتحديد حد كل منها، وتعرض "عبد القاهر الجرجاني" لهذه الصور البيانيّة مرة ثانية لبيان «أن ليست المزيّة-التي تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره، والمبالغة التي تدّعي لها- في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبره، ولكنها في طريق إثباته لها وتقديره إيّاها».⁽³⁾

ويعرض "عبد القاهر الجرجاني" لهذه الأجناس مرة أخرى ليزيل ذلك الظن أن يكون جمالها في ذاتها، ويثبت أنّ حسنها إنّما يتم بما يُتوخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير وخلافه، وكانت الاستعارة هي النموذج في هذا.⁽⁴⁾

وتحدث "عبد القاهر الجرجاني" في المرة الأخيرة عن هذه الأجناس، حيث نفى أن تكون الاستعارة التي هي من مقتضيات النظم أصلا في الإعجاز، وأن يقصر عليها؛ لأنّ

1- ينظر: البنية الحجاجية في النثر العباسي تناول تداولي لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، نفيسة طيب، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي العقيد أكلبي محمد أولحاج - البويرة-، 2011-2012م، ص:110.

2- ينظر : شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 13.

3 - دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص:54.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص: 72.

ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة، وأثبت أن الأصل في الإعجاز هو النظم.⁽¹⁾

وهكذا ترددت هذه الألوان (الاستعارة والكناية والتمثيل) في "دلائل الإعجاز"، فكان الموضوع المطروح واحداً، ولكن تعددت زوايا تناوله، وطريقة معالجته بحسب تعدد السياقات ومقتضى كل سياق، فكل فكرة يطرحها لأوّل وهلة إلاّ ويضيف إليها عناصر جديدة عند إعادته لها.⁽²⁾

كما نلّفني "عبد القاهر الجرجاني" قد كرر صيغة فعل الأمر الصريح (اعلم) على طول الكتاب باعتباره مكوناً حجاجياً.

1-3- الصفة:

تعد الصفة من الآليات الحجاجية التي يوظفها المتكلم في خطابه، والتي تمثل حجة له في خطابه، وذلك بإطلاقه لنعته معين في سبيل إقناع المتلقي، ويشمل الوصف عدداً من الأدوات اللغوية منها: الصفة واسم الفاعل واسم المفعول.⁽³⁾

فمن النماذج النصية التي نجد فيها الوصف ما استهل به "عبد القاهر الجرجاني" باب "التقديم والتأخير" حيث قال: «هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروّفك مسمّعاً، ويَلطّفُ لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطّف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان».⁽⁴⁾

فاستعانة "عبد القاهر الجرجاني" بتقنية الوصف الغاية منها إزالة ذلك الظن الذي كان سائداً قبله في بيان سبب ما قدم أن يقولوا: قدّم للعناية به، ولأنّ ذكره أهم،

1- ينظر : دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 251.

2- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد ابراهيم شادي، ص: 14.

3- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 486.

4- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 76-77.

دون تبين موطن هذه العناية وسبب هذا التقديم، ودعوته لكشف النقاب عن اللطائف الأدبية، والأسرار البلاغية، واللمحات الفنيّة، والأسرار البيانية التي يخلقها هذا العدول عن أصل وضع اللّغة وذلك من خلال تذوق النصوص الشعرية والنثرية من جهة، ودراسة هذا الأسلوب في لغة القرآن الكريم ففيه بلغ ذروة السنام في تجسيد المعاني والتي تكسب النص القرآني دلالة إعجازيته.

ومن هنا «يتبين هدف عبد القاهر الجرجاني من سعيه الحثيث للإقناع بهذا المبحث البلاغي وحفز الهمم إليه لأنه السبيل الموصل إلى معرفة إعجاز كتاب الله عز وجل».⁽¹⁾

ونظرا لقيمة العلم وقداسته ومراتب الشرف التي يعتليها جعلت "عبد القاهر الجرجاني" يستفتح مصنفه بالحديث عنه كما استوجبتها له عظمته ومكانته متّخذاً من تقنية الوصف سبيلا لإقناع المتلقي، وتحقيق التأثير المطلوب فيه.⁽²⁾

وعلم البيان أحد العلوم التي خاض "عبد القاهر الجرجاني" غمارها بالمبحث والتنقيب والتعمق في دراستها، والتضلع في فنونها وأفنانها غايته الأسمى من ذلك إثبات أنّ القرآن الكريم معجز بنظمه الفريد، وإيجازه البديع، وقدرته الفائقة في اختيار المفردات والتراكيب اللّغوية المناسبة للمواقف، وتصوير المعاني والأفكار، وعرض الأساليب في ألوان غاية في الجمال، فقال عن هذا العلم: «ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً، وأحلى جنّى، وأعذب وزداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لسانا يحوِّك الوشّي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدرّ، وينفث السحر، ويفري الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويحكى الحلو اليناع من الثمر، والذي لولا تحقّيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولا ستمر السرار

1- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 180.

2- البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حامدة تقبايت، ص: 73.

بأهلتها، واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء»⁽¹⁾.

فالتأمل في هذه الفقرة التي بين أيدينا يلفي "عبد القاهر الجرجاني" قد استخدم الجمل القصيرة المختصرة المغمورة بالألفاظ الواصفة لإلحاق وإيصال أهمية علم البيان ومزاياه في ذهن المتلقي، وإشراكه في الإحساس بقيمته، إضافة إلى أن هذه التراكيب والصيغ التعبيرية تندرج ضمن الأسلوب الخبري الابتدائي الخالي من أدوات التوكيد، وكأن "عبد القاهر الجرجاني" على دراية بخلو ذهن المتلقي من هذه الأوصاف والنعوت التي قدّمت لعلم البيان.⁽²⁾

1-4- الأفعال اللغوية:

إنّ الدارس لمدونة "دلائل الإعجاز" يلفي الإمام "عبد القاهر الجرجاني" قد استخدم نوعين من الأفعال الطلبية وهي: "الاستفهام" و "الأمر".
أ- الاستفهام:

إنّ دور الاستفهام باعتباره فعلا كلاميا يتجاوز دور المساعد في تركيب بنية الخطاب، إذ يستعمله المحاجج على أنّه حجج وأدلة بعينها تسهم في التسليم بصحة كلام المتكلم.⁽³⁾

ومن أمثلة هذا في المدونة ما ورد في فصل "تحقيق القول في الفصاحة والبلاغة"، قال "عبد القاهر الجرجاني": «وهل يقع في وهم وإن جَهَدَ، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن يُنظر في مكان تقعان فيه من التأليف والنّظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفةً مستعملةً، وتلك غريبةً وحشيةً، أو أن تكون حروف هذه أخفّ وامتزاجها

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 15.

2- ينظر: البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حامدة تقبايت، ص: 73-74.

3- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 483.

أحسن، ومما يكدّ اللسان أبعد؟ . وهل تجد أحدا يقول: "هذه اللفظة فصيحة" إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟⁽¹⁾. ثم قال: «وهل قالوا: "لفظة متمكنة ومقبولة"، وفي خلافه: "قلقة ونايبة ومستكرهة"، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والتنبؤ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤداهما؟. وهل تشكّ إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: 44)». ⁽²⁾

وقال: «فتجلّى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنّك لم تجد ما وجدت من المزيّة الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحُسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقرها إلى آخرها، وأنّ الفضل نتاج ما بينها وحصل من مجموعها؟. إن شككت فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدّت من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؟ قل "ابلعي"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها». ⁽³⁾

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 39.

2- المصدر نفسه، ص: 39.

3- المصدر نفسه، ص: 39-40.

فالناظر إلى هذا النص يرى أنّ "عبد القاهر الجرجاني" قد أفعم دليله بترسانة من الاستفهامات، فالاستفهام الواقع في صدر الفقرة أتى بمعنى النفي، وإيثاره التعبير بالاستفهام لما يحمله من دلالة التنبيه وإيقاظ النفوس من هذا الوهم ودفع الخصم للمشاركة في التفكير والتأمل الذي يقود إلى الاعتراف بما يبتغي "عبد القاهر الجرجاني" التقرير به وهو أنّ الكلمة المفردة لا تتفاضل ولا تتمايز عن غيرها من المفردات قبل أن تنسجم في التأليف، ولكن من جهة اللفظ فقد تكون إحدى الكلمتين آنس وأكثر استعمالاً، وحروفها أخف على اللسان.⁽¹⁾

والاستفهام الثاني (وهل تجد أحداً يقول... وفضل مؤانستها لأخواتها؟) هو « دليل على أنّ الفصاحة والبلاغة لا تكون أوصافاً للفظ المفرد، ويعتمد "عبد القاهر الجرجاني" فيه على الاستفهام الذي يقرر بما هو مستقر في الطباع السليمة من أنّ أحداً لا يقول: "هذه اللفظة فصيحة" إلاّ وهو يقصد موقع اللفظة وحسن ملاءمة معناها المعاني جارئاتها». ⁽²⁾

كما أنّ الاستفهام الثالث والرابع هي بمثابة أدلة تثبت ما ذهب إليه "عبد القاهر الجرجاني" من نفي أن يوصف اللفظ المفرد بالفصاحة.

والاستفهام الوارد في نهاية الفقرة تقريرية وبواسطة الأداة "كيف" إذ يطلب "عبد القاهر الجرجاني" من المخاطب أن يجرب بنفسه فيأخذ لفظاً من آية وينظر إليها وحدها ليرى هل تعطي وهي منعزلة ما تعطيه وهي في مكانها من الآية ليصل في آخر المطاف بعد هذا التجريب إلى النتيجة أنّ ما نشاهده في هذه الآية وفي باقي سور القرآن الكريم من

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد ابراهيم شادي، ص: 99.

2- المصدر نفسه، ص: 99.

سورة الفاتحة إلى غاية سورة الناس من روعة وإعجاز لا يعود إلى جزء مستقل منها ولكن لاتصال أجزاء النظم اتصالا يفي بحق المعنى.⁽¹⁾

فكل هذه الاستفهامات التي وظفها "عبد القاهر الجرجاني" هي أدلة «متصلة بخدمة المقصد الذي أراده، وهو في هذا المقام يتمثل في الانتصار لأهمية النظم في الكلم، وأنه به تتحقق الفصاحة في الخطاب عامة».⁽²⁾

وقد يكون الحجاج من خلال «استعمال الأسئلة التي تنتمي إلى الاستفهام التقريري، فالأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه، وأقوى حجة عليه».⁽³⁾

فمن أمثلة هذا النوع من الأفعال الإنجازية قول "عبد القاهر الجرجاني" «وإذا نظرت في الصفة مثلا، فعرفت أنها تتبع الموصوف، وأنّ مثلها قولك: (جاءني رجل ظريف) هل ظننتم أنّ وراء ذلك علما، وأنّ هاهنا صفة تخصّص وصفة توضّح وتبيّن، وأنّ فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح، كما أنّ فائدة الشّيع غير فائدة الإبهام، وأنّ من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح، ولكن يُؤتَى بها مؤكدة كقولهم (أمس الدّابر) وكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (الحاقة: 13)، وصفة يراد بها المدح والثناء كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جدّه؟ وهل عرفت في الفرق بين الصفة والخبر وبين كل واحد منهما وبين الحال؟ وهل عرفت أنّ هذه الثلاثة تنفق في أنّ كافتها لثبوت المعنى للشّيء، ثم تختلف في كيفية ذلك الثبوت».⁽⁴⁾

فالاستفهامات الحجاجية الواردة في هذه الفقرة «للتقرير، وكأنّ "عبد القاهر الجرجاني" يستنطق بمجادليه بحقائق ناصعة متفرعة على ما عرفوه من مسائل في علم النحو، وينبهم إلى فروع المسائل التي تكمن فيها كثير من معاني النّحو وثمرات الإعراب، فهي

1 - ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد ابراهيم شادي، ص: 100.

2- البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حامدة تقبايت، ص: 57.

3- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 484.

4- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 31-32.

مفاتيح المعاني والفوائد واللطائف في القرآن الكريم، ومن شاء فليراجع ظاهرة واحدة في الكشاف للزمخشري في تعدد الأوجه النحوية لبعض كلمات القرآن الكريم وما يترتب عليها من تعدد المعاني والفوائد واللطائف»⁽¹⁾.

فايثار "عبد القاهر الجرجاني" التعبير بصيغة الاستفهام الغاية منه حمل الخصوم على الإقرار والاعتراف بقيمة فروع وتفصيلات مسائل اللغة والنحو؛ لأنّ فيها علما يحمل في كنهه خصائص الإعجاز في القرآن الكريم، ومن ثمّ التسليم بصحة كلامه ومشاركة مجادليه في قناعاته، وتصحيح جوانب التقصير والإهمال.

والشيء اللافت أنّ "عبد القاهر الجرجاني" كان في بعض الأحيان يبادر متلقيه بالاستفهام بعد أفعال التحدي (خبّرنا، خبرونا، انظروا) مباشرة كما في هاته الخطابات:⁽²⁾

يقول "عبد القاهر الجرجاني": «فقل لنا: قد سمعنا ما قلت، فخبّرنا عنهم، عمّا ذا عجزوا؟ أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحّتها في العقول؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلت: عن الألفاظ، فماذا أعجزهم من اللفظ، أم ما بهرهم منه؟»⁽³⁾.

ويقول: «فدعوا ذلك وانظروا في الذي اعترفتم بصحته وبالحاجة إليه، هل حصلتموه على وجهه؟ وهل أحطتم بحقائقه؟»⁽⁴⁾.

ويقول في موضع آخر: «خبّرنا عما اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبينا عليه السلام بأن كانت معجزته باقية على وجه الدهر، أتعرف له معنى غير أن لا يزال البرهان منه لائحاً مُعرضاً لكلّ من أراد العلم به، وطلب الوصول إليه، والحجّة فيه وبه ظاهرة لمن أرادها، والعلم بها ممكناً لمن التمسها؟»⁽⁵⁾.

1- شرح دلائل الإعجاز، محمد ابراهيم شادي، ص: 83.

2- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عمر بوقمرة، ص: 156.

3- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 36.

4- المصدر نفسه، ص: 31.

5- المصدر نفسه، ص: 17-18.

ب- الأمر:

يندرج أسلوب الأمر في البلاغة العربية ضمن أساليب الإنشاء الطلبي، والذي يقصد به «طلب الفعل على جهة الاستعلاء؛ مثل قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (المائدة: 35)»⁽¹⁾.

وللأمر أربع صيغ هي: ⁽²⁾

- فعل الأمر: مثل "احرص على الخير". عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم - بعث معاذاً إلى اليمن فقال: ﴿اتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلَمِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ﴾ رواه البخاري .

- المضارع المقترن بلام الأمر: مثل "لتحرص على الخير"، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحْ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ رواه البخاري.

- المصدر النائب عن فعل الأمر: مثل: حرصاً على الخير، والتقدير: احرص حرصاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿صَبْرًا آلَ يَاسَرَ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ﴾ رواه الحاكم والطبراني والبيهقي.

- اسم فعل الأمر: مثل: عليك بالخير، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 105)، ومثل: حي على الصلاة.

1- البلاغة فنونها وأفانها-علم المعاني-، فضل حسن عباس، دار الفرقان-الأردن-، ط1، 1985م، ص: 149.

2- الكافي في المعاني والبيان والبدیع، أمين أمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث - القاهرة-، (دط)، (دت)، ص: 331.

ولقد استعمل "عبد القاهر الجرجاني" فعل الأمر الصريح (اعلم) «كمكون حاجي يعرض من خلاله الفكرة، ويشرحها بتمعن، موجهًا إيّاها نحو مستقبل الخطاب، وهو فعل أكسبه صيغة فعل الأمر الموجه نحو ضمير المخاطب (أنت)، ليحيلنا إلى القول بأنّ عبد القاهر الجرجاني بصدده استحضار متلقيه في خطابه».⁽¹⁾

1- البلاغة والتداولية، حامدة تقبايت، ص: 69.

2- الوسائل البلاغية:

- التشبيه

2- الوسائل البلاغية:

نعني بالوسائل البلاغية كل الصور التي يضمها "علم البيان" من "تشبيه" و"استعارة" و"كناية" والتي بها يُتوصل إلى تزيين الخطاب وإضفاء لمسة فنية متميزة عليه فتكسوه أبهة، كما تزيد من قيمة الكلام، وترفع من شأنه، ويبلغ المعنى درجة من السمو والارتقاء .

فأهمية هذه الصور البيانية البلاغية «تكمُن فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه فإذا انضفت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين، ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريد لها؛ أي : أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية ويسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيها».⁽¹⁾

فالبعد الجمالي الفني لهذه الألوان البيانية يحمل طاقة حجاجية من شأنها زعزعة أفكار ومعتقدات المتكلم وتغييرها، وتوجيه سلوكه، وإبراز الحقائق الخفية والمبهمات وتجليتها للعيان في صورة محسوسة باستطاعة العقل إدراكها، والتمكين لمداول الخطاب وتشبيته، وإثارة انفعالات المتلقي.

فهذه الوظائف الحجاجية التي تفتقت من ينبوع الصورة الترميزية الزخرفية تؤكد اقتران الجمال بالحجاج والإقناع، وبالتالي يمكن أن نعد «الجمالي حجاجيا والحجاجي يحمل الجمالي».⁽²⁾

1- الحجاج في الشعر العربي بنيت وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث-الأردن-، ط1، 2007م، ص: 120.

2- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صوله، دار الفارابي -بيروت-، ط2، 2007م، ص: 578.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ «الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة) بل هي تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج). ومن هنا يتبين أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية»⁽¹⁾.

وما يهمنا في هذا الجزء من البحث هو دراسة الصور البلاغية المتوفرة في المدونة والتي تضطلع بطاقة حجاجية تسهم في الإقناع والتأثير.

- التشبيه:

فمن التشبيهات التي وردت في مدونة " دلائل الإعجاز ":

1- قال "عبد القاهر الجرجاني": «وإنّما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تُعمل منها الصور والنقوش، فكما أنّك ترى الرجل قد تَهَدَى في الأصباغ التي عمل منها الصّورة والنقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخيّر والتدبّر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجها وترتيبه إيّاها، إلى ما لم يتهدّد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيّهما معاني النّحو ووجوهه التي علمت أنّها محصول النّظم»⁽²⁾.

فبعد القاهر الجرجاني قد ضمن قوله مثالا في مجال الصناعات المشاهدة، فالصباغ الذي تَهَدَى في اختيار الألوان والأصباغ، وتلطّف وتدبّر في انتقاء أحسن المواقع، وتحريّ الدّقة في المقادير وكيفية مزج هذه الألوان وترتيبه إيّاها ترتيبا يعكس الصورة (النفسية، الاجتماعية... إلخ) التي ارتأى الصباغ إيصالها إلى متلقيه وكأنّها صورة حيّة تنبض بالروح

1- التداولية والحجاج - مداخل ونصوص-، صابر الجباشة، صفحات للدراسات والنشر - سوريا-، ط1، 2008م، ص: 50.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 64.

والحياة، فإذا راع الصباغ كل هذه الأمور من فعل التخيّر والتدبّر والتهدي في صورته ونقوشاته أبهر العيون وأسر القلوب بجمال وروعة ورونق هذه الصورة.

والذي وجدناه في مجال الصناعة المشاهدة نجد في صناعة الشعر، فالشاعر الذي يراعي أحكام النحو ومعانيه ووجوهه في نظم الكلام فيتهدى في اختيار ألفاظه وفي مواقع تلك الألفاظ بحيث تجري وفق طبعه في نظمه استناداً في ذلك على الأغراض والمقاصد التي يتبغي الشاعر تحقيقها مما يكسب النظم مزيةً وفضلاً وشرفاً وارتقاءً.⁽¹⁾

واستعانة "عبد القاهر الجرجاني" بالأسلوب التمثيلي كانت غايته تقريب الأفكار وإبانته، فالتهدي في اختيار الألفاظ ومواقعها وكيفية ضم أجزاء هذا النظم حتى يعطي تلك الصورة البديعة الراقية من النظم هي أمور دقيقة تحتاج إلى تصوير لتقريب الرؤى؛ كونها تمثل المعاني المجردة بصورة حسية وهذا ما يجعلها تثبت في الأذهان وتزداد وضوحاً وتأكيذاً.

2- قال "عبد القاهر الجرجاني": «وإذ قد عرفت هذا، فهو العبرة أبداً. فبيت بشار^(*) إذا تأملته وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم، ورأيته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنع الصانع حين يأخذ كسراً من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب، ويخرجها لك سواراً أو خلخالاً. وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض، كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار. وذلك أنه لم يرد أن يُشَبَّه (النقع) بالليل على حدة، و(الأسياف) بالكواكب على حدة، ولكنه أراد أن يُشَبَّه النقع والأسياف تحول فيه بالليل في حال ما تنكدر الكواكب وتهاوى فيه، فالمفهوم من الجميع مفهوم واحد، والبيت من أوله إلى آخره كلام واحد». ⁽²⁾

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 151.

*- كَأَنَّ مَثَارَ النَّقَعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوِي كَوَاكِبَهُ

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 263.

شبهه "عبد القاهر الجرجاني" الناظم في كيفية تكوينه لأجزاء النظم، والتي تبدأ بتعليق الكلم بعضها ببعض والتي تثمر معنى مركبا وتشكيلا لا يقبل التجزئة بالصائغ حين يأخذ كسرا من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب، ويخرجها لك سوارا أو خلخالا، ويشبه بيت بشار بن برد في صورته النهائية التي تعطي معنى واحدا لا يقبل الانفصال، بالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم.⁽¹⁾

فهذا التشبيه استدعاه "عبد القاهر الجرجاني" لتقريب الأفكار الدقيقة التي تحتاج إلى إبانة، فحديثه عن كفيات وطرائق تعليق الكلم بعضها ببعض (معاني النحو)، والتي تتبلور في النفس إلى معنى مركب لا يعرف التجزئة حيث يفرغ دفعة واحدة لإفادة معنى واحد، فهذا المعنى الدقيق لا يتصوره إلا من مارس معاناة الإبداع والتأليف والسيطرة على المعاني لذلك فعبد القاهر الجرجاني لجأ لآلية التصوير ليدركها العقل وتمكن في النفس.⁽²⁾

3- قال "عبد القاهر الجرجاني" في باب "في أنّ المزايا في النظم بحسب المعاني والأغراض التي تُؤم": «واعلم أنّ من الكلام ما أنت ترى المزيّة في نظمه والحسن، كالأجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تُكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحدق والأستاذية وسعة الدّرع وشدة المنة، حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدّة أبيات».⁽³⁾

اعتمد "عبد القاهر الجرجاني" في بيان أضرب المزيّة في النظم على التشبيه؛ حيث شبه الرسام الذي اختار جملة من الألوان والأصبغ في نقوشاته فانسجمت وتلاءمت وتناسقت وأعطت تلك الصورة البديعة بحال الشاعر الذي تهدي في اختيار ألفاظه وأساليبه، وفي مواقع تلك الألفاظ ليعطي تلك الصورة من النظم.

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 23-24.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 23-24.

3- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 64-65.

4- قال "عبد القاهر الجرجاني": «وإذا كان الأمر كذلك، فينبغي لنا أن ننظر في الجهة التي يختص منها الشعر بقائله. وإذا نظرنا وجدناه يُختص به من جهة توحيه في معاني الكلم التي أُلّفه منها، ما توخّاه من معاني النَّحو، ورأينا أنفس الكلم بمعزل عن الاختصاص، ورأينا حالها معه حال الإبريسم^(*) مع الذي ينسج من الدِّياج، وحال الفضّة والذهب مع من يصوغ منها الحلّي. فكما لا يشتبه الأمر في أنّ الدِّياج لا يختص بناسجه من حيث الإبريسم، والحلي بصائغها من حيث الفضّة والذهب، ولكن من جهة العمل والصّنع، كذلك ينبغي أن لا يشتبه أنّ الشعر لا يختص بقائله من جهة أنفس الكلم وأوضاع اللّغة».⁽¹⁾

شبهه "عبد القاهر الجرجاني" «المعاني المفردة التي يتشكل منها النّظم مثل خيوط الحرير التي ينسج منها ثوب الدِّياج، والذهب الذي يصاغ منه الحلّي، فكما لا ينسب ثوب الدِّياج إلى ناسجه من جهة خيوطه، ولكن من جهة نسجه وصنّعه، وكما لا يختص الذهب والفضّة بالصائغ من جهة مادّتهما، ولكن من جهة ما فيها من صّياعة وصنعة، فكذلك الشعر لا يختص بقائله من جهة كلماته المفردة، ولكن من جهة ما فيه من نّظم وصنعة وتشكيل الصورة النهائية للشعر».⁽²⁾

فتصوير "عبد القاهر الجرجاني" الأمر المعقول بهذه الصورة الحسيّة الغاية منه إقناع المتلقي بأهمية النّظم والصّياعة والتي مدارهما توحي معاني النَّحو، فهما عنصران أساسيان يبرزان خصوصية شعر الشاعر وتميزه على باقي الشعراء، ومدى براعته في اختيار الألفاظ وكيفيات تعليق المفردات بعضها ببعض، وترتيب الكلمات، ونظم المعاني ؛ لأنّ ذلك يحتاج

* - كلمة فارسية تعني خيوط الحرير، ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 449.

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 235.

2- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 449.

إلى جهد كبير وروية وإعمال عقل وتفكير حتى يخرج الكلام غاية في جمال يطرب الآذان، له تأثير أكبر على القلب، ووقع أشد في النفس.

5- قال "عبد القاهر الجرجاني": «ومعلوم أنّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأنّ سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب ا يُصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أنّ محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل وردائه، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرّد معناه، وكما أنّا لو فضّلنا خاتما على خاتم، بأن تكون فضة هذا أجرد أو فضة أنفس، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه، أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام، وهذا قاطع؛ فاعرفه»⁽¹⁾.

يصوّر "عبد القاهر الجرجاني" «صنعة الشعر كصنعة الذهب والفضة التي تصوغ من المادة الخام أشكالا خاصة، فمن المحال عند تفضيل ذهب إلى آخر أن تنظر إلى المادة الخام من حيث كونها ذهبا، فكذلك الشعر عندما تفاضل بين شعر وآخر... لا تنظر من جهة المعاني المجردة، ولكن في كفيات الصنعة والتصوير»⁽²⁾.

فهذا التشبيه الذي صور فيه "عبد القاهر الجرجاني" معاني مجردة بصورة حسية عمل فيه على خدمة فكرة حجاجية تمثلت في توضيح الصورة أكثر للمتلقي حتى يدرك خصوصية الشعر بالصنعة والتصوير، وأنّ ميدان التفاضل بين شعر وشعر لا يكون من جهة المعنى وإنما من حيث طرائق صناعة الكلام وكفيات التصوير.

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 168-169.

2- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 342.

إذن "فبعد القاهر الجرجاني" لم يوظف التشبيه لتزيين خطابه، ولا لإثبات مهارته اللغوية وإنما كان يهدف إلى إقناع المتلقي أنّ علل التفوق بين شعر وشعر تكمن في خصائص معينة في نظمه والتي هي كصفات وطرائق تعليق الكلام بعضه ببعض بطريقة مخصوصة انفرد بها عبرت عن المعاني وحقت الغرض المطلوب.

يتبين من خلال عرض وتحليل هذه الأمثلة التي أوردها "عبد القاهر الجرجاني" أنّها استمدت من الواقع (الفضة، الذهب، الحرير) فكانت بذلك أقرب إلى العقل والفهم فاستطاعت تقريب المعاني وإيصالها إلى السامعين ومن ثم التأثير فيهم، وبلورة توجههم والانقياد لمرادها.

3- العجج شبه المنطقية:

- العجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية.
- العجج القائمة على العلاقة التبادلية وعلى علاقة العدل.
- العجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية.
- العجج المؤسسة لبنية الواقع.

4- السلم العجج:

- السلم العجج في خطاب عبد القاهر الجرجاني.
- الروابط العجج.
- العوامل العجج.

3- الحجج شبه المنطقية:

تعرف "سامية الدريدي" هذه الحجج بقولها: «فحقيقة هذه الحجج أنّها تتخذ قالباً منطقياً شكلياً فيه تحشر المعطيات وتكثّف فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صارم، فما يميّزها إذن حقيقتها اللاشكالية التي تجتهد في أن تكون شكليّة أو تعدّل وتبدّل لتكون كذلك»⁽¹⁾.

وتنقسم الحجج شبه المنطقية إلى: ⁽²⁾

1- حجج شبه منطقية تعتمد على البنى المنطقية.

2- حجج شبه منطقية تعتمد على العلاقة التبادلية وعلى قاعدة العدل.

3- حجج شبه منطقية تستند على العلاقات الرياضية.

4- حجج مؤسسة على بنية الواقع.

3-1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية:

3-1-1- التناقض وعدم الاتفاق: Incompatibilité

قد يلجأ المحاجج إلى توظيف "حجة التناقض وعدم الاتفاق" في خطابه، فما مدلولها؟ « المقصود بالتناقض (contradiction) هو أن تكون هناك قضيتان (2propositions) في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها (كأن يقال المطر ينزل ولا ينزل) في حين أنّ عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لإحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى فهي خاطئة»⁽³⁾.

1- الحجج في الشعر العربي القديم بنيتة وأساليبه، سامية الدريدي، ص: 190.

2- في نظريات الحجج دراسات وتطبيقات، عبد الله صوله، دار الجنوب للنشر والتوزيع - تونس، ط1، 2011م، ص: 42، 49.

3- المصدر نفسه، ص: 42-43.

وبالعودة إلى المتن المدروس نجد هذا النوع من الحجج قد استخدمه "عبد القاهر الجرجاني"، ومثال ذلك ما ورد حول قضية "الدفاع عن الشعر"، فالقضية الأولى التي طرحها خصوم "عبد القاهر الجرجاني" أنّ الشعر العربي يحتوي على الكلام الهزل والسخيف والهجاء والسب والكذب والباطل.⁽¹⁾

وقد احتوت "القضية الثانية" أنّ الشعر يحمل « الحقّ والصّدق والحكمة وفصل الخطاب، وأن كان مجنى ثمر العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسّل بين الماضي والغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد، ويؤدّي ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد، حتى ترى به آثار الماضين، مخلّدة في الباقيين، وعقول الأوّلين، مردودة في الآخرين، وترى لكل من رام الأدب، وابتغى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل، منازاراً مرفوعاً وعَلماً منصوباً وهادياً مُرشداً، ومُعَلِّماً مُسَدِّداً...».⁽²⁾

"فبعد القاهر الجرجاني" قد طرح قضيتين متناقضتين إحداهما تسرد مساوئ الشعر بينما الأخرى تذكر محاسنه ومزاياه، وقد بذل قصار جهده للدفاع عن الشعر لما يحمله من قيم فكرية وخلقية بصفة عامة، ولا اتصاله الوثيق بالهدف الذي يبتغي تحقيقه على وجه الخصوص وهو عدّه كأداة في البحث عن إعجاز كتاب الله ومعرفة أسباب ذلك الإعجاز.

3-1-2- التماثل والحد في الحجج: L'identité dans l'argumentation وهو أن:

«يعمد المحتج لفكرة أو مبدأ إلى التعريف وضبط الحدود: تعريف المفاهيم أو الأشياء أو الأحداث والوقائع ولكن ما يقدمه من تعريفات لا تنتمي البتة إلى نظام شكلي بل تدّعي قيامها بدور الضبط والتحديد رغم افتقارها إلى الدقة والوضوح».⁽³⁾

1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 18

2- المصدر نفسه، ص: 21.

3- الحجج في الشعر العربي، سامية الدريدي، ص: 200.

ولقد كان لهذه الوسيلة المرتبطة بالحجج شبه المنطقية حضور في كتاب "دلائل الإعجاز"، ومن أمثلة ذلك "تعريف النظم": «ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف. وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بحرف». (1)

ويعرّفه في موضع آخر: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها». (2)

3-2- الحجج القائمة على العلاقة التبادلية وعلى علاقة العدل: Arguments de réciprocité

تقوم هذه الحجج «بمعالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة وهو ما يعني أن تلك الوضعيتين متماثلتين وإن بطريقة غير مباشرة، وتمثالهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل (La règle de justice) وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلية في مقولة واحدة». (3)

وتضيف "سامية الدريدي" في هذا السياق: «المبادلة أو التبادل (Réciprocité) وهي علاقة منطقية خالصة غير أنّ الحجة تظل شبه منطقية فحسب لأنّها إسناد للحكم ذاته إلى أمرين ندعي أنّهما متماثلان والحال أننا لو أخضعناهما إلى الدراسة الدقيقة لانتبهنا إلى فروق عديدة بينهما». (4)

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني ص: 07-08.

2- المصدر نفسه، ص: 60.

3- في نظريات الحجج دراسات وتطبيقات، عبد الله صوله، ص: 45.

4- الحجج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص: 201.

3-2-1- حجج التعدية: Arguments de transitivité

تعرف التعدية على أنّها «خاصية شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أنّ العلاقة الموجودة بين (أ) و(ب) من ناحية و(ب) و(ج) من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أنّ العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و(ج) وضروب العلاقات التي تقوم على خاصية التعدية هي علاقة التساوي والتفوق (Supériorité) والتضمن (Inclusion)». (1)

ولقد ساق "عبد القاهر الجرجاني" هذه الحجة «عندما تحدث عن سر إعجاز القرآن الكريم حيث يرى: أنّ معرفة سر الإعجاز هي معرفة نظمه، ومعرفة النظم تقتضي معرفة اللّغة، والشعر ديوان العرب، وعلى الذي يريد معرفة اللّغة أن يكون على دراية كبيرة بالشّعر، إذن معرفة سر الإعجاز في القرآن الكريم تقتضي معرفة بالشّعر، ونفس الشيء بالنسبة للنحو وعلاقته بإعجاز القرآن الكريم». (2)

3-3- الحجاج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية:**3-3-1- تقسيم الكل إلى أجزاء: (Argument de division)**

أو التفريع وهي: «أن يذكر المرسل حجته في أول الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوّتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه». (3)

ونجد هذه الآلية مجسدة في كتاب "دلائل الإعجاز"، وذلك في بيانه لمفهوم النّظم حيث قال "عبد القاهر الجرجاني": «واعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع

1- في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صوله، ص: 46.

2- البنية الحجاجية في النشر العباسي تناول تداولي لكتاب دلائل الإعجاز، نفيسة طيب، ص: 116.

3- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 494.

الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها».⁽¹⁾

فبعد أن قرر "عبد القاهر الجرجاني" القاعدة (مفهوم النّظم) انتقل إلى بيان تمثيلات معاني النحو « وذلك أنا لا نعلم شيئاً يتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر ...، وفي الشرط والجزاء . . .، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى...».⁽²⁾

فقد عرض "عبد القاهر الجرجاني" قضيته الأساسية وهي أنّ النّظم قائم على توحي معاني النحو ثم قسمها إلى أجزاء وهي : الخبر-الشرط- الحال، ليكون كل قسم بمثابة دليل يدعم الجملة الحجاجية.

وقد تضمنت مقدمة مدونة البحث "مفهوم النّظم": «ومعلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما».⁽³⁾

فهذه المقولة الحجاجية تعالج فكرة أساسية انطلق منها "عبد القاهر الجرجاني" في تأسيس نظريته في اللّغة وحاصلها أنّ النّظم عبارة عن ضم الكلم بعضها إلى بعض وفق ضوابط وقوانين (النحو ومعانيه) معينة تجعل اللفظين المضمومين أو الألفاظ المضمومة متعلقة فيما بينها ومتماسكة من خلال علاقات لفظية ومعنوية، فتكون هذه بسبب من تلك.

وقد تضمنت هذه المقولة الحجاجية جزئيات فرعية تمثلت في طرق التعليق وهي كالآتي:

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 60.

2- المصدر نفسه، ص: 60-61.

3- المصدر نفسه، ص: 7-8.

-تعلق اسم باسم

- تعلق اسم بفعل

- تعلق حرف بهما

فكل جزء من هذه القضية هو حجة لهذا الطرح، فهو يخدمها ويدعمها.

3-4- الحجاج المؤسسة لبنية الواقع:

ترتبط هذه الحجج بالواقع لكن بطريقة مختلفة «فهي لا تتأسس على الواقع ولا تبني على بنيته وإنما هي التي تؤسس هذا الواقع وتبنيه أو على الأقل تكمله وتظهر ما خفي من علاقات بين أشياءه أو تجلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات وما لم ينتظر من صلوات بين عناصره ومكوناته».⁽¹⁾

3-4-1- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

هي الحجج التي يستدل بها المحاجج من أجل تأسيس واقع عام بواسطة حالات خاصة، وهي من أبرز دعائم الحجج القوية، إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب، والذي يساهم في نجاحها براعة المرسل في توظيفها حسب ما يقتضيه السياق، فهي ليست من إنتاج المرسل بقدر ما هي منقولة على لسانه، ونقلها على لسانه ينبئ عن كفاءته التداولية.⁽²⁾

ويصنف "طه عبد الرحمن هذه الحجج على «أثما محاورة بعيدة أو (تناص)، والمقصود ب"التناص" كما هو معلوم، هو تعالق النصوص بعضها ببعض؛ وتتعلق النصوص على طريقتين: طريقة ظاهرة: يعرض فيها المحاور شواهد من أقوال الغير مثل: النقل والتضمين والحكاية والعنونة والشرح والاقْتِباس والتعليق . وهذا الصنف من التناص قد يكون أقرب للتفارق منه إلى التعالق حيث لا يذكر المحاور قول الغير للاعتراض عليه، وإنما

1- الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي، ص: 242.

2- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 537.

لحصر مشاركة هذا الغير في تكوين النص . وطريقة باطنة: ينشئ بها المحاور نصه عبر نصوص سابقة أو مباينة، ويفتح بها آفاق نصوص أخرى مكمله أو مبدلة»⁽¹⁾.
ولقد كان لهذا النوع من الحجج حضور لافت في مدونة البحث فقد تعددت وتباينت درجات استشهاد "عبد القاهر الجرجاني" بها:

1- الاستشهاد بالعلماء الذين سبقوا عصره:

اعتمد "عبد القاهر الجرجاني" في مدونته الحجاجية على أقوال علماء سبقوا عصره "كسيبويه"^(*) (ت 180هـ)، ففي حديثه عن باب "التقديم والتأخير" قال: «واعلم أننا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام . قال صاحب (الكتاب) وهو يذكر الفاعل والمفعول "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بيانه أعنى"، وإن كانا جميعاً يهمنهم ويعنيانهم، ولم يذكر في ذلك مثلاً»⁽²⁾.
فهذه الحجة التي قدمها "عبد القاهر الجرجاني" تدعم انتقاده للنحاة وعلى رأسهم "سيبويه" لاقتصاره في بيان أسرار التقديم والتأخير على العناية والاهتمام، وتقنع المتلقي بصحة ما ذهب إليه.

كما استدل "عبد القاهر الجرجاني" بتعليق "الجاحظ" (ت 255هـ) "على أبيات حيث قال "الجاحظ"^(*):" « فتنفقد النصف الأخير من هذا البيت، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض»⁽³⁾.

1- أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي-المغرب-، ط2، 2000م، ص: 47.
* - ينظر: الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة-، ط3، 1988، ج: 01، ص: 34.
2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 77.
* - ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ج: 01، ص: 66.
3- المصدر نفسه، ص: 46.

واستشهاد "عبد القاهر الجرجاني" بقول "الجاحظ (ت 255هـ)" في سياق عرضه لشبهة تتعلق بإطلاق الفصاحة على الألفاظ والتلاؤم اللفظي يزيد الخطاب قوة حجائية، وهذا يدل على براعته وأهليته في توظيفه لهذه الحجة حسب ما يقتضيه السياق.

2- الشاهد القرآني:

اهتم "عبد القاهر الجرجاني" بالرد على من أطلقوا الفصاحة والبلاغة على الألفاظ، فأرجع المزية في الكلام إلى توحي معاني النحو، لذلك فإنه لا تتفاضل الألفاظ عنده من حيث هي ألفاظ عقيمة، ولا من حيث هي كلم مفردة، بل تثبت الفضيلة في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى جارتها ومؤانستها لأحواتها.⁽¹⁾

و"عبد القاهر الجرجاني" قد ناقش فكرته في الفصاحة مستندا في ذلك على شاهد من القرآن الكريم، والذي تجلّى في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: 44).

فبعد أن بيّن "عبد القاهر الجرجاني" أن لا مزية للفظة المفردة من حيث معناها اللغوي المفرد وهي معزولة عن التأليف إلا من خلال ملاءمتها للتركيب على وفق أصول النحو ومعانيه، قدّم حجته المتمثلة في الآية القرآنية، والتي تؤكد أنّ ما نراه فيها من جمال يسحر العيون وإعجاز يبهر العقول لا يعود إلى جزء مستقل منها، ولكن يرجع إلى التحام أجزاء الكلام بعضه ببعض التحاماً يفضي إلى معنى يسكب دفعة واحدة ويحقق الغرض المنشود وهو الإفادة.

وهذه الحجة التي قدّمها "عبد القاهر الجرجاني" قد أكسبته قوة سلطوية بالخطاب؛ لأنّه استشهد بالخطاب القرآني الذي يتميز ببعده السلطوي مما يجعل خطابه

1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 39.

يتبوأ مكانا عليا، ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه، وبالتالي تصبح السلطة سلطة خطابيه.⁽¹⁾

3-الشاهد الحديثي:

كانت أحاديث خير الأنام محمد -صلى الله عليه وسلم- حاضرة في مؤلف "عبد القاهر الجرجاني" بوصفها حججا وأدلة تدّعم أقواله وأفكاره ومن نماذج ذلك ما أورده في الرد على من ذم الشعر حيث قال: «نعم، وكيف رويت: (لأن يمتلى جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا، فَيُرِيهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلَى شِعْرًا)، ولهجت به، وتركت قوله - صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا) وكيف نسيت أمره - صلى الله عليه وسلم - بقول الشعر، ووعدته. عليه الجنة، وقوله لحسان: (قُلْ وَرَوْحُ الْقُدُسِ مَعَكُمْ) وسماعه له، واستنشاده إيّاه، وعلمه -صلى الله عليه وسلم- به، واستحسانه، وارتياحه عند سماعه».⁽²⁾

فهذه الحجة تدّعم اعتراض "عبد القاهر الجرجاني" على بطلان رأي الزاهدين في الشعر وتقويه ؛ لأنه استعمل دليلا من الحديث النبوي الشريف يسانده ويفرض سلطة خطابه.

4-الشاهد الشعري:

من الشواهد الشعرية الجاهزة التي استخدمها "عبد القاهر الجرجاني" بوصفها حججا وأدلة قويّة تقوي درجة التصديق بالفكرة التي طرحها وبالتالي تحقق إقناعا أقوى وتأثيرا أكبر في المتلقي ما أورده في "باب النظم".

1- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص:537.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص:22.

يقول الفرزدق: (1)

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّغًا أَبُو أُمَّه حَيَّ أَبُوه يُقَارِبُهُ

يذكر "عبد المتعال الصعيدي" في مؤلفه أنه من باب "التعقيد اللفظي" لاحتلال نظم الكلام فيه حتى لا يدري معه السامع كيف يتوصل إلى معناه. (2)

فالمعنى الذي أراده الشاعر هو: «وما مثله - يعني الممدوح - في الناس حيّ يقاربه - أي أحد يشبهه في الفضائل إلا مملكا - يعني هشام بن عبد الملك بن أخت الممدوح - أبو أمّه - أي أبو أم هشام - أبوه - أي أبو الممدوح. فالضمير في أمّه للملك، وفي أبوه للممدوح». (3)

ولكنّ "الفرزدق" قد أخفق في نظم الكلام «ففصل بين (أبو أمّه) وهو المبتدأ، و(أبوه) وهو خبر المبتدأ بأجنبي وهو (حيّ)، وكذلك فصل بين النعت والمنعوت (حي يقاربه) بأجنبي وهو (أبوه)، ثم قدّم المستثنى وهو (مملكا) على المستثنى منه، وهو (حي يقاربه)» (4)، وكان من الأجدر أن يرتّب الألفاظ ويعلق الكلم بعضها ببعض حسب ترتيبها في النفس، حتى يخرج الكلام حسن السبك ويؤدي المعنى كاملا صحيحا لا يعوزه تعقيد ولا إبهام.

ومثله قول المتنبي: (5)

وَلِذَا اسْمَ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلِ السَّيُوفِ عَوَامِلُ

1- هذا البيت على الرغم من شهرته إلا أنه غير موجود في ديوانه.

2- ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب (دم)، (دط)، (دت)، ج: 1، ص: 20.

3- في البلاغة العربية - علم المعاني -، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية - بيروت -، ط 1، 2009م، ص: 21.

4- المصدر نفسه، ص: 21.

5- ديوان المتنبي، المتنبي، دار بيروت - بيروت -، (دط)، 1983م، ص: 178.

فالشاعر في هذا البيت « يتحدث عن أثر العيون الساحرة في القلوب، وأنها تعمل عمل السيوف، ولهذا استعاروا الجفن وهو غمد السيف لغطاء العين، فكأنهم ما سموها غطاء العين جفنا إلا لشبهه العيون بالسيوف، وهذا تعليل شعري يعتمد على التخيل»⁽¹⁾.

ووصف هذا البيت بفساد النظم وغموض المعنى وتعقيده لسوء الموقع - والمواقع هي معاني النحو - من عدة جهات:⁽²⁾

- أنه أضاف الجفون إلى ضمير العيون دون مسوغ لغوي لهذه الإضافة؛ لأن المقصود بالجفون هنا جفون السيوف.

- قدّم معمول خبر إن عليه، وكان الأصل الصحيح أن يقول: من أهما عوامل عمل السيوف.

- قدّم العلة على المعلول، وكان الأصل أن يقول: عمل العيون عمل السيوف ولذا أغطية العيون جفون.

ولعل هذه الشواهد التي ساقها "عبد القاهر الجرجاني" ليستدل بها على الصلة الوثيقة بين فساد النظم ومعاني النحو من تقديم أو تأخير أو حذف هي من أقوى الحجج التي دعمت أقواله وأفكاره؛ لأنها « تعلقو الكلام العادي درجة، مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع»⁽³⁾، وبالتالي تحقق إقناعاً أقوى.

1- شرح دلائل الإعجاز، محمد ابراهيم شادي، ص: 143.

2- المصدر نفسه، ص: 143.

3- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 537.

5- الأمثلة :

استند "عبد القاهر الجرجاني" في عرضه لأفكاره وأطروحاته على الأمثلة المستقاة من الكلام العادي بحيث نجد في كل مرة يدلي برأيه أو يعرض قاعدة لغوية أو مفهوما ما يعقبه بمثال توضيحي ليتمكن المتلقي من تحصيل ذلك المعنى وتمكينه في النفس على الصعيدين النظري والتطبيقي.⁽¹⁾

والتأمل في مدونة "دلائل الإعجاز" يلاحظ استخدام "عبد القاهر الجرجاني" للحجة الشعرية بكثرة، فمن خلال إحصائي لمست اعتماده على "الشواهد الشعرية" اعتمادا كبيرا فقد تجاوز عدد الآيات الشعرية الواردة في الكتاب عتبة 400 بيت، بينما بلغ عدد "الشواهد القرآنية" التي وظفت فيه حوالي 166 آية قرآنية في 45 سورة، وهو عدد قليل إذا ما قيس بالشواهد الشعرية، أما أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهي قليلة جدا إذا ما قورنت بالآيات الشعرية والآيات القرآنية فما تفسير ذلك؟

أخذ "عبد القاهر الجرجاني" "الشاهد الشعري" « مناط استشهاده وتمثيله لما طرحه من أفكار حتى غلبه على استشهاداته وتمثيلاته من القرآن الكريم ذاته، فكتابه (دلائل الإعجاز) ليس كتابا يتتبع مواطن الإعجاز بل هو دلائل هادية إلى هذا الإعجاز، وأهم هذه الدلائل الشعر وما حواه من أسرار وأحوال وتراكيب، فاستدل ببلاغة هذا الشعر على عظمة القرآن الكريم حيث تجاوزت شواهد الشعر الأربعمائة بيت في إشارة رائدة إلى العلاقة الوثيقة بين دراسة إعجاز القرآن ومعرفة كنهه، وبين دراسة الشعر والتفقه في معانيه، والدليل أنّ معجزة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت من جنس هذه الصناعة التي حذقها العرب وبرعوا فيها».⁽²⁾

1- ينظر: البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حاملة تقبايت، ص:66.

2- الشاهد الشعري في تحليل الجرجاني للخطاب القرآني، عبد القادر زين، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات (الجلفة)، جانفي 2020م، العدد 01، ص: 61.

فكثرة استشهاد "عبد القاهر الجرجاني" بالعبارة الشعرية في مقابل العبارة القرآنية «يرجع إلى استشعاره للعلاقة الوثيقة التي تجمع بينهما، إذ حظيت العبارة الشعرية على مدى تاريخها، بأعلى درجات الحرص والرعاية في السبك والصياغة والتأليف؛ لتخرج بشكل أعجز الكثيرين عن الإتيان بما يشابهها، فهي أمر ضروري لمعرفة الإعجاز، فلا يمكن أن يدرك أمر الإعجاز إلا من كان عارفاً بالشعر ملماً بأحواله وأصوله»⁽¹⁾.

وهذا ما ذهب إليه "محمد ابراهيم شادي" حيث يرى أن العلم بالشعر ونقده أحد أهم الوسائل التي لا بد للباحث أن يتزود بها للخوض في غمار القرآن الكريم ومعرفة سر إعجازه، «وكيفية ذلك عنده إنما يكون بالنظر المتروى في الشعر وتذوقه ونقده، والتمرس على ذلك بالموازنات بين شعر وشعر، والتدريب على معرفة العلل التي يفضل بها شعر على شعر ونظم عن نظم، وذلك على سبيل التمهيد للموازنة بين أرقى نموذج للفصاحة عندهم وهو الشعر وبين القرآن الكريم للتوصل بعد ترديد النظر الطويل بين نظم الشعر ونظم القرآن إلى الإعجاز والفرقان وما يتميز به القرآن»⁽²⁾.

وعلى هذا، فالعلم بالشعر والإلمام بكل أصوله وأحواله وتذوقه من الأمور الضرورية التي على الباحث في إعجاز القرآن الكريم أن يتسلح بها ليذكر جوهر الإعجاز، وهذا هو السر في دفاع "عبد القاهر الجرجاني" عن من قلل من قيمته، واستهان به.

وجملة القول أنّ الشاهد القرآني في كتاب "دلائل الإعجاز" لم يحظ بالكم العددي الكبير، مقارنة بالشاهد الشعري؛ لأنّ رؤية "عبد القاهر الجرجاني" للشعر خاصة فهو أبدع تأليف خطته أنامل البشر، وهو ديوان العرب وعنوان فصاحتهم ودليل بلاغتهم، وإذا كان كذلك فهو وسيلة من الوسائل الهادية إلى الإعجاز في القرآن الكريم،

1- المسائل البيانية للشاهد الشعري في دلائل الإعجاز للجرجاني، ثناء شاهر عايش الدويري، رسالة الماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط، (دم)، 2009-2010م، ص: 68-69.

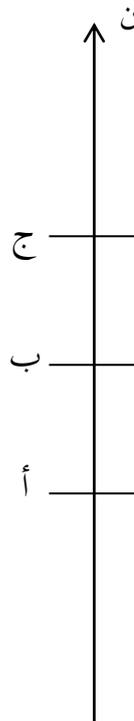
2- شرح دلائل الإعجاز، محمد ابراهيم شادي، ص: 11.

واستنباط أسرار البيان القرآني، والذي يتجلى من خلال الموازنة بينهما، وهذا ما حدا به للإحالة إلى لغة العرب وديوانهم.

4- السلم الحجاجي:

4-1- السلم الحجاجي في خطاب عبد القاهر الجرجاني:

يعرّف "أبو بكر العزاوي" السلم الحجاجي بأنه «علاقة ترتيبية للحجج»⁽¹⁾، وهذا يعني ضرورة تراتبية الحجج المدافعة عن قضية ما ترتيبياً يحقق نجاحها. ويقوم الخطاب الإقناعي على توزيع الحجج وفق علاقة ترتيبية يمكن أن نرمز لها على النحو الآتي: (2).



ن = النتيجة

(أ) و(ب) و(ج) حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن).

1- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع - المغرب -، ط1، 2006م، ص: 20.

2- المصدر نفسه، ص: 20.

ويُسم "السلم الحجاجي" بالسّميتين الآتيتين: (1)

- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى نتيجة القول المراد الإقناع بها أو الوصول إليها.

- إذا كان القول (أ) يؤدي إلى (ن) فهذا يستلزم أنّ الحجّة أو القول (ب) وكذلك (ج) اللذين يعلوان القول (أ) يؤديان إلى النتيجة ذاتها والعكس غير صحيح.

فعلى سبيل المثال إذا أخذنا الأقوال الآتية: (2)

1- حصل زيد على الشهادة الثانوية.

2- حصل زيد على شهادة الإجازة.

3- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة، من قبيل (كفاءة زيد) أو (مكانته العلمية)، ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية. ويمكن الترميز لهذا السلم الحجاجي كما يلي:

1- في حجاج النص الشعري، محمد عبد الباسط عيد، إفريقيا شرق - المغرب -، (دط)، 2013م، ص: 24.

2- اللّغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: 21.



والمتمعن في مدونة " دلائل الإعجاز " يجد أنّ نظرية السلام الحجاجية مجسدة فيه، وذلك في فصل استهل به "عبد القاهر الجرجاني" مؤلفه، والذي دافع فيه عن الشّعْر، وسقّه رأي من زهد في روايته وحفظه والاشتغال عليه⁽¹⁾، فقال على لسانهم: «لا يخلو من كان هذا رأيه من أمور:

أحدها: أن يكون رفضه له وذمه إتياء من أجل ما يجده فيه من هزل وسخف، وهجاء وسبّ وكذب وباطل على الجملة.

والثاني: أن يذمه لأنّه موزون مقفى، ويرى هذا بمجرد عيبا يقتضي الزّهد فيه والتّنزه عنه.

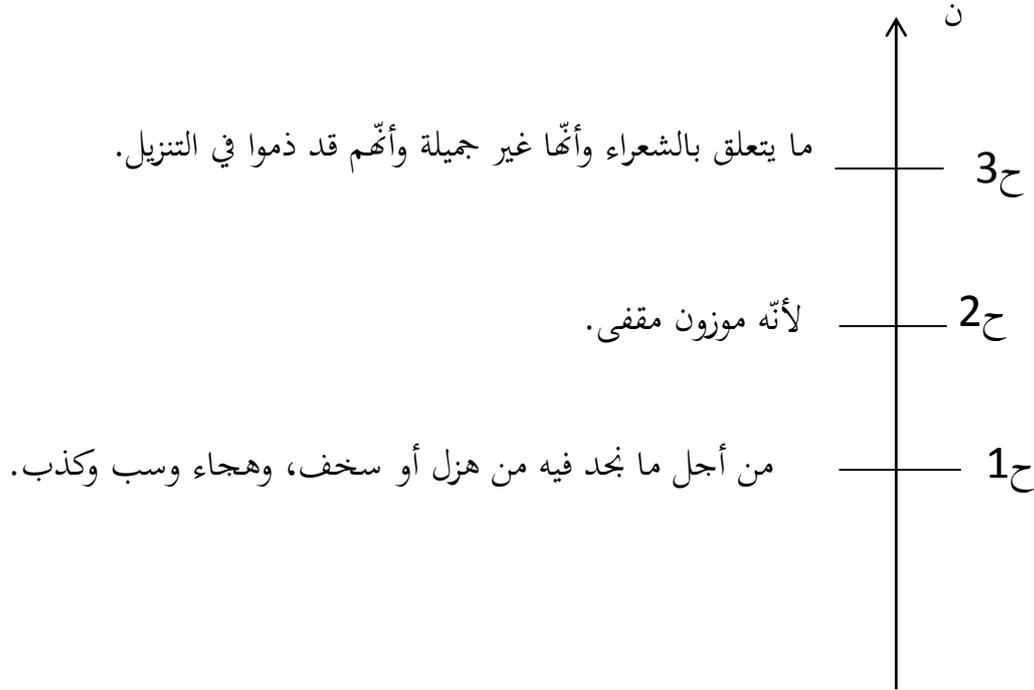
والثالث: أن يتعلّق بأحوال الشعراء، وأنها غير جميلة في الأكثر، ويقول: قد ذمّوا في التنزيل. وأيُّ كان من هذه رأياً له، فهو في ذلك خطأ ظاهر وغلط فاحش، وعلى خلاف ما يوجب القياس والنّظر، وبالضّدّ مما جاء به الأثر، وصحّ به الخبر⁽²⁾.

1- ينظر: البنية الحجاجية في النشر العباسي تناول تداولي لكتاب دلائل الإعجاز، نفيسة طيب، ص: 102.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 18.

فحجج خصوم "عبد القاهر الجرجاني" تترتب في السلم الحجاجي على الشكل الآتي:

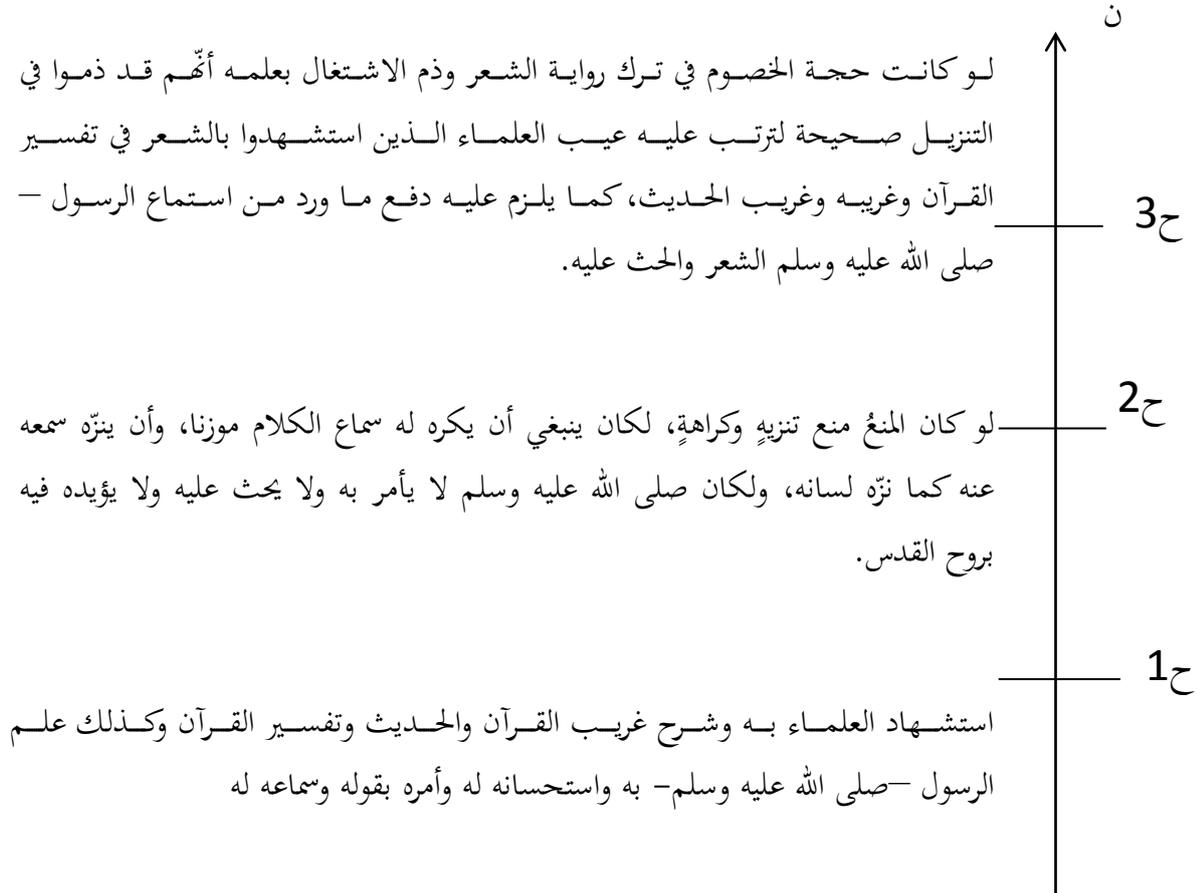
ترك رواية الشعر وحفظه وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه



فهذه الحجج التي أوردها "عبد القاهر الجرجاني" على لسان المعارضين لا تتوزع اعتبارا بل تحكمها تراتبية دقيقة من حيث القوة والضعف لكن جميعها يخدم النتيجة، وقد تصدى "عبد القاهر الجرجاني" لهذه الشبهة بالإنكار والتكذيب، وراح يفندها واحدة واحدة.

ويمكن تمثيل هذه الحجج وفق السلم الحجاجي الآتي:

لا يجوز الزهد في رواية الشعر وحفظه ودم الاشتغال بعلمه وتتبعه



وبعد أن انتهى "عبد القاهر الجرجاني" من الرد على من زهد في الشعر راح يصبو سهام اللوم والعتاب إلى من تهاون في أمر النحو وصغر أمره، وصنيع هذا أشد ممن زهد في الشعر .⁽¹⁾

فقد صار النحو في القرن الخامس هجري «علما جافا يعنى بقواعد أشبه ما تكون رياضية، وأصبح النحو في نظر البعض هو تلك الحركات التي تلحق أواخر الكلم، فانبرى مدافعا عن النحو محاولا إعطاءه الوجه الحقيقي»⁽²⁾، يقول "عبد القاهر الجرجاني":

1- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص: 48.

2- المصدر نفسه، ص: 50.

«وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم فيه فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم، وأشبه أن يكون صدا عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه، ذاك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه، إذا كان قد علم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّ المعيار الذي يتبيّن نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه»⁽¹⁾.

فالحجّة الأولى: تتمثل في أنّ النحو هو المقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه.

والحجّة الثانية: فتتلخص في أنّ النحو هو المعيار الذي لا يتبيّن نقصان الكلام ورجحانه إلّا به «فالتصرف في النظم بالتعريف أو التنكير، وبالتقديم أو التأخير يؤدي إلى خصوصيات زائدة على أصل المعنى مما يترتب عليه رجحان كلام على كلام ولا يعرف هذا إلّا بواسطة النحو والإعراب الذي يحدد ماذا قدّم، وماذا أخّر؟ وماذا عرّف، وماذا نكّر؟»⁽²⁾.

ويواصل "عبد القاهر الجرجاني" تقديمه لحججه وتمحور الحجّة الثالثة حول الأغراض والمقاصد فهذه الأخيرة كامنة فيها مغلقة على نفسها حتى يكون النحو هو المستخرج لها.

أما الحجّة الرابعة: فكانت تدور حول المعاني، فالألفاظ مغلقة على المعاني حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وهنا يحق لنا التساؤل « ما مقصود عبد القاهر الجرجاني في قوله: الألفاظ مغلقة على معانيها؟ أهى الألفاظ المفردة التي تجدها مخزونة في ذهن المتكلم مطروحة في المعاجم اللغوية؟ أم هي الألفاظ المركبة التي انتظمت وفق معاني النحو

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 29-30.

2- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 80.

وأغراضه؟ لا ريب أنّ عبد القاهر الجرجاني يقصد الألفاظ المركبة قصد الإفادة»⁽¹⁾؛ أي: «ذلك النظم البلاغي الحافل بالتصرف والتخير والصنعة بالتقديم والتأخير والحذف والإيجاز والقصر، فذلك هو النظم الذي تكون الألفاظ فيه مغلقة على معانيها حتى يفتحها الإعراب»⁽²⁾.

والحجة الخامسة: كانت تخدم مقصد عبد القاهر الجرجاني، فالعلم بالنحو يفتح معاني القرآن الكريم، وأنّ التقليل من شأنه أشنع من التقليل من أمر الشعر «بمعرفة الشعر يعرف الإعجاز، وفهم المعاني مقدم على معرفة الإعجاز، ولا مفر للبحث عن نواحي الإعجاز من معرفة نواحيه ثمّ كيفيات وخصوصيات نظم تلك المعاني»⁽³⁾.

ويمكن أن تمثل لهذه الأدلة بالسلم الحجاجي الآتي:



1- الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، ص: 49.

2- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 80.

3- المصدر نفسه، ص: 80.

إنّ الترتيب المحكم المنظم لهذه الحجج قد أكسبها ذروة القوة في المعاني بفضل تكرار الرابط الحجاجي "الواو" الذي عمل على توصيل النتيجة الحجاجية التي أراد "عبد القاهر الجرجاني" إقناع خصومه بها، وهي ضرورة العلم بالنحو لأنّه مفتاح لفهم كتاب الله تعالى ومعرفة معانيه، فالكشف عن نواحي الإعجاز في القرآن الكريم لا يتأتى إلاّ بمعرفة معانيه وطرائق نظم وصياغة تلك المعاني.

4-2- الروابط الحجاجية: Les connecteur argumentatifs

تعرفّ "الروابط الحجاجية" بأنّها «مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين أو أكثر داخلين في استراتيجية حجاجية واحدة، بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج»⁽¹⁾.

وعلى هذا فالروابط الحجاجية عبارة عن أدوات لغوية تختص بالربط بين فعلين كلاميين مختلفين، ويسمي المناطقة هذه الروابط الحجاجية باللفظ أي (الأداة): وهو «لفظ لا يدل بحد ذاته على أي معنى، وإنما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها، وهو لا يصلح أن يكون موضوعا ولا محمولا في القضايا المنطقية؛ لأنّ الأصل في الحدود المنطقية هي أن تقبل الإخبار بها أو الإخبار عنها، وهو لا يقبل ذلك»⁽²⁾.

وقد ميّز "أبو بكر العزاوي" بين أنماط عديدة من "الروابط الحجاجية" بحسب الدلالة وهي كالآتي:⁽³⁾

أ - الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ).

ب - الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي).

1- بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار الأمان - الرباط، ط1، 2013م، ص:100.

2- الشمسية في القواعد المنطقية، مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي - المغرب، ط1، 1998م، ص: 48.

3- اللّغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: 30

ج - الروابط التي تدرج حجة قوية (حتى، بل، لكن، لا سيما).

د - روابط التعارض المحججي (بل، لكن، مع ذلك).

هـ - روابط التساوق (حتى، لا سيما، بل).

وللروابط الحجاجية دور فعال يتمثل في « ترتيب الحجج، ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصل مواضع الحجج، بل تقوي كل حجة منها الحجة الأخرى، انطلاقاً من أنه عندما يكون تحت تصرفنا عدد من المعطيات، فإننا نمتلك إمكانية هائلة، لنتمكن من الربط بينها ... ويعد الاختيار من بين الروابط الخطابية مهم بقدر أهميته في التصنيفات أو في الصفات»⁽¹⁾.

وسأحاول في هذا المجال رصد بعض "الروابط الحجاجية" التي اعتمد عليها "عبد القاهر الجرجاني" في مدونته، والتي كان لها دور كبير في شحن خطابه بقوى حجاجية.

أ- الرابط الحجاجي "لكن":

ويفيد معنى الاستدراك، والذي يعني في النحو العربي « أن تنسب حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر فحفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره، إن سلبا وإن إيجابا، ولذلك لا يكون إلا بعد كلام ملفوظ به أو مقدّر، وقال بعضهم (لكن) للاستدراك والتوكيد»⁽²⁾.

أما من الناحية الحجاجية، «فإن المتكلم يستعمل (لكن) بين حجتين وعند استعماله لها يستلزم أمرين اثنين: أن المتكلم يقدم (أ) و(ب) باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن) والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، وأن يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته إلى ما

1- استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 472-473.

2 - الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي الحسن بن قاسم، تحقيق: فخر الدين قباوه، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1992م، ص: 615.

يريد . وهذا يعني أن (لكن) تعمل تعارضا حجاجيا بين ما يتقدمها وما يتلوها، فما يتقدمها (أ) يتضمن حجّة تخدم نتيجة (ن) وما يتلوها (ب) يخدم نتيجة مضادة (لا - ن) وهي الحجّة الأقوى، ولهذا توجه القول بمجمله نحو النتيجة (لا - ن)». (1)

والناظر إلى خطاب "عبد القاهر الجرجاني" يجده يستعمل هذا الرابط متى ما استلزم الأمر، ومثال ذلك قوله في "باب النّظم": «وإذ قد عرفت أنّ مدار النّظم على معاني النّحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزيّة واجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض». (2)

في هذا المثال - الذي بين أيدينا - نجد "الرابط الحجاجي (لكن)" يربط بين حجتين متعارضتين: الحجّة الأولى (الفروق والوجوه التي رأيناها في باب الخبر، وفي الشرط والجزاء، والحال، وفي التعريف، والتكبير، والتقديم، والتأخير، وفي الحذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار ليس لها غاية ولا نهاية تقف عندها، وليست لها مزية واجبة لها في أنفسها)، هذه الحجّة تخدم النتيجة: (أنّ مزايا النّظم لا تقف عند حدود هذه الوجوه والفروق).

ولكن الحجّة الثانية التي جاءت بعد (لكن) وهي (أنّ مزايا النّظم تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، وبحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض)، تخدم نتيجة معارضة لنتيجة الحجّة الأولى، والتي مفادها أنّ (مزايا النّظم لا تقف عند هذه الوجوه والفروق، بل يكتسب النّظم تلك المزية والشرف والحسن بحسب تأديته للمعاني، وحسن اختياره للمواقع، وهذا يدل صراحة على أنّ النّظم هو نظم معان)

1- اللّغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: 58.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 64.

فهذه النتيجة مضادة للأولى، والتي يؤول إليها الخطاب، وهو ما يريد "عبد القاهر الجرجاني" توصيله لمخاطبه.

ب-الرباط الحجاجي "الواو":

الواو من أهم "الروابط الحجاجية"، « إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب؛ بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، فالواو إذن هو رباط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة أو المتساندة، ويستعمل "الواو" حجاجيا وذلك بترتيب الحجج، ووصل بعضها ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى». (1)

ومن أمثلة ذلك في مدونة البحث قول "عبد القاهر الجرجاني" « ولو فرضنا أن تنخلع من هذه الألفاظ - التي هي لغات - دلالتها لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء، ولا تصوّر أن يجب فيها ترتيب ونظم. ولو حففت صيبا شطر (كتاب العين) أو (الجمهرة) من غير أن تفسّر له شيئا منه وأخذته بأن يضبط صور الألفاظ وهيئاتها، ويؤديها كما يؤدي أصناف أصوات الطيور ... ودليل آخر، وهو أنّه لو كان القصد بالنّظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثمّ النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي ألاّ يختلف حال اثنين في العلم بحسن النّظم أو غير الحسن فيه ... وأوضح من هذا كلّه، وهو أنّ النّظم الذي يتواصفه البلغاء، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة...». (2)

1- العوامل الحجاجية وروابطها في التمثيلات النبوية، زقنون نصيرة، مجلة جسور المعرفة (شلف)، ديسمبر 2019م، العدد 05، المجلد 05، ص: 701.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 42-43.

ويمكن تمثيل هذا المسار الحجاجي على الشكل الآتي:

النظم نظم معان تنفق وفقها الألفاظ



فهذه الحجج مترابطة متسقة، وكل حجة تساند وتقوي الحجة الأخرى، وهذا بفضل تكرار الرابط الحجاجي "الواو" لتحقيق نتيجة واحدة ألا وهي (ن) (النظم نظم معان تتفق وفقه الألفاظ).

4-3- العوامل الحجاجية: Les opérateurs

نوه «أبو بكر العزاوي» في كتابه "الحجاج والتلفظ Argumentation et énonciation" أن مفهوم العامل الحجاجي قد أدرج لأول مرة في مقال "لديكرو (DUCROT) تحت عنوان: Note sur l'Argumentation et l'acte d'argumenter المنشور سنة 1982 ثم شرحه وطوره في مقال آخر موسوم ب Opérateurs argumentatifs et visée argumentative المنشور في سنة 1983»⁽¹⁾. وقد حدد "ديكرو (Ducrot)" مفهوم كل من "الرابط الحجاجي" و"العامل الحجاجي" وهذا ما ورد في كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" لشكري مبخوت، حيث قال: «ولئن استعملنا هنا عبارة الربط الحجاجي فإن "ديكرو" يميز بين نوعين من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية أما النوع الأول فهو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ويسميه روابط حجاجية وأما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل "منذ" الظرفية و"تقريبا" و"على الأقل" ... إلخ ويسميه عوامل حجاجية»⁽²⁾.

1- Argumentation et énonciation , Azaoui boubaker, Top press, Maroc, sans Edition, sans date, p 63 نقلا عن: أثر العامل الحجاجي في بلاغة خطاب عبد القاهر الجرجاني، جيلالي علي، بن يحي ناموس، مجلة فصل الخطاب (تيارت)، جوان 2021م، العدد 02، المجلد 10، ص: 11.

2 - أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شكري مبخوت، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة -تونس-، (دط)، (دت)، ص: 376-377.

فالعوامل الحجاجية وفق تعبير "ديكرو" لا تختص بالربط بين قولين أو قضيتين أو بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة من الحجج، ولكنها تقوم بحصر الإمكانيات التي تكون لقول ما. (1)

ومن "العوامل الحجاجية:» رّبما، تقريبا، كاد قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر». (2)

والدارس لخطاب "عبد القاهر الجرجاني" يلقي الرجل قد وظف العامل الحجاجي المتمثل في أسلوب القصر، والذي أداته (النفى والاستثناء) لا...إلا) و(ليس...إلا)، وإثما).

يعرّف "القصر" في البلاغة العربية على «أنّه تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص» (3).

ويكون "القصر" بأربع طرق: (4)

- النفي والاستثناء.
- القصر بإثما.
- القصر بالعطف ويكون ب (لا، بل، لكن).
- القصر بالتقديم ما حقه التأخير.

أما على المستوى الحجاجي يمكن أن يعرّف "القصر" على أنّه «جنوح المتكلم لتثبيت ما يريد في ذهن السامع، وتغيير ما يعتقدّه إذا كان مخالفا للحكم، لذلك فهو -

1- ينظر: الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 2010م، ص: 56.

2- اللّغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: 26.

3- البلاغة الواضحة (المعاني، البيان، البديع)، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف - لندن، (دط)، (دت)، ص: 217.

4- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، مؤسسة الهنداوي، (دم)، (دط)، 2017م، ص: 180.

المتكلم -يلجأ إلى الجملة الاسمية الابتدائية، والتي تعد توكيدا من درجة أولى كما مر سابقا فيضيف إليها وحدات لغوية للغرض السابق: توكيد مضاعف وتغيير موقف السامع المخالف»⁽¹⁾.

ونظرا لأهمية هذه العوامل الحجاجية في تماسك الخطاب وتكامل بنيته، ومدى فاعليتها في قيادة المتلقي للاتجاه الذي يرتتبه المحاجج جعلت "عبد القاهر الجرجاني" يسهب في التدليل عليها في بعض أبحاثه، حتى أنه عقد بابا في كتابه "دلائل الإعجاز" حول هذه العوامل، والذي كان موسوما بـ "باب القصر والاختصاص"؛ حيث خصّه بحوالي ثلاثين صفحة من (328 - 358)، رد فيه على أبي علي الفارسي الذي ساوى بين (إنّما)، و(ما...إلا)، ثم ذكر موضوع (إنّما) على أنّها تحيء لخير لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، ثم بيّن مراد (إنّ) و(إلا) والفرق بينهم وبين (إنّما)، ثم وقف على عمل (إنّما) في الجملة وأنّها تكسبها قوة حجاجية تسهم في توجيه الملفوظ نحو نتيجة معينة ومحددة.⁽²⁾

أ- العامل الحجاجي (ليس...إلا) و(لا...إلا):

- باب النظم:

1- قال "عبد القاهر الجرجاني": «اعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها».⁽³⁾

1- الأفق الحجاجي في نظرية النّظم، عمر بوقمرة، ص: 133.

2- ينظر: أثر العامل الحجاجي في بلاغة خطاب عبد القاهر الجرجاني، جيلالي علي، بن يحيى ناموس، ص: 12.

3- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 60.

بيّن "عبد القاهر الجرجاني" في هذا القول مفهوم النّظم، فحصره في تأليف الكلام بالطريقة التي يقتضيها علم النّحو ومعانيه وأصوله ؛ موظفا النفي والاستثناء (ليس... إلّا) ؛ بوصفه عاملا حجاجيا.

ولقد وجه "العامل الحجاجي" المتمثل في "النفي والاستثناء" القول نحو نتيجة محددة وهي ضرورة الأخذ بقوانين النحو ومعانيه خلال نظم الكلام، «فإذا تخيلنا عن هذا العامل ("ليس... إلّا") من هذا البناء اللّغوي، فيصبح: "اعلم أنّ النّظم أن تضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"، فلا تغدو وظيفة الملفوظ بدونه أن تكون إلّا إبلاغية إخباريّة لا تخدم غاية المتكلم».⁽¹⁾

فملفوظ "عبد القاهر الجرجاني" هو الأرقى حجاجيا ؛ لأنّ المحاجج فيه قد استعان بعاملية الحصر (ليس... إلّا) لشد من أزر الملفوظ وتحديد النتيجة المقصودة منه وبالتالي يكون المتلقي أمام نتيجة واحدة (في نظم الكلام يجب مراعاة قوانين النحو ومعانيه) أو استلزام واحد يقتضيه الملفوظ، ويروم "عبد القاهر الجرجاني" تسليم الجمهور به، والعاملان الحجاجيان يضيقان من تعدد النتائج المستفادة من الملفوظ.⁽²⁾

2- قال "عبد القاهر الجرجاني": «هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النّظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلّا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقّه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وُصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلّا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك

1- أثر العامل الحجاجي في بلاغة خطاب عبد القاهر الجرجاني، جيلالي علي، بن يحيى ناموس، ص: 17.

2- ينظر: العوامل الحجاجية في اللّغة العربية، عز الدين الناجح، دار نهي-صفاقس-، ط1، 2011م، ص: 64.

الفساد وتلك المزيّة وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتّصل بباب من أبوابه»⁽¹⁾.

لقد صاغ "عبد القاهر الجرجاني" فكرته في العبارتين (فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً...إلاّ وهو معنى من معاني النّحو) و (فلا ترى كلاماً قد وُصف بمزيّة وفضل...إلاّ إلى معنى من معاني النّحو) بأسلوب القصر و"بطريق النفي والاستثناء(ليس...إلاّ)، (لا...إلاّ)".

وقد وجه "العامل الحجاجي" المتمثل في "النفي والاستثناء (ليس...إلاّ) (لا...إلاّ)" القول الذي بين أيدينا إلى نتيجة، مفادها: أنّ كل صحة أو فساد في النّظم هي بسبب معنى من معاني النّحو، وتضاف إلى ذلك المزيّة، فكل مزيّة وفضل وشرف في النّظم راجع إلى معنى من معاني النّحو.

وإقحام "عبد القاهر الجرجاني" للعامل الحجاجي في هذا الملفوظ يدل دلالة واضحة على ثقته فيما يقوله وسعيه الحثيث إلى إقناع المتلقي به، فقد استشهد بجملة من الشواهد الشّعرية للاستدلال على فكرته - حول ارتباط الصحة والخطأ بمعاني النّحو- بغية تقريرها في الضمائر والإيمان بصحتها.

-الاستعارة وعلاقتها بالنّظم:

قال "عبد القاهر الجرجاني": « إنّ في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلاّ من بعد العلم بالنّظم والوقوف على حقيقته»⁽²⁾.

الملاحظ في هذا القول أنّ "عبد القاهر الجرجاني" قد وظف "العامل الحجاجي" المتمثل في "النفي والاستثناء (لا...إلاّ)"، وتتجلى لنا القيمة الحجاجية لهذا

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 61.

2- المصدر نفسه، ص: 72.

العامل الحجاجي في إثبات أنّ جمالية الاستعارة تكمن في طريقة نظمها وتأليفها، وهو في هذا المقام ينتصر إلى جهة "النظم"، ويبيّن أهميته فعليه مدار الأمر كله.

فكثيرا ما نبدي إعجابا بالاستعارات التي نجدها في ثنايا النصوص ولا نعرف مصدر هذه الأريحية وهذا الإعجاب، فها هو "عبد القاهر الجرجاني" يبيّن لنا أنّ جمال الاستعارة يظهر في طريقة نظمها، فما نراه من الحسن والمزينة والشرف والفضيلة في قوله ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم:4)، ليس لمجرد استعارة الاشتعال للانتشار، بل «لأن سلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء، وهو لما هو من سببه، فيرفع به ما يسند إليه، ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده، مبيّنا أن ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك الأول، إنّما كان من أجل هذا الثاني، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة...»⁽¹⁾

كما أنّ للعامل الحجاجي (لا... إلا) دور بارز في توجيه الملفوظ نحو نتيجة وهي أنّ جمال الاستعارة يرجع إلى النظم وما توخاه الناظم، فإذا حسنت الصياغة اكتمل حسن الاستعارة لأنّها بذلك تكون قد وقعت موقعها وأصاب غرضها، وقد استشهد "عبد القاهر الجرجاني" بيت شعري، غايته من ذلك تقوية حجته، ورد شبهة المعارضين، والتي تلخص في أنّ مزية الاستعارة راجعة إلى اللفظ.⁽²⁾

-فصل في أنّ الفصاحة والبلاغة للمعاني:

قال "عبد القاهر الجرجاني": «وبيان آخر، وهو أنّ القارئ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم:4)، فإنّه لا يجد الفصاحة التي يجدها إلا من بعد أن ينتهي الكلام إلى آخره، فلو كانت الفصاحة صفة للفظ (اشتعل) لكان ينبغي أن يحسّها القارئ فيه حال نطقه به، فمحال أن تكون للشيء صفة، ثم لا يصلح العلم بتلك الصفة إلا من بعد عدمه، ومن ذا رأى صفة يعرى موصوفها عنها في حال وجوده، حتى إذا عدم

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 73.

2- ينظر: أثر العامل الحجاجي في بلاغة خطاب عبد القاهر الجرجاني، جيلالي علي، بن يحيى ناموس، ص: 16.

صارت موجودة فيه؟ وهل سمع السامعون في قديم الدهر وحديثه، بصفة شرط حصولها لموصوفها أن يعدم الموصوف؟»⁽¹⁾.

ضمّن "عبد القاهر الجرجاني" أثناء حديثه عن الفصاحة والبلاغة "العامل الحجاجي (لا...إلا)"، وكان بالإمكان أن يتخلى عنه فيقول: "وبيان آخر، وهو أنّ القارئ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم:4)، فإنّه يجد الفصاحة التي يجدها من بعد أن ينتهي الكلام إلى آخره"، وهذا جائز في عُرف اللّغة العربية، فلما استعمل الحصر بواسطة (لا...إلا) أدى عدّة وظائف حجاجيّة:

- كان لهذا العامل الحجاجي دور كبير في تقويّة النتيجة التي يسعى "عبد القاهر الجرجاني" إلى ترسيخها في ذهن متلقيه، وهي أنّ الفصاحة لا تكون وصفا للألفاظ المفردة معزولة عن السياق الذي نشأت وانتظمت فيه، ولكن تكون لها تلك الفصاحة وهي موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى غيرها «فإذا قلنا في لفظ "اشتعل" من قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم:4) أنّها في أعلى رتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس، معرّفا بالألف، ومقرونا إليهما "الشيب" منكرا منصوبا»⁽²⁾.

- لقد كان للعامل الحجاجي (لا...إلا) وظيفة تقويّة الطاقة الحجاجيّة للملفوظ؛ حيث أزال أي إبهام في المعنى، وعمل على حصر الإمكانيات الحجاجيّة لهذا الملفوظ، وذلك بتوجيهه إلى نتيجة مركزة محددة وهي أنّ المزيّة لا تعود للفظ وحده وهو معزول عن التركيب، وإتّما يرجع ذلك الحسن والشرف والفخامة والعظمة إلى تأليف الألفاظ ونظمها من خلال تلاؤمها مع جاراتها ومؤانستها لأخواتها.

ب- العامل الحجاجي "إنّما":

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 259-260.

2- المصدر نفسه، ص: 257.

-باب الاستعارة وعلاقتها بالنظم:

قال "عبد القاهر الجرجاني": «فإنك ترى هذه الاستعارة(*)، على لطفها وغرابتها، إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى، بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها، وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف، فأزل كلا منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه، فقل: "سالت شعاب الحيّ بوجوه كالدنانير حين دعا أنصاره"، ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة؟ وكيف تعدم أريجيتك التي كانت؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها؟»⁽¹⁾.

لقد استعان "عبد القاهر الجرجاني" في رده على شبه المعارضين بالعامل الحجاجي (إنّما) وتكمن وظيفته في كونه:

- عمل على توجيه الخطاب صوب نتيجة محددة التي تتمثل في أنّ استحقاق الاستعارة الحسن والشرف راجع إلى ما توخى الشاعر في نظم الكلام (طرق التعليق)، فالأصل في المزية يعود إلى كفاءات النظم والصياغة.

-قام بحصر إمكانات الملفوظ، فتوظيف "إنّما" يقضي على تعدد التأويلات فلا يتصور أن يكون حسن هذه الاستعارة سببه في اختيار اللفظ المناسب، بل «إنّ موقع هذه الاستعارة داخل التركيب بالطريقة التي حددها الشاعر من تقديم وتأخير، أسند من خلاله السيل إلى الشعاب دون الأنصار هي التي زادتها ذلك الحُسن والجمال»⁽²⁾.

-العاملان الحجاجيان (إنّما) و(لا...إلا) في الرد على المعتزلة في مسألة اللفظ:

* - سألته عليه شعاب الحيّ حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير .

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 72.

2- أثر العامل الحجاجي في بلاغة خطاب عبد القاهر الجرجاني، جلالى علي، بن يحيى ناموس، ص: 16.

قال "عبد القاهر الجرجاني": «فإن قيل: ماذا دعا القدماء إلى أن قسموا الفضيلة بين المعنى واللفظ فقالوا: "معنى لطيف، ولفظ شريف"، وفخّموا شأن اللفظ وعظّموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم، وحتى قال أهل النظر: "إنّما المعاني لا تتزايد، وإنّما تتزايد الألفاظ" فأطلقوا كما ترى كلاماً يوهم كل من يسمعه أنّ المزيّة في حق اللفظ»⁽¹⁾.

الرد (الدليل):

قال "عبد القاهر الجرجاني": «قيل له: لما كانت المعاني إنّما تتبيّن بالألفاظ، وكان لا سبيل للمرّتب لها والجامع ثملها، إلى أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره، إلّا بترتيب الألفاظ في نطقه، تجوّزوا فكّنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ، ثم بالألفاظ بحذف الترتيب، ثم أتبعوا ذلك من الوصف والنعته ما أبان الغرض وكشف عن المراد، كقولهم (لفظ متمكّن) يريدون أنّه بموافقة معناه لمعنى ما يليه، كالشيء الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه»⁽²⁾.

إنّ توظيف "عبد القاهر الجرجاني" للعاملين الحاجيين (إنّما)، (لا... إلّا) الغاية منه دفع تلك الشبهة التي يتبناها الخصم القائلة: إنّ المزيّة راجعة إلى الألفاظ، لأنّها هي التي تتزايد، وهي التي فيها الصنعة والبراعة والفصاحة، وتوجيه الملفوظ إلى نتيجة محددة وهي «أنّ ترتيب الألفاظ تابع ولازم لترتيب المعاني، ولهذا قالوا ترتيب اللفظ وهم يريدون ترتيب المعنى على سبيل الكناية التي هي إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، ثم حذف كلمة الترتيب من باب مجاز الحذف، وقرينة هذا المجاز الأوصاف التي يوصف بها اللفظ كقولهم لفظ شريف، أو متمكّن، أو قلق، وهي قرينة مانعة، لأنّه مما يعلم علم ضرورة، أنّ اللفظ

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 50.

2- المصدر نفسه، ص: 50.

من حيث هو لفظ لا يقال له شريف، ولا خسيس، وإتّما هي أوصاف له باعتبار وقوعه في ترتيب»⁽¹⁾.

والواقف على خطاب الدلائل يرى "عبد القاهر الجرجاني" قد استخدم العامل الحجاجي المتمثل في "النفي والاستثناء" بكثرة إلى درجة التواتر في حين لم يعتمد على أشهر أدوات القصر وهي "إنّما"، فما السر في ذلك؟⁽²⁾

وقد علل "عبد القاهر الجرجاني" ذلك ببيان مواضع استخدام العامل الحجاجي "إنّما" و"النفي والاستثناء"، فقال عن "إنّما": «اعلم أنّ موضع "إنّما" على أنّها تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك أن تقول للرجل: إنّما هو أخوك، وإتّما هو صاحبك القديم، لا تقول لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلاّ أنّك تريد أن تنبهه الذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب»⁽³⁾.

وقال عن "النفي والاستثناء": «وأما الإخبار بالنفي والإثبات نحو "ما هذا إلاّ كذا، وإن هو إلاّ كذا" فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: "ما هو إلاّ مصيب"، أو: ما هو إلاّ مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: ما هو إلاّ زيد، لم تقله إلاّ وصاحبك يتوهم أنّه ليس بزيد، وأنّه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدا»⁽⁴⁾.

1- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه - القاهرة-، ط1، 1998م، ص: 89.

2- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية التّظّم، عمر بوقرة، ص: 134.

3- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 216.

4- المصدر نفسه، ص: 218.

فاختيار "عبد القاهر الجرجاني" العامل الحجاجي المتمثل في أسلوب القصر والذي طريقه النفسي والاستثناء نابع من إدراكه أنّ متلقي خطابه هم قوم ينكرون الأفكار التي يبيدها في نظريته ولا يعترفون بصحتها، ولذا سعى إلى تغيير ما في أذهانهم من آراء ومعتقدات، ودفعهم إلى التعديل والتخلي عن هذه الآراء الخاطئة، وهذا كلّه يتوافق مع موضع استعمال التركيب الحصري (ما... إلّا).⁽¹⁾

1- ينظر: الأفق الحجاجي في نظرية النّظم، عمر بوقمرة، ص: 135.

5- الوسائـل المنطقية

- العلاقات الحجاجية

- القياس

5- الوسائل المنطقية:

5-1- العلاقات الحجاجية:

يُتَّسَم الخطاب الحجاجي «بشبكة معقدة من العلاقات ؛ ومآتى التعقيد فيها أنّها علاقات غير عادية فهي علاقات مخصوصة "موجهة" تحكمها معطيات كثيرة منها ما يتصل بالباط ومنها ما يعود إلى المتلقي ومنها ما يرجع أيضا إلى وضعيات الخطاب وغاياته ومختلف مقاصده». (1)

وتأسس هذه "العلاقات الحجاجية" عن طريق الربط بين مفاصل الكلام بجملة من الأدوات اللغوية والتي اصطلح عليها مسمى "الروابط الحجاجية" بحيث يتصل أجزاء الخطاب ويصبح كتلة واحدة فعندها تبرز العلاقة الحجاجية كأن يعتمد مؤسس الخطاب الرابط الحجاجي "بيد أنّ" ليؤسس علاقة حجاجية محددة هي **علاقة التناقض** أو الربط "لأنّ" لتكون **العلاقة سببية**. (2)

وعلى محلل الخطاب الحجاجي «أن يتنبه إلى أهمية الموضع الذي تحتله علاقة حجاجية ما في تحديد وظيفتها وتبيان مدى حجاجيتها، كأن يقدم المتكلم علاقة ويؤخر أخرى أو أن يجري العلاقة ذاتها على مساحة ممتدة من الخطاب ويقصي علاقة أخرى فلا يكاد غيابها يخفى على المتلقي أمورا لا تخلو من دلالة إذ تنأى عن الصدفة والاتفاق وتأتي عادة محملة بعميق الدلالات». (3)

وقد تعددت العلاقات الحجاجية التي ينسجها المحاجج في خطابه، فنجد العلاقة السببية، علاقة الاقتضاء، علاقة الاستنتاج، علاقة التابع، علاقة عدم الاتفاق.

1- الحجاج في الشعر العربي القديم بنيتة وأساليبه، سامية الدريدي، ص: 316.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 318.

3- المصدر نفسه، ص: 319.

أ- العلاقة السببية:

إنّ "العلاقة السببية" هي « من أبرز العلاقات الحجاجية، وأقدرها تأثيراً في المتلقي، وهي في حقيقة الأمر ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية إذ يحرص المتكلم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام دون الاكتفاء بتلاحق عادي بينها وتتابع طبيعي يجعل الأحداث والأفعال أو الأفكار والأحكام متسلسلة متجاوبة بل يعتمد إلى مستوى أعمق من العلاقة فيجعل بعض الأحداث أسباباً لأحداث أخرى ويسم فعلاً ما بأنه نتيجة متوقعة لفعل سابق ويجعل موقفاً معيناً سبباً مباشراً لموقف لاحق»⁽¹⁾.

وهذا ما نلمحه جلياً عند "عبد القاهر الجرجاني" في تعريفه لنظم «فعندما يذكر أنّ النظم توحي معاني النحو في الكلم، فإنّه يشير إلى ضرورة معرفة النحو، فالعلاقة التي تربط بين معرفة علم الإعراب والنظم علاقة سببية، فالذي يريد معرفة ماهية النظم عليه أن يكون على دراية بالنحو، فالحجج التي ساقها "عبد القاهر الجرجاني" ليعزز مكانة النحو ويذهب الزهد عنه كانت سبباً ليقوي حجته حول إعجاز القرآن الكريم والذي يتمثل في النظم، فهو لم يذكر هذه الحجج بهذا الترتيب لمجرد ذكرها متتابعة وإنما لجعل هذه سبباً لتلك»⁽²⁾.

ب- علاقة الاقتضاء:

ترى "سامية الدريدي" أنّ "علاقة الاقتضاء" «ذات طاقة حجاجية عالية لأنها ككل علاقة حجاجية تصل الحجّة بالنتيجة المرصودة للخطاب ولكنها تتميز عن كل علاقة بأنها تجعل الحجّة تقتضي تلك النتيجة اقتضاء والعكس صحيح بحيث تغدو العلاقة ضرباً من التلازم بين الحجّة والنتيجة وهو ما لا توفره سائر العلاقات حتى السببية منها وصاحب

1- الحجج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي، ص: 327.

2- البنية الحجاجية في النثر العباسي تناول تداولي لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، نفيسة طيب، ص: 127.

الخطاب الحجاجي - مع هذا الصنف من العلاقات - يعمد إلى الاجتهاد في إضفاء نوع من الحتمية على العلاقة بين الحجّة والنتيجة فيحكم الترابط بينهما بشكل يوحي بأنّ الأولى تقتضي الثانية والثانية تستدعي الأولى ضرورة حتى وإن لم يكن الأمر كذلك»⁽¹⁾.

فالعلاقة الاقتضاء تتميز بقوة حجاجية عالية تجعل الحجّة تقتضي النتيجة، فتصبح العلاقة ضرباً من التلازم، ولعل « أقدر الروابط الحجاجية على توفير هذا النوع من العلاقة أدوات الشرط المختلفة، فالجملة الشرطية من حيث وظيفتها الحجاجية تبين لنا قدرتها على توفير علاقة الاقتضاء بين السبب والنتيجة، سبب يمثله الشرط ونتيجة يمثّلها الجواب»⁽²⁾.

وقد بيّن اللّغويون القدامى التلازم والتعلق السببي بين جملي الشرط وجوابه، فقال "ابن جني (ت 392هـ) : «وذلك أنّ حقيقة الشرط وجوابه، أن يكون الثاني مسبباً عن الأوّل نحو قولك: "إن زرتني أكرمتك" فالكرامة مسببة عن الزيارة»⁽³⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه «أنّ علاقة الاقتضاء التي يوفرها أسلوب الشرط علاقة شكلية بالأساس أي إنّ المتكلم متى عمدها إلى جملة شرطية تقوم على شرط وأداة وجواب فإنّه يجعل الشرط يقتضي الجواب -والعكس صحيح أيضاً- من حيث الشكل فحسب ذلك أنّ الشرط من حيث المضمون يستدعي عدداً كبيراً من الإمكانيات والمعاني بحيث يستحيل الحديث عن اقتضاء مضموني أو معنوي ولكن الاقتضاء الشكلي متوفر وهذا كاف في الحجاج»⁽⁴⁾.

1- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص: 335.

2- ينظر: العلاقات الحجاجية في القصص القرآني، بوسلاح فايزة، مجلة الحضارة (وهران)، جوان 2016، العدد 29، ص: 170.

3- الخصائص، ابن جني أبو الفتح عثمان، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية (دم)، (دط)، (دت)، ج: 3، ص: 175.

4- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص: 335.

فالجملية الشرطية إذن تضطلع بوظيفة حجاجية تبين لنا قدرتها على توفير علاقة اقتضاء بين السبب والنتيجة، وبين حجة يمثلها الشرط والجواب معا، ونتيجة يصرح بها المتكلم تارة ويخفيها تارة أخرى.⁽¹⁾

ولقد كان لهذه العلاقة الحجاجية حضورا بارزا في المدونة ومن نماذج ذلك ما يلي:

1- قال "عبد القاهر الجرجاني" في الرد على الزاهدين في الشعر: «ونحن نعلم أن لو كان منشور الكلام يجمع كما يجمع المنظوم، ثم عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسخف نثرا في عصر واحد، لأربى على جمع ما قاله الشعراء نظما في الأزمان الكثيرة، ولغمره حتى لا يظهر فيه».⁽²⁾

فبعد القاهر الجرجاني عقد علاقة اقتضاء بين حجة (جملة الشرط وجوابه) (لو كان منشور كلام يجمع... لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظما)، وتبلور هذه الحجة في أنّ هؤلاء لو يذمون الشعر لما فيه من هزل لكان ذمهم للنثر أولى لأنّ ما يحتويه منشور العرب من هزل وسخف في عصر واحد يفوق ما قيل في الشعر في حقب زمنية كثيرة .

وهذه الحجة التي أوردتها "عبد القاهر الجرجاني" تقتضي نتيجة وهي الدعوة إلى رواية الشعر وحفظه والاشتغال بعلمه وتتبعه.

2- قال "عبد القاهر الجرجاني": «واعلم أنّ هاهنا دقائق لو أنّ الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع "إنّ"، ثم ألطف النظر وأكثر التدبّر، لعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل»⁽³⁾، وقال أيضا في نفس الباب: «فلو أنّ الفيلسوف قد كان تتبع هذه المواضع، لما ظن الذي ظن. هذا، وإذ كان "خلف الأحمر" وهو القدوة ومن يؤخذ عنه، ومن هو بحيث يقول الشعر فينحله على الفحول الجاهلين، فيخفى ذلك له، ويجوز أن

1- ينظر: العلاقات الحجاجية في القصص القرآني، بوسلاح فايزة، ص: 170.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 19.

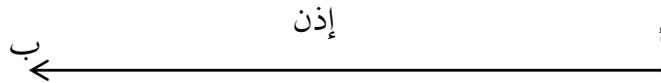
3- المصدر نفسه، ص: 206.

يشتهر ما نحن فيه عليه حتى يقع له أن ينتقد على بشار، فلا غرو أن تدخل الشبهة في ذلك على الكندي»⁽¹⁾.

فالجملة الشرطية في التصيين السابقين مثلت لنا علاقة اقتضاء شكلي بين السبب والنتيجة فعدم استقراء وتتبع الفيلسوف الكندي لمواضع "إن" ومعرفة ما فيها من مزايا ولطائف سبب للظن أنّ في قول العرب: عبد الله قائم وإنّ عبد الله قائم وإنّ عبد الله لقائم حشوا.

ت - علاقة الاستنتاج:

تعد « هذه العلاقة منطقية دون شك أو لنقل هي مما يدين به الحجاج للمنطق وهي في جوهرها خاصية من الخصائص التي تؤكد ما ذهبنا إليه منذ الباب الأول من البحث من أنّ الحجاج فن: فن الانتقال من فكرة إلى أخرى بشكل منظم وميسّر»⁽²⁾. وعلاقة الاستنتاج هذه يمكن أن يرمز إليها بالشكل الآتي:⁽³⁾



إذن فالحجة "أ" تقود إلى النتيجة "ب" وفق تسلسل منطقي إذا كنا في ميدان المنطق الخالص وشبه منطقي إذا دخلنا باب الحجاج، أي أنّ المتكلم يستنتج النتيجة من حجة يقدمها فإذا بنتيجة الخطاب متولدة من رحم الدليل أو البرهان ناشئة عنه عائدة إليه. فالعلاقة الاستنتاجية إذن أن يعرض المرسل مجموعة من المقدمات هي بمثابة حجج ويوكل للمتلقي مهمة الاستنتاج واستخلاص النتائج، وقد لجأ "عبد القاهر الجرجاني" إلى

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 209.

2- الحجاج في الشعر العربي القديم بينه وأساليبه، سامية الدريدي، ص: 339.

3- المصدر نفسه، ص: 339-340.

استخدام هذه العلاقة الحجاجية في مدونته، حيث نفى آراء المعارضين حول مكنم الإعجاز في القرآن الكريم وهي كآآي:

1- إبطال القول بالصرفة:

نفى "عبد القاهر الجرجاني" دعوى القائلين بالصرفة، والتي تتلخص في أن العرب كانت لديهم القدرة على الإتيان بمثل القرآن الكريم لكن الله سبحانه وتعالى صرفهم وسلب منهم تلك القدرة، ورأى أن القائل بهذا الرأي «معاند يعد الرجوع عن باطل قد اعتقده عجزاً، والثبات عليه من بعد لزوم الحجة جلدًا، ومن وضع نفسه في هذه المنزلة، كان قد باعدها من الإنسانية». (1)

2- نفى أن تكون الاستعارة الأصل في الإعجاز:

يقول "عبد القاهر الجرجاني": «ولا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز وأن يقصر عليها، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة». (2)

"فبعد القاهر الجرجاني" من خلال هذا القول لا يؤمن أن يكون مصدر الإعجاز ي في الاستعارة، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آيات معدودة، هي التي اشتملت على الاستعارة.

ولم ينكر "عبد القاهر الجرجاني" «أن الاستعارة ونظائرها من جملة ما القرآن به معجز؛ لأنها من مقتضيات النظم». (3)

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 344.

2- المصدر نفسه، ص: 251.

3- عبد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي، ص: 87.

3- لا يجوز أن يكون الإعجاز بأن لم يلتق في حروفه ما يثقل على اللسان:

لا يؤمن "عبد القاهر الجرجاني" أن يكون الوصف الذي أعجز العرب محصوراً في خفة الحروف وسهولتها وترتيب حركاتها وسكناتها، وقد استدلل عبد القاهر الجرجاني على هذا بكلام العرب الذين استمعوا إلى القرآن الكريم مثل قول الوليد بن المغيرة "إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أسفله لمغدق وإنّ أعلاه لمثمر". فكلام الوليد بن المغيرة لا يعني إعجاب العرب بالقرآن الكريم لما فيه من خصوصية صوتية متميزة لم يألفوها من قبل، وإنما انبهروا ببناء القرآن سفلاً وعلواً.⁽¹⁾

4- إبطال أن تكون الفواصل القرآنية هي الإعجاز:

ينفي "عبد القاهر الجرجاني" أن تكون الفواصل القرآنية هي الإعجاز أو وجهها من وجوهه حيث يقول: «وكذلك الحكم إن زعم زاعم أنّ الوصف الذي تحدوا إليه هو أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل، كالذي تراه في القرآن، لأنّه أيضاً ليس بأكثر من التّعويل على مراعاة الوزن. وإنما الفواصل في الآي كالقوافي في الشعر، وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو، فلو لم يكن التحدي إلاّ إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافي، لم يعوزهم ذلك ولم يتعذّر عليهم، وقد خيّل إلى بعضهم - إن كان الحكاية صحيحة - شيء من هذا، حتى وضع على ما زعموا فصول كلام أواخرها كأواخر الآي، مثل "يعلمون" و"يؤمنون" وأشباه ذلك».⁽²⁾

5- لا يكمن إعجاز القرآن الكريم في ألفاظه منفردة عن هذا النظم الذي جاء به:

يقول "عبد القاهر الجرجاني": «ثم إنّ هذا الوصف ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدد بالقرآن، وأمراً لم يوجد في غيره، ولم يعرف قبل نزوله، وإذا كان كذلك فقد وجب أن يعلم أنّه لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة؛ لأنّ تقدير كونه فيها يؤدي إلى المحال، وهو أن

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 472.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 249.

تكون الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللّغة، قد حدث في مذاقة حروفها وأصدائها أوصاف لم تكن، لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن الكريم، وتكون قد اختصت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعا السامعون عليها إن كانت متلوة في القرآن، لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن». (1)

ويقول في موضع آخر: «ولا يجوز أن تكون في "معاني الكلم المفردة" التي هي لها بوضع اللّغة؛ لأنّه يؤدي إلى أن يكون قد تجدد في معنى "الحمد" و"الرب" ومعنى "العالمين" و"الملك" و"اليوم" و"الدين"، وهكذا، وصف لم يكن قبل نزول القرآن، وهذا ما لو كان هاهنا شيء أبعد من المحال وأشنع لكان إيّاه». (2)

فهذه الحجج التي قدمها "عبد القاهر الجرجاني" والتي كانت تدور حول مصدر الإعجاز في القرآن الكريم تقود المتلقي إلى استخلاص نتيجة وهي أنّ سر الإعجاز في القرآن الكريم كان لخصوصية تميز بها، وهو ذلك النّظم الذي أعجز العرب قاطبة.

فقد قلب "عبد القاهر الجرجاني" أمر الإعجاز على وجوهه؛ فلم يعجبه رأي أولئك الذين يقولون بالصّرفة، ودحض قولهم؛ لأنّه كان مؤمنا بأنّ القرآن الكريم معجز بنفسه، وأسباب إعجازه كامنة فيه؛ واقتنع بأنّ سبب إعجازه في بلاغته، وتكمن هذه البلاغة في نظم القرآن الكريم على هذا الأسلوب الذي نزل به، لا في ألفاظه منفردة عن هذا النّظم الذي جاء به، ولا في أنّ عبارة القرآن قد جاءت على ضرب من الوزن يعجز الخلق على أن يأتوا بمتله، ولا في الجريان والسهولة وسلامته من أن تلتقي فيه حروف تثقل على اللسان، ولا لأوزان الكلمات، ولا للفواصل في أواخر الآيات، ولا لما في القرآن الكريم من استعارات. (3)

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 248- 249.

2- المصدر نفسه، ص: 249.

3- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي، ص: 79، 80.

5-2-القياس:

أ- القياس المتدرج:

والمقصود به «أن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض، حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة... ويمتد القياس المتدرج غالباً إلى عدة أقوال، ولكنّه يبنى على عدد محدود من الأقوال أحياناً على حسب ما يوصل إلى النتيجة التي يريدّها المتكلم».⁽¹⁾

ومن أمثلة ذلك في المدونة قول "عبد القاهر الجرجاني": «وإذا ثبت أنّ سبب فساد النّظم واختلاله، ألاّ يعمل بقوانين هذا الشأن، ثبت أنّ سبب صحته أن يعمل عليها، ثم إذا ثبت أنّ مستنبط صحته وفساده من هذا العلم، ثبت أنّ الحكم كذلك في مزته والفضيلة التي تعرض فيه، وإذا ثبت جميع ذلك، ثبت أن ليس هو شيئاً غير توحي معاني هذا العلم وأحكامه فيما بين الكلم، والله الموفق للصواب».⁽²⁾

وعلى ضوء مقولة "عبد القاهر الجرجاني" يمكن توضيح القياس المتدرج وفق هذه

البنية:

مقدمة كبرى: فساد النّظم ألاّ يعمل بقوانين النّحو ومعانيه.

مقدمة صغرى: العمل على قوانين النّحو ومعانيه يكسب الصحة.

نتيجة: مستنبط الصحة والفساد من هذا العلم

نتيجة: الحكم في المزيّة والفضيلة باتباع تلك القوانين.

نتيجة نهائية: النّظم ليس شيئاً غير توحي معاني النّحو.

1- النص الحجاجي العربي -دراسة في وسائل الإقناع-، محمد العبد، مجلة فصول(مصر)، 2002م، العدد 06، ص: 59-60.

2- دلالات الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 62.

ب- القياس المنطقي:

يمثل "القياس المنطقي" «وسيلة منطقية من وسائل التعليق بين الأقوال، ففي القياس المنطقي يصبح أحد القولين مرتبطاً بالآخر عن طريق تعليقهما بقول ثالث يمثل طبقة من الموضوعات أو المفاهيم أعلى من القولين الآخرين».⁽¹⁾

والقياس المنطقي يتحدد في «ثلاثة أقوال الأول : المقدمة المنطقية الكبرى major premise والثاني : المقدمة المنطقية الصغرى minor premise والثالث : النتيجة conclusion. ليس معول عليه العدد ؛ فلا بد لكل قياس منطقي من وجود تعلق دلالي منطقي بين الأقوال الثلاثة، وذلك بأن تكون المقدمة الصغرى منضوية تحت الطبقة أو المفهوم الذي تقدمه المقدمة الكبرى».⁽²⁾

ومن عينات "القياس المنطقي" في المدونة قول "عبد القاهر الجرجاني": «وذاك أنا إذا كنا نعلم - أن الجهة التي منها قامت الحجّة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتها إلى غاية لا يطمح إليها إلاّ بالفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك، إلاّ من عرف بالشعر الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب، والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعا فيهما قصب الرّهان، ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض - كان الصّادّ عن ذلك صادّاً عن أن تعرف حجة الله تعالى...».⁽³⁾

1-النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، ص:169.

2- النص الحجاجي العربي -دراسة في وسائل الإقناع-، محمد العبد، ص:56-57.

3-دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 17.

يمكن تصوّر القياس المنطقي في هذا القول على النحو الآتي: ⁽¹⁾

المقدمة كبرى: إعجاز كتاب الله يكمن في بلاغته ونظمه البديع الذي قصرت

قوى البشر عن مجاراته والاتبان بمثله.

المقدمة صغرى: لا يدرك ذلك الإعجاز ولا يعرف كنهه إلا من له دراية بالشعر.

النتيجة: الذي يصد عن الشّعْر هو صاد عن معرفة الإعجاز.

ومن كل ما مضى نجد أنّ "عبد القاهر الجرجاني" لم يكتفي بالاعتماد على تقنية

واحدة من تقنيات الحجاج، بل زواج بين مختلف الآليات فاستخدم الوسائل اللغوية على

اختلافها وتنوعها (أدوات التعليل، التكرار، الصفة، الأفعال اللغوية) و البلاغية (التشبيه)،

والحجج شبه المنطقية (التناقض وعدم الاتفاق، التماثل، تقسيم الكل إلى أجزاء)، والأقيسة

المنطقية (العلاقات الحجاجية، القياس المتدرج)، السلام والروابط والعوامل الحجاجية، ذلك

لأنّ "عبد القاهر الجرجاني" يوجّه رسالته إلى قوم معاندين، مختلفين من حيث درجة

إنكارهم وتعصبهم، ولذا جنّد كل الوسائل التي من شأنها أن تؤثر في متلقيه، وتستدرجهم

إلى الدعوى التي يريدّها، والمقصد الذي يتبغي تحقيقه، وقد عملت كل هذه الآليات

والتقنيات بشكل تساندي تدفع كلها نحو غاية واحدة.

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 65.

الفصل الثالث:

تجليات المقصدية في خطاب

"محمد القاهر الجرجاني"

أولاً- السياق ومقصدية خطاب عبد القاهر الجرجاني .

أ-تعريف السياق

ب-من نظرات السابقين في الإعجاز القرآني.

ت-رؤية عبد القاهر الجرجاني حول الإعجاز.

ث-النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

ج-المقصدية الإجمالية في خطاب عبد القاهر

الجرجاني.

ح-المقاصد الثانوية في خطاب عبد القاهر الجرجاني.

أولاً- السياق ومقصدية خطاب عبد القاهر الجرجاني:

أ- تعريف السياق:

كان العالم اللغوي الإنجليزي "فيرث (firth)" في طليعة العلماء الذين اهتموا بالسياق في دراسة المعاني «فالسلك اللغوي يعد -في معظمه- عند فيرث جزءاً من العملية الاجتماعية، وهو ما جعله ينظر إلى المعنى على أنه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة فيما بينها، فهو ليس وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنه أيضاً حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث المحيطة بها أي من خلال سياق الحال، وهذا يعني أنّ المعنى- عند فيرث- لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة»⁽¹⁾.

وعلى هذا، عُرف "السياق" على أنّه «مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام، وتسمى هذه الظروف، في بعض الأحيان، بالسياق (contexte)»⁽²⁾.
وعرّفه "فرانسواز أرمينكو" أنّه «الوضعية الملموسة التي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان، والزمان، وهوية المتكلمين... إلخ، وكل ما نحن في حاجة إليه، من أجل فهم وتقويم ما يقال، وهكذا ندرك مقدار أهمية السياق، نحرم منه مثلاً، وحين تنقل إلينا المقاصد عبر وسيط، وفي حالة معزولة عن السياق، الذي يصبح مبهماً عامة، ودون قيمة»⁽³⁾.

1- ملامح النظرية السياقية عند الإمام الشاطبي، لعبيدي منيرة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها (الوادي)، 15، جوان 2018م، العدد 14، ج: 02، ص: 245.

2- استراتيجيات الخطاب، بن ظافر الشهري، ص: 41.

3- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (دم)، (دط)، (دت)، ص: 04.

ومما سبق يتبين لنا أنّ للسياق أهمية كبيرة، والتي تظهر في تحديد مراد الخطاب ومقاصد المتكلم، ولذا اعتنت الدراسات التداولية به، واعتبرته من الوحدات الأساسية التي تعين الباحث في تحليل ومقاربة النصوص.

فالوصول إلى مقصدية خطاب "عبد القاهر الجرجاني"، والوقوف على غايته من إنتاجه للدلائل تجعلنا نستحضر كل الظروف والملابسات التي كانت محيطة به، والتي كان لها دور كبير في تشكيل بنية الخطاب «فالمقصدية مرتبطة بمعرفة ظروف النص الموضوعية ووضعية المتكلم ومكانته ووضعية المخاطبين، ففهم الخلفيات المعرفية والظروف التي شكلت النص (أو الكلام) مفاتيح هامة لإدراك المعاني التي يكتنفها النص»⁽¹⁾.

وعليه يجدر التنقيب في الدراسات والآثار التي وقفت على هذا المعلم التاريخي، ومحاولة الإمام بالعصر الذي عاش فيه "عبد القاهر الجرجاني"، والبيئة التي كانت تحيط به لإعطاء فكرة واضحة عن معالم هذه الشخصية البارزة للاستناد إليها في الكشف عن مقصدية خطاب "عبد القاهر الجرجاني"، «لأنّ المستمع (القارئ) حين يواجه خطاباً لا يواجهه وهو خاوي الوفاض، وإنما يستعين بتجاربه السابقة، بمعنى أنّه لا يواجهه وهو خاوي الذهن. فالمعروف أنّ معالجته للنص المعين تعتمد، من ضمن ما تعتمد، على ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص والتجارب السابق له قراءتها ومعالجتها»⁽²⁾. فالتجارب السابقة هي بمثابة المفتاح للدخول إلى عوالم النص والكشف عن غوامضه ومكوناته، ومن ثم الوصول إلى المعنى المقصود.

1- المقصد والاستراتيجية، محمد مفتاح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ومناظرات، دار بيضاء- المغرب، (دط)، 1993م، ص:58، نقلاً عن المقصدية في الأدب الكبير لابن المقفع-دراسة تداولية-، إيدير إبراهيم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري- تيزي وزو-، (دت)، ص:110.

2- لسانيات النص -مدخل إلى انسجام الخطاب-، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي- بيروت-، ط1، 1991م، ص:61.

أجمعت معظم الدراسات⁽¹⁾ التي تناولت شخصية "عبد القاهر الجرجاني" بالدراسة على أنه نشأ في عصر كان عصر جدال ومناظرة بين الفرق الكلامية، لا سيما بين المعتزلة والأشاعرة على قضية الإعجاز القرآني.

علماً أنّ مسألة الإعجاز القرآني شغلت العلماء قديماً، فاهتموا بالتأليف فيها، ولذلك كان لابد من إلقاء نظرة سريعة بشكل مختصر على تاريخ فكرة الإعجاز، وأشهر من تكلم فيها حسب ترتيبهم الزمني وآرائهم حولها، وأبرز الخطوط البارزة في تلك الآراء.

ب- من نظرات السابقين في الإعجاز القرآني:

لم يلتفت جمهور العلماء للحديث عن إعجاز القرآن والبحث عن وجه الإعجاز والمعجزة إلاّ بعد أن روّى عن شيخ المعتزلة "واصل بن عطاء (ت 131هـ)" مقولة غريبة والتي مفادها: أنّ إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه، وإمّا هو بصرف الهمم والعزائم عن معارضة سور القرآن الكريم، وهو القول الذي تبناه فيما بعد "إبراهيم بن سيّار النّظام (ت 231هـ)"، والذي اصطلح عليه فيما بعد (الصرفة)، عند ذلك بدأ العلماء يضمّنون في ثنايا كتبهم إشارات ونظرات حول إعجاز القرآن⁽²⁾، وفيما يلي بيان لذلك .

1-النظام(ت213هـ):

هو أحد الشخصيات المعتزلية يكنى «أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظام البصري، كان من الموالي، وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف، وقيل له النظام ؛ لأنّه كان

1- ينظر: آليات الاستدلال الحجاجي في الخطاب الجرجاني -مقاربة تداولية-، رزيقة سادي، مجلة أبوليوس (سوق أهراس)، جانفي 2017م، العدد 06، ص:225، نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مسعود بودوخة، ص:36، نظرية النظم وقضية الإعجاز في علم البلاغة، عثمان أنجوغوتياو، مجلة حوليات التراث (مستغانم)، 2017م، العدد 17، ص: 140، البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، حاملة تقبايت، ص:37-38.

2 - ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار مسلم للنشر والتوزيع-الرياض-، ط2، 1996م، ص: 46.

ينظم الخرز في سوق البصرة. تتلمذ للعلاف في الاعتزال ثم انفرد عنه وكوّن له مذهباً خاصاً... واشتهر بدكائه الكبير، ولكنه لم يستعمله في خدمة الشريعة والبحث فيها لإبراز أسرارها ولكشف حكمها ومكنوناتها، بل كان مسيئاً إليها مستخفاً بأوامر الدين غير متمسك بالأحكام شديد الجرأة على المحدثين، قليل الإيمان بصحة الحديث، ولا يرى غضاضة في رد الحديث والطعن في راويه ولو كان صحابياً، لأنه لم يوافق عقله أو بالأحرى هواه»⁽¹⁾.

وقد اتخذ "أبو إسحاق النظام" "الصرفة" وجهاً للإعجاز في القرآن الكريم، والتي أصبحت مقترنة باسمه، والمقصود بها «أنّ الله سبحانه وتعالى قد صرف بلغاء العرب عن معارضة القرآن، مع قدرتهم على تلك المعارضة، أو إنّه صرفهم وكان مقدوراً لهم كما عبّر عن ذلك بعضهم»⁽²⁾.

وذكر "الفخر الرازي" أنّ "أبو إسحاق النظام" قال: «إنّ الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام، والعرب إنّما لم يعارضوه، لأنّ الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به»⁽³⁾. وقد انتقدت الفكرة التي عرضها "أبو إسحاق النظام" في الإعجاز من قبل غفر كبير من العلماء، من أبرزهم: الخطابي (ت 388هـ) في كتابه (بيان إعجاز القرآن)، الباقلائي (ت 403هـ)، القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت 415هـ)، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) في (الرسالة الشافية)⁽⁴⁾.

1- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: 60-61.

2- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، محمد زرزور، المكتب الإسلامي - بيروت، ط1، 1981م، ص: 231-232.

3- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، ص: 26.

4- ينظر: القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم - عرض ودراسة-، إبراهيم بن منصور التركي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها (السعودية)، جويلية 2009م، العدد 02، ص: 170، 177.

2- الجاحظ (ت255هـ):

من كبار أئمة البيان والبلاغة، ومن أوائل علماء القرن الثالث هجري الذين أفردوا مؤلفات للقول في الإعجاز القرآني، والدفاع عن بلاغة القرآن وإعجازه، فصنف كتابه "نظم القرآن"⁽¹⁾، والذي قال عنه: «فكتبت لك كتابا، أجهدت نفسي وبلغت فيه أقصى ما يمكن لمثلي في الاحتجاج للقرآن، والردّ على كل طّعان، فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام، ممن يزعم أنّ القرآن خلق، وليس تأليفه بحجة، وأنّه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة»⁽²⁾.

وكتاب "نظم القرآن" مفقود، لم يحفظه التاريخ، ومع هذا فقد كان "للجاحظ" في بعض كتبه (الحيوان)، ورسائله (حجج النبوة) ومضات هنا وهناك تلخص رأيه في الإعجاز القرآني، والوجوه التي وقع بها الإعجاز⁽³⁾.

ففي كتاب "الحيوان" ضمّن "الجاحظ" قولاً حول كتابه "نظم القرآن"، والذي قال فيه: «وعبت كتابي في خلق القرآن، كما عبت كتابي في الرد على الشبهة، وعبت كتابي في أصول الفتيا والأحكام، كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه»⁽⁴⁾، والذي يفهم منه أنّه ألف كتاباً في نظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه، ويبدو من تسميته أنّ محتواه يتضمن آراء وأفكار "الجاحظ" في الإعجاز البياني البلاغي،

1- ينظر: جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني (من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري)، حسين مسعود الطوير، دار قتيبة للنشر والتوزيع-بيروت-، ط1، 2001م، ص: 67.

2- خلق القرآن ضمن رسائل الجاحظ، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي -القاهرة-، (دط)، 1964م، ج:03، ص:287.

3- الإعجاز في دراسات السابقين -دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها-، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي (دم)، ط1، 1974م، ص: 157.

4-الحيوان، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-القاهرة-ط2، 1965م، ج:01، ص:09.

وأغلب الظن أنه نادى بإعجاز الأسلوب؛ أي إنّ العرب عجزت عن الإتيان بمثل نظم القرآن الكريم، و"الجاحظ" هو ثاني من استعمل مصطلح "النظم" بعد "ابن المقفع" (ت 142هـ) الذي سيشيع بعد ذلك، ويصبح متداولاً عند علماء الإعجاز.

وفي الجزء الرابع من كتاب "الحيوان" نلفي "الجاحظ" يورد قولاً ينص فيه على أنّ الإعجاز واقع في نظمه، حيث قال: «وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنّه صدق: نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به»⁽¹⁾.

ففي هذه المقولة التي نقلتها من كتاب "الحيوان" تضع أيدينا على نظرة الجاحظ حول سر الإعجاز في القرآن الكريم، فهو يرى أنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه العجيب، وتأليفه الخاص على نسق معيّن لم تعهده العرب وهم أرباب الفصاحة والبيان.

وإذا كان الجاحظ قد أقر أنّ النظم هو مناط الإعجاز، فإنّه «لا يرى النظم نظماً إلاّ إذا كان على شيء من السعة والامتداد، بحيث يحمل معنى مؤلفاً من حقائق مترابطة، يسند بعضها بعضاً، فتتشكل منها صورة سويّة الخلق. أما النظم الذي يقوم على جملة أو كلمة، أو كلمتين، فلا يدخل في هذا الباب، ولا يعد نظماً ينكشف به معدن الكلام ويبين فضله»⁽²⁾.

واهتمام "الجاحظ" بالنظم جعله يفرق بين النظم القرآني والنظم العادي، ففي نظره لا يستطيع أحد أن يفرق بين النظمين إلاّ من كان له باع في الأدب العربي وفنونه، وضروبه، كأن يعرف القصيد من الرجز والمخمس من الأسجاع، والمزاج من المنشور،

1- الحيوان، الجاحظ، ج: 04، ص: 90.

2- الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، ص: 172-173.

والخطب من الرسائل، وحتى يعرف العجز العارض الذي يجوز ارتفاعه من العجز الذي هو صفة في الذات، فإذا أدرك صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام.⁽¹⁾

هذا ولم يقتصر "الجاحظ" على بيان نظرتيه في الإعجاز، والتي ضمنتها تلك الأقوال المتناثرة في ثنايا مؤلفه "الحيوان"، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فقد تحدث عن ألوان البلاغة العربية ومثل لها من القرآن الكريم والشعر العربي، وإن كان "الجاحظ" لم يفصلها التفصيل الذي هي عليه الآن بعد أن قننت وضبطت قواعدها⁽²⁾، فمن شواهدده في "باب المجاز والتشبيه" «قوله تعالى: ﴿أَكْأَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (المائدة: 42)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (النساء: 10)».⁽³⁾

وتكلم أيضا عن فن الإيجاز فقال: «وفي كتاب جمعت فيه آيا من القرآن؛ لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة (على الذي كتبتك لك في باب الإيجاز وترك الفضول)، فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾ (الواقعة: 19)، وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا. وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: 33)، جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني».⁽⁴⁾

1- ينظر: بلاغة القرآن ونظمه عند الجاحظ، صليحة بلخييري، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية (الجزائر)، جانفي 2022، العدد 01، المجلد 09، ص: 81-82.

2- ينظر: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، حفنى محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة - (دط)، 1970م، ص: 26.

3- الحيوان، الجاحظ، ج: 05، ص: 25.

4- المصدر نفسه، ج: 03، ص: 86.

وقد أفرد "الجاحظ" ضمن رسائله "حجج النبوة" حديثاً مطولاً عن معجزة محمد -صلى الله عليه وسلم- وتتمثل هذه المعجزة في القرآن الكريم، والتي كانت مدار التحدي وعجز العرب عن مواجهة ذلك، وبعد هذا تحدث عن المعجزات التي خص بها الله سبحانه وتعالى أنبيائه -عليهم السلام- وتوافقها مع دواعي الأحوال التي يكون عليها الذين تظهر المعجزة فيهم، ورأى أنّ حجة الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد فاقت جميع حجج الأنبياء.⁽¹⁾

وقصارى القول أنّ "الجاحظ" بهذا العمل الجبار المتميز الخالد الذي سجّله التاريخ يكون قد قدّم خدمة جليّة للقرآن الكريم وبيانه وإعجازه بصفة خاصة، وإلى البلاغة العربية على وجه العموم بتلك الإشارات واللّفتات إلى مباحث البلاغة العربية كالاستعارة والمجاز والإيجاز، وقد كانت دراسته مبنية على حسن الفهم وقوة الإدراك، فكانت بمثابة المفتاح لكثير من الدراسات التي أتت بعده في مضمار البلاغة والنقد.⁽²⁾

3- الواسطي (ت 306هـ):

ألّف العالم المعتزلي "أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي" كتاباً في الإعجاز القرآني يحمل اسم "إعجاز القرآن"، والذي يقوم على فكرة النظم، والكتاب سقط من يد القدر، فلم يحفظه التاريخ، ولم أجد من تكلم عن فكرة المؤلف بالتفصيل، ويقال أنّ "عبد القاهر الجرجاني" شرح مؤلّف "الواسطي" شرحين، أحدهما كبير وسمّاه "المقتضب"، والآخر "الصغير"، فاهتمام "عبد القاهر الجرجاني" بهذا الكتاب يعكس مدى أهميته ويمكن أن يكون قد تأثر به في كتابيه "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة".⁽³⁾

1- ينظر: حجج النبوة ضمن رسائل الجاحظ، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي -القاهرة-، (دط)، 1964م، ج: 03، ص: 270، 280، الإعجاز في دراسات السابقين -دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها-، عبد الكريم الخطيب، ص: 157، 162.

2- ينظر: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، حفي محمد شرف، ص: 27.

3- ينظر: التعبير الفني في القرآن، بكرى شيخ أمين، دار الشروق -بيروت-، ط3، 1979م، ص: 164.

وذكره "مصطفى صادق الرافعي" فقال: «كثير من المتوسمين بالأدب يظنون أنّ "عبد القاهر الجرجاني" صاحب كتاب "دلائل الإعجاز" المتوفى سنة (471هـ) أول من صنف فيه ووضع من أجله كتابه المعروف، وذلك وهم، فإنّ أول من جوّد الكلام في هذا المذهب وصنف فيه، "أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت 306هـ)"، ثمّ "أبو عيسى الرماني (382هـ)"، ثمّ "عبد القاهر القاهر الجرجاني"». (1)

4- الرّماني (ت 382هـ):

ومن ألف في موضوع "الإعجاز" في القرن الرابع نجد "أبو الحسن علي بن الحسن الرّماني المعتزلي"، وقد ذكر "مصطفى صادق الرافعي" أنّ كتاب "الرّماني" يقع في المرتبة الثالثة من الكتب التي تناولت قضية الإعجاز الأسلوبي البياني في القرآن الكريم، إذ قال: «ثمّ وضع أبو عيسى الرّماني المتوفى سنة 382 كتابه في الإعجاز، فرفع بذلك درجة ثالثة». (2)

وقد سمى "الرّماني" مؤلّفه في الإعجاز "النكت في إعجاز القرآن"، وهو كتاب مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، وقد صاغ كتابه في صورة جواب عن سؤال وجّه إليه، والذي يتمحور حول ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج، وتتلخص هذه النكت في سبع جهات وهي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة، التحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة، (3) وفيما يلي شرح مفصل لكل وجه من وجوه الإعجاز: (4)

- 1- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي مصطفى صادق، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية - بيروت - (دط)، 2003م، ص: 124.
- 2- المصدر نفسه، ص: 127-128.
- 3- ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص: 01.
- 4- إعجاز القرآن، فضل حسن عباس، منشورات جامعة القدس المفتوحة - الأردن -، ط2، 1997م، ص: 59-

1-ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة: ومعنى ذلك أنّ العرب تركوا معارضة القرآن مع أنّ دواعيهم كانت متوفرة، وكانت حاجتهم لهذه المعارضة شديدة قوية، بيان ذلك أنّ العرب كان لهم حظ وافر ونصيب واف من القول، ولقد كانت البلاغة طبعا فيهم والفصاحة سليقة لهم، وأعطوا من ذلك ما لم تعطه أمة من الأمم، أما شدة الحاجة ؛ فلأنّ القرآن سقّه أحلامهم، وقوّض عبادتهم وكثيرا من عاداتهم، ولم يبق لهم منفذا يخرجون منه، ومع ذلك فلم يعارضوه.

2-التحدي للكافة : وذلك أنّ القرآن الكريم قد تحداهم في غير موضع، ولكنهم جنبوا عن منازلته وقعدوا عن مصاولته ومجاولته.

3-الصرفة: ومعناه أنّ همم العرب قد انصرفت عن معارضة القرآن، لا لعجز فيهم هم، ولكن لأمر خارج عنهم.

4-البلاغة.

5-الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية: وذلك لأنّ ما أخبر عنه القرآن وقع وتحقق وهذا من عند علامّ الغيوب، قال الله تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم:01).

6-نقض العادة: ومعنى ذلك أنّ القرآن الكريم جاء على وضع لم يألفه العرب، فلقد عرف العرب الشعر والسجع والخطب والرسائل والمنشور الذي يدور بين الناس، ولكنّ الشكل الذي جاء عليه القرآن الكريم يختلف عن ذلك كله، فنقض العادة قضية تتعلق بالشكل والقالب، فمعاني القرآن وضعت في قالب من اللفظ والنظم، لم يألفها العرب ولم يعرفوها من قبل لأنّها ليست شعرا ولا نثرا.

7-قياسه بكل معجزة: إنّ معجزات الأنبياء -عليهم السلام - كفلق البحر، وقلب العصا حيّة، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، كانت من الأمور الخارقة للعادة المعجزة للناس وكذلك شأن القرآن الكريم.

ومع أنّ "الرّماني" رتب وجوه الإعجاز بالصورة الآنفه الذكر، إلاّ أنّه عدل عن منهجه وبدأ حديثه عن البلاغة، متناسيا الوجوه الثلاث الأولى، ليدلل على اهتمامه بشأن البلاغة، وأهميتها عنده.⁽¹⁾

ولعل ما يؤكد ذلك أنّ "الرّماني" قد أفاض الحديث عن هذا الوجه من الإعجاز، ونالت "البلاغة" من تلك الوجوه الحصة الأسد من الشرح والتفسير؛ حيث قسمها إلى ثلاث طبقات: «منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلادة البلغاء من الناس».⁽²⁾

فالكلام البديع تختلف مراتبه، فمنه ما هو في أعلى طبقة وهو القرآن الكريم، وبلاغة البلغاء والحكماء في الوسائط بين أعلى طبقة وأدناها، وكلام عامة الناس يقع في الدرر السفلي من الطبقة.

ومضى "الرّماني" يعرّف البلاغة بأنّها: «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»⁽³⁾، ثم أخذ يوضّح أساليب وطرق تأدية المعنى في القرآن الكريم⁽⁴⁾، والتي تمثلت في أقسام البلاغة العشرة وهي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمنين، والمبالغة، وحسن البيان، فعدها جملة ثم شرع في تفصيل وبيان كل قسم منها على حدة.⁽⁵⁾

1- ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرّماني، ص:75.

2- المصدر نفسه، ص:75.

3- المصدر نفسه، ص:75-76.

4- ينظر: : إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، حفي محمد شرف، ص:38.

5- ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرّماني، ص:76، 109.

واستفاضة "الرّماني" في الحديث عن الوجه الرابع من أوجه الإعجاز (من الصفحة 75 إلى غاية الصفحة 109) يبرز نظرتَه في الإعجاز، فالوجه الأنسب والأمثل للإعجاز في القرآن الكريم من منظور "الرماني" هو بلاغته التي ارتقت عن كل مألوف معهود عند العرب، فهو في الذروة التي لا يرقى إليها كلام البشر.

والحقيقة أنّ "الرماني" كانت له نظرة متقدمة، فقد «أضف لبنات مهمة على درب البحث البلاغي، انضفت إلى جهود السابقين، فقد حدد بعض فنونها وشرحها شرحا وافيا شاملا»⁽¹⁾.

5- الخطابي (ت388هـ):

إنّ المطلّع على المصنفات التي ألفت في مجال "الإعجاز القرآني" يلفي أنّ العلماء قد تعددت واختلفت رؤيتهم حول سر الإعجاز في القرآن، "فمحمد بن إبراهيم الخطابي" «يرى أنّ سبب خلاف الناس في الرأي حول وجوه الإعجاز في القرآن لأنّ ذلك أمر متعذر في حقيقته، لأنّه ليس مما يواجه النظر، أو يقع في مجاله، وإنّما هو مما يستشعر بالقلب استشعارا، ويلمح بالبصيرة لحا. هذا هو سبب الخلاف بين الناظرين في إعجاز القرآن... اختلفوا في سلامة الأجهزة التي يتعاطون بها النظر إلى القرآن، فاختلفت معطيات القرآن لهم، وبهذا اختلفت مقولاتهم فيه»⁽²⁾.

وهذا الرأي الذي أشار إليه "عبد الكريم الخطيب" قد تضمنته مقولة "الخطابي" التي بدأ بها رسالته، والتي قال فيها: موضوع الإعجاز «قد أكثر الناس الكلام فيه قديما

1- إعجاز القرآن البياني وأثره في نشأة الدرس البلاغي -دراسة تطورية-، عمر بوقمرة، مجلة تاريخ العلوم(الجلفة)، ديسمبر 2017م، العدد 10، ص: 72-73.

2- الإعجاز في دراسات السابقين -دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها-، عبد الكريم الخطيب، ص: 182.

وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدوروا عن ريّ، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كلفيته». (1)

فاختلاف العلماء حول مكن الإعجاز في القرآن الكريم مرده إلى أنّ أمر الإعجاز لا يخضع لمقاييس وقوانين وأجهزة حتى تتفق وجهات النظر حوله، وإّما هو مما يستشعر بالقلب والذوق، ويلمح بالبصيرة، هذا ما أدى إلى تعدد وجوه الإعجاز.

أما الإعجاز فهو موجود في القرآن الكريم، يقول "الخطابي": «... والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج إلى أن ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر، من لدن عصر نزوله إلى الزمن الراهن الذي نحن فيه، وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه وانقطعوا دونه. وقد بقي - صلى الله عليه وسلم - يطالبهم به مدة عشرين سنة، مظهراً لهم النكير، زارياً على أديانهم، مسقّماً آراءهم وأحلامهم، حتى نابذوه وناصبوه الحرب فهلكت فيه النفوس، وأريققت المهج، وقطعت الأرحام، وذهبت الأموال». (2)

وقد أخذ "الخطابي" العلماء الذين «جرو في تسليم صفة "البلاغة" للقرآن الكريم على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له وإحاطة العلم به، ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا إنّهم لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام، وإّما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده، وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذي يقع منه التفاضل فتقع في

1- بيان إعجاز القرآن، كتاب مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف-مصر-، ط3، (دت)، ص: 21.

2- المصدر نفسه، ص: 21.

نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك، ويتميز في أفهامهم قبيل الفاضل من المفضول منه»⁽¹⁾.

ويتلخص الرأي الذي ارتضاه "الخطابي" ليكون وجهاً للإعجاز في القرآن الكريم، والذي تعجز عنه قوى البشر في قوله: «واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته؛ من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيئاً أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثّلات الله بمن عصى وعائد منهم، منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الباقية من الزمان...»⁽²⁾.

فإعجاز القرآن الكريم وفق رؤية "الخطابي" يرجع إلى حسن انتقاء ألفاظه وطريقة نظمه العجيب، وكيفية تأديته للمعاني بأساليب أبهرت فرسان الكلام وأرباب الفصاحة والبيان.

وفي موضع آخر من مواضع الرسالة بيّن "الخطابي" صنيع سحر ألفاظ القرآن الكريم بالقلوب وتأثيرها في النفوس من خلال استدلاله بشواهد تبرهن ذلك كقصة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي أقبل يريد اغتيال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسمع آيات بيّنات من سورة طه فلم يلبث حين وقعت في مسامعه أن آمن ودخل في دين محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقصة عتبة بن ربيعة حينما أرسلته قريش إلى محمد -صلى الله

1- بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص: 24-25.

2- المصدر نفسه، ص: 27.

عليه وسلم- ليتفاوض معه على أمور عيّنوها له، فقرأ عليه المصطفى -صلى الله عليه وسلم- آيات من سورة السجدة فتأثر بها أيّما تأثر. (1)

وقد علّق "عبد الكريم الخطيب" على كلام "الخطابي" حول "الإعجاز التأثري النفسي للقرآن" فقال: « وهذا الوجه من وجوه الإعجاز هو- فيما نرى- المعجزة القائمة في القرآن أبدا، الحاضرة في كل حين، وهي التي تسع الناس جميعا، عالمهم وجاهلهم، عريّهم وأعجميّهم، إنسهم وجنّهم، أما الوجوه الأخرى التي عرضها- الخطابي- لإعجاز القرآن فهي وجوه لا تظهر لكل ناظر، ولا تتجلى في كل حين، ولكن الوجه الذي لا يخفى على أحد، والذي يصحب القرآن دائما حيث كان، ومع من كان، هو هذه الروعة التي تطلع منه القلوب، وتلك السيطرة التي تملك النفوس، وهذه الروحانية التي تلبس الكيان الإنساني كله، وتستولي على كل خالجة منه». (2)

و"الخطابي" بجهوده هاته قد مشى خطوات متميزة بالإعجاز القرآني، فقد أبان عن وجوه الإعجاز جميعا وفصّل القول فيها، ثم إنّه وضّح الوجه الشامل لإعجاز القرآن من بين الوجوه التي أوردتها، وأضاف وجها آخر للإعجاز الذي انفرد به، وهو تأثير القرآن في النفس الإنسانية سواء أكانت مؤمنة أم كافرة، وهو ما يسمى بالإعجاز النفسي.

1- ينظر: بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص: 70-71.

2- الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، ص: 193.

6- الباقلاني (ت407هـ):

هو "القاضي أبو بكر الباقلاني"، ألف كتابا مشهورا أسماه "إعجاز القرآن"، والذي تضمن أهم أفكاره حول الإعجاز في القرآن، وإسهاماته في البحث البلاغي، والمتفحص في الفصل الذي عقده "الباقلاني" في "جملة وجوه الإعجاز" يجد أنه قد حصر وجوه الإعجاز في ثلاثة أمور أساسية وهي: (1)

أحدها: الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه. فمن ذلك ما وعد الله تعالى به نبيه -عليه السلام- أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف:09) ففعل ذلك.

وثانيها: أنه كان معلوما من حال النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان أميا لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين، وأفاصيصهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق آدم عليه السلام إلى حين مبعثه.

وثالثها: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه.

فهذه الوجوه الثلاثة التي أوردها "الباقلاني" ليس هو من ابتكرها أو أطلقها، وأقام الشواهد لها، ونصب الأدلة إليها، وإنما حكى أقوال من سبقه من العلماء في هذا المجال، ومع ذلك لم يمنع هذا من إضفاء بصمته. (2)

1- إعجاز القرآن، الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف-مصر-ط3، (دت)، ص:33، 35.

2- ينظر: إعجاز القرآن في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، ص:204.

فقد سلك "الباقلاني" طريق "الرماني" في إغفاله للوجهين الأولين اللذين ساقهما في باب الإعجاز، ووجهه عنايته إلى الوجه الثالث (الإعجاز بالنظم)، فأخذ يكشف عما فيه من آيات الإعجاز يمكن الإشارة إليها بشكل وجيز، والتي تتجلى فيما يلي:⁽¹⁾

1- منها ما يرجع إلى الجملة القرآنية.

2- منها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البراعة، وإن وجدت هذه الخصائص فهي تكاد أن تكون معدودة، فتنسب إلى حكيمهم كلمات وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها من التكلف والتجوز والتعسف.

3- وهو أن عجيب نظم القرآن، وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين، فهو على حد واحد في حسن النظم، لا انحطاط فيه عن المنزلة العليا، ولا إسفاه فيه إلى الرتبة الدنيا، وفي مقابل ذلك نجد درجات ومراتب الجودة والشرف والحسن في النظم في كلام الشعراء والخطباء والحكماء تتفاوت بحسب الأحوال التي يتصرف فيها، فقد يكون الشاعر مفلقا في المدح دون الهجو، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح، ومنهم من يجود في التأيين دون التقريظ، ومنهم من تجده يجود في الرجز، ومنهم من لا يمكنه نظم القصيد أصلا.

4- وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل، والعلو والنزول، والتقريب والتباعد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، أما في القرآن الكريم فإنه على اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الأحاد، وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة، ويتجاوز العرف.

1- ينظر: إعجاز القرآن، الباقلاني، ص: 35، 46.

5- إنَّ نظم القرآن العظيم قد وقع موقعا في البلاغة وبالتالى يخرج عنه عادة كلام الجن والإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا، وهذا مصداقا لقوله عز وجل: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88).

6- المتدبر لكلام الله جلّ في علاه يجد أنّ ألفاظه سهلة ومعانيه واضحة لا يكتنفها غموض ولا يعوزها إشكال، فهو خارج عن الألفاظ المعقدة التي تحتاج إلى جهد ووقت لإدراك معناها، وعن المستكره والوحشي من الألفاظ، وبعيد عن المستغلق المتكلف من المعاني، وإتّما كان ذلك ليكون قريبا إلى الأفهام يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول.

7- وهو أنّ الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف حروف الجملة، وهو أربعة عشر حرفا، ليدل المذكور على غيره، وليعرفوا أنّ هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم.

8- وهو أنّ الذي ينقسم عليه الخطاب، من البسط والاقتصار، والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح، والتجوز والتحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجودة في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة.

9- وهو أنّ الكلام يتبيّن فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر من الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الأسماع، وتتشوق إليها النفوس، ويرى وجه رونقها باديا غامرا سائرا يقرن به كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد.

10- وهو أنّ المعاني التي يتضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحددين على تلك الألفاظ البديعة، ومواقف بعضها بعضاً في اللطف والبراعة مما يتعذر عليه البشر ويمتنع.

فهذه هي الدرر التي أجلاها "الباقلاني" في مؤلفه ذي السمة الإعجازية، كانت تحوم حول ألفاظ ومعاني، فالإعجاز النظمي أو البلاغي في القرآن الكريم جمع بين أفصح الألفاظ منتقياً أحسن نظوم التأليف التي تعبر عن المعاني على أكمل وجه لا ينتابها نقص أو غموض، فهو بديع في نظمه، عجيب في تأليفه أعبي البلغاء ببلاغته، وأعجز الحكماء بحكمته، وأحرص الخطباء بفصاحته، فوقفوا مكتوفي الأيدي، وقصرت قواهم فما استطاعوا الإتيان بمثله.

وعلى ضوء ما سبق ذكره حول رأي "الباقلاني" في الإعجاز يتبين أنّه يتفق مع "الخطابي" و"الرماني" في فكرة الإعجاز البلاغي البياني إلا أنّ "الباقلاني" بسط القول فيه مبرزاً أسراره ومستخرجاً دقائقه ومظهرها محاسنه، وهم أوجزوا في بيان ذلك والإفاضة فيه، ووقفوا عند قولهم بإعجاز القرآن لبلاغته ونظمه العجيب من غير توضيح لهذا العجيب، ولا ذاك التّظم ولا تلك البلاغة.⁽¹⁾

وبذلك يكون "الباقلاني" قد طوّر فكرة الإعجاز بطرحه لخصائص النظم القرآني التي تميّز بها عن كلام البشر من خلال تلك الموازنة والمفاضلة بين كلام الله والوجود الأخرى من الكلام، مؤكداً في ذلك على اتساق وانسجام الخطاب القرآني واحتلال الخطاب الشعري مهما بلغت مرتبته.

7- القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت 415هـ):

هو قاضي القضاة "عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني" البحر المتكلم المعتزلي، عمّر دهرًا طويلاً قارب المئة، وفتة المنية سنة (415 هـ)، وله تصانيف

1- ينظر: الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة -، ط1، 1978م، ص: 34.

عديدة لم يصل إلينا أغلبها من أشهرها وأهمها كتاب "المغني في أبواب العدل والتوحيد"، والذي يقع في حدود ستة عشر جزءا في عشر مجلدات.⁽¹⁾

وقد خصص "القاضي عبد الجبار" الجزء السادس عشر من كتابه "المغني في أبواب العدل والتوحيد" للحديث عن إعجاز القرآن، وقبل خوضه في بيان نظريته في الإعجاز وقف "القاضي عبد الجبار" عند الآراء التي قيلت في الإعجاز مفندا إيّاها:

-الرأي الأول: القائل باختصاص القرآن الكريم بنظم مباين لما هو معهود عند العرب. "فالقاضي عبد الجبار" لا يستسيغ أن يكون الأسلوب الذي جاء عليه نظم القرآن وجها من وجوه الإعجاز؛ حيث يرى «أنّ السبق إلى الشيء والمجيء به على غير مثال يعرفه الناس لا يعد معجزة، ولا يدخل في باب الإعجاز، لأنّه وإن كان جديدا على الناس، خارجا على مألوفهم، إلاّ أنّه واقع تحت قدرتهم، وأنّه لا يلبث طويلا حتى يكون للناس مشاركة فيه، بل وفي إكمال ما فيه من نقص، وإقامة ما فيه من عوج، وذلك شأن جميع "المخترعات" التي تولد في أوّل أمرها على يد إنسان من الناس ثم لا يزال الناس يتعهدونها بالتحوير والتبديل، والزيادة والنقص حتى يقيموها على الوجه السليم لها، وكذلك الشأن في جميع النظريات العلمية والمذهبية».⁽²⁾

-الرأي الثاني: أنّ الإخبار بالأمر الغيبية يعد وجها من وجوه الإعجاز.

لا يؤمن "القاضي عبد الجبار" «بهذا الوجه البارز ولا يعتد به، وحقته في هذا أنّ القرآن قد تحدى العرب أن يأتوا بأية سورة من مثله، من غير تخصيص، وليس الإخبار بالغيوب واقعا في كل سورة، ولأنّ القرآن تحدى بجملة لا ببعضه، فكيف يصرف التحدي إلى ما يتضمن ذلك، دون ما يتضمن الحلال والحرام؟».⁽³⁾

1- مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - دار المدني - مصر - جدة، (دط)، (دت)، ص: 88

2- الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، ص: 238.

3- المصدر نفسه، ص: 238.

-الرأي الثالث: إنّ القرآن الكريم معجز من حيث هو حكاية للكلام القديم

أو لأنّه في نفسه قديم.

كما أبطل "القاضي عبد الجبار" هذا الوجه من وجوه الإعجاز أيضاً، ودليله في هذا «أنّ القرآن إذا كان قديماً فهو تعالى غير قادر على مثله؛ فكيف يصح أن يتحدى به؟ لأنّ التحدي يقتضي أنّ مثل المتأّتي متعذر عليهم؛ فإذا كان متعذراً على الجميع بطل التحدي؛ كما إذا كان متأّتياً لكل بطل التحدي؛ ولو جاز التحدي بكلام قديم وكان حاله ما ذكرناه لوجب جواز التحدي بذات القديم تعالى، ولو جاز لجاز التحدي بكل أمر مستحيل إيقاعه، حتى كان يصح التحدي بالجمع بين الضدين، وجعل القديم محدثاً، والمحدث قديماً، إلى غير ذلك من الأمور المستحيلة...»⁽¹⁾.

فإذا نفى "القاضي عبد الجبار" رأي الجاحظ والآخريين الذين يعتقدون أنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه وأسلوبه الذي أتى على شاكلة مخالفة لما اعتاد عليه العرب، ورأي من جعل محل إعجازه في الأخبار الغيبية التي حواها كلامه الكريم، أو أنّه معجز من حيث هو حكاية للكلام القديم أو لأنّه في نفسه قديم، فكل هذه الوجوه -عند القاضي عبد الجبار- ليست مناط الإعجاز والتحدي، فما الوجه عنده في الإعجاز القرآني؟.

إنّ "القاضي عبد الجبار" قد «ركز على أهمية الفصاحة في الإعجاز ولا يتصور الإعجاز إلّا بالفصاحة، والفصاحة عنده لا تتوقف عند حدود النّظم ولا علاقة لها بالشكل والقالب، من حيث كونه الكلام شعراً أو نثراً مسجوعاً، فالنّظم عامل في الفصاحة له أثره الواضح ولكنّه ليس العامل الوحيد، ولا بد في الفصاحة من تكامل حسن المعنى وجزالة

1- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تقويم: أمين الخولي، (دم)، (دط)، (دت)، ج: 16، ص: 318-319.

اللفظ، ومتى تحقق هذا الشرط في الكلام كان فصيحاً، سواء أكان شعراً أم نثراً، وكلمما زادت معالم هذا التوافق في اللفظ والمعنى اتضحت الفصاحة وبرزت في الكلام»⁽¹⁾.
وعلى هذا فالإعجاز عند "القاضي عبد الجبار" يتلخص في عنصر الفصاحة، والتي قيدها بأمرين هما: الجزالة في اللفظ والحسن في المعنى، ولا شك أنّ القرآن الكريم قد بلغ المرتبة العليا من الفصاحة لدرجة أنّ الإتيان بنظير له متعذر على الآخرين، بل هو غير ممكن.

وبهذا يكون "القاضي عبد الجبار" قد نظر من زاوية مغايرة للإعجاز لتلك التي نظر إليها سابقوه، فليست روعة النظم وجمال الأسلوب، والدقة في التعبير عن المعاني هو كل ما يميز المعجزة القرآنية عنده، وإنما الذي يعنيه «إثبات الإعجاز عن طريق الفصاحة، وطريقها واضح وهو جزالة اللفظ وحسن المعنى، وهذا المعيار لا نملك إلاّ نشيد بدقته، لأنّه معيار موضوعي، يقيم أمر الإعجاز على معايير موضوعية لا تتصور الفصاحة إلاّ بها، وليس أدل على الإعجاز من تلاقي (لفظ) بلغ ذروة في الجزالة والقوة (معنى) بلغ القمة في جودة المعنى ودقته وسلامته، وهنا تبرز تساؤلات حول أهمية المعايير البلاغية ويقف القاضي عبد الجبار أمام هذه المعايير وقفة موضوعية فلا يعتبرها من الإعجاز ما لم تتحقق الشروط الموضوعية المتمثلة في جزالة اللفظ وحسن المعنى، فالصورة البديعة ليست كافية وحدها لإثبات الإعجاز ما لم تكن معبرة عن المعايير الموضوعية للفصاحة»⁽²⁾.

والفصاحة عند "القاضي عبد الجبار" «لا تظهر في أفراد الكلم، وإنما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة»⁽³⁾.

1- المدخل إلى علوم القرآن، محمد فاروق النبهان، دار عالم - سوريا، ط1، 2005م، ص: 239.

2- المرجع نفسه، ص : 239-240.

3- المغني في أبواب العدل والتوحيد، القاضي عبد الجبار، ج: 16، ص: 199.

فبلاغة الكلام عند "القاضي عبد الجبار" تتحدد في عنصر الفصاحة، والتي لا تأتي وصفا للفظ المفرد، وإنما يقع عليها هذا الوصف إذا انضمت مع جارئاتها، والتي عبّر عنها بكلمة "الضم"، وبهذا "فالقاضي عبد الجبار" « ينظر إلى الكلمة نظرتين باعتبارين مختلفين: نظرة في حال أفرادها، ونظرة أخرى في حال نظمها مع غيرها من الكلام، وهي في كلا الحالين تدور في مجالات ثلاثة: اختيار الكلمة في ذاتها ووضعها في اللغة، ثم اختيار المهمة التي تؤديها في سياق الكلمات وتركيب الجملة التي ترتبط بها، ثم اختيار وضعها في المكان المناسب لها لتقوم فيه بأداء مهمتها، فبحسب هذه الخطوات والتفاضل فيها يتفاضل ما يصح منهم من رتب الكلام الفصيح»⁽¹⁾.

فمزية الكلام عند "القاضي عبد الجبار" في نظم الألفاظ وضمها انطلاقاً من اختيار الكلمات المناسبة التي يقتضيها سياق التخاطب، ثم إنزال هذه الألفاظ مكانها المناسب في التركيب لتأدية المعنى المراد فلا يكرهها على اغتصاب الأماكن، فبذلك تقع المفاضلة بين مختلف أجناس الكلام.

و"القاضي عبد الجبار" « بهذا التمهيد كان الهادي لعبد القاهر الجرجاني، وتلك البداية كانت المنارة التي اهتدى بها الإمام عبد القاهر الجرجاني، وأخذ منها فكرة النظم التي تقوم على معاني النحو، وقد كان عبد الجبار في استطاعته متابعة فكرته تلك حتى تظهر بالصورة التي ظهرت عند عبد القاهر الجرجاني أو تكاد، لولا أنّه شغل بقضايا مذهبه الكلامي التي كرس جهده وحياته لها»⁽²⁾.

ففي هذه البيئة التي اشتعلت فيها نار الجدل بين علماء الكلام (المعتزلة والأشاعرة) حول معرفة وتبيان حقيقة وجه الإعجاز الذي جاء به القرآن الكريم ظهر "عبد القاهر

1- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي (دم)، (دط)، (دت)، ص: 471.

2- المصدر نفسه، ص: 484.

الجرجاني " في تلك الحقبة الزمنية، وتأثر بذلك الوضع الذي كان سائداً، فقد توالفت تفاسير العلماء لوجوه الإعجاز، وتعددت أقوالهم، فمنهم من قال: إنَّ سبب الإعجاز هو أنَّ الله تعالى صرف همم العرب وغيرهم على أن يأتيوا بمثل القرآن الكريم، ومنهم من قال: إنَّ سبب الإعجاز هو الإخبار بالأمر الغيبية، ومنهم من اتخذ ما حواه القرآن العظيم من بلاغة ساحرة وأسلوب فريد لما هو معهود عند العرب وجهاً للإعجاز.

ومنهم من يرى أنَّ سبب الإعجاز هو الحديث عن التاريخ القديم، والرسول عليه الصلاة والسلام أمي لا يقرأ ولا يكتب، ثم أتى بجملة ما وقع، وما حدث من عظيماة الأمور من حين خلق آدم عليه السلام إلى حين مبعثه.

فبين من يغلب وجهها على آخر، يأتي "عبد القاهر الجرجاني" لتهدئة الوضع، ومحاولة حسم هذا الجدل القائم حول كتاب الله بتأليفه كتابين: الأول سماه "الرسالة الشافية"، والثاني "دلائل الإعجاز" لتقرير حقيقة الإعجاز.

ولكي يتوصل إلى بيان رؤيته في مسألة الإعجاز ردَّ كثيراً من الآراء والأبجهاة التي قيلت في هذا الشأن، وهي كالأتي:⁽¹⁾

- ليس الإعجاز في الاستعارة وغيرها من ضروب البيان لأنها ليست موجودة في كل آيات الذكر الحكيم.

- أنكر "عبد القاهر الجرجاني" أن يكون الوصف المميز للقرآن الكريم، والذي أعجز العرب على أن يأتيوا بمثله محصوراً في خفة الحروف وسهولتها على اللسان.

1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 248، 249، 250، 251، 300، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة - سوريا، ط2، 1980م، ص: 87-88.

-نفى "عبد القاهر الجرجاني" أن يكون الإعجاز في الفواصل والمقاطع القرآنية، إذ ليس ذلك بأصعب من مراعاة الوزن والقافية، فقد علم براعتهم واقتدارهم على مثل ذلك.

-ليس مرد الإعجاز عند "عبد القاهر الجرجاني" إلى الكلمات المفردة أو إلى معاني الكلمات المفردة، وإنما هو باجتماعها والتحام بعضها مع بعض منظومة .

- لا يجوز أن يكون مناط الإعجاز في الموازنة بين كلمات كلام ما وكلمات القرآن الكريم من حيث ترتيب حركاته وسكناته، لأن ذلك يؤدي إلى أن مسيلمة قد قلّد القرآن في قوله: (إنّ أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر) وقوله: (والطاحنات طحنا).

- شنع "عبد القاهر الجرجاني" على القائلين بالصرفة ونقض رأيهم في الإعجاز.

-ليس الإعجاز في تلاؤم الألفاظ سواء أكانت الألفاظ مفردة أم مركبة، فإنّما موجودة كذلك في كثير من كلام العرب، وإنما هو في حسن النظم، وهو يرى النظم قائما على مراعاة التلاؤم بين معاني الكلمات المفردة تلاؤما يساعد على أداء المعنى المقصود بجمال وقوة، ويتم نظم هذه المعاني نظما متلائما بالاستعانة بعلم النحو في معناه الواسع في مفهوم "عبد القاهر الجرجاني"، وهو يشمل علمي النحو والبلاغة.

ت-رؤية "عبد القاهر الجرجاني" حول الإعجاز:

قد أشرنا سابقا إلى أنّ نظرة علماء الإعجاز قبل "عبد القاهر الجرجاني" قد تعددت واختلفت من عالم إلى آخر حول وجه الذي يكون به القرآن معجزا، أما رؤية "عبد القاهر الجرجاني" «قد ارتكزت في القرآن ذاته حيث لا يرى رأيا أحكم ولا مذهبا أسلم من كون إعجاز القرآن الكريم في نظمه، وامتانة نسجه، وقوة أسلوبه، وروعة بيانه. وقد عارض "عبد القاهر الجرجاني" فكرة الإعجاز بالصرفة التي ارتأها بعض المتقدمين

عليه، والتي ركزت على كون الإعجاز في شيء خارج القرآن لا في ذاته معارضة شديدة»⁽¹⁾.

فبالنظم يكون الإعجاز في القرآن الكريم ويكون التحدي، وهو مصدره، يقول "عبد القاهر الجرجاني": «فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه، لم يبق إلا أن يكون في النظم...»⁽²⁾.

ومن الشواهد التي تبرهن صحة ما ذهب إليه في الإعجاز بالنظم تعليقه على الآية الرابعة والأربعين من سورة هود، إذ يقول: «وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود:44)، فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، حتى إلى أن تستقرها إلى آخرها، وأن الفضل نتائج ما بينها، وحصل من مجموعها؟»⁽³⁾.

فالقرآن الكريم هو أعظم معجزة تحدى الله بها كفار قريش وهم أهل اللغة والفصاحة والبيان، وقد ورد في كتاب الله تبارك وتعالى أكبر تحد لهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:88)، ثم تحداهم للمرة الثانية أن يأتوا بعشر سور من مثله بعد أن عجزوا أن يأتوا بمثل القرآن كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ

1- رؤية الإمام عبد القاهر الجرجاني ومنهجه في دراسة الإعجاز القرآني، علي يحي نصر عبد الرحيم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور (القاهرة)، 2020م، العدد05، الجزء13، ص:725.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص:251.

3- المصدر نفسه، ص:39.

اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ (هود:13)، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله كما في قوله جل في علاه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:23-24).

فكل هذه الآيات التي نزلت في التحدي، لكنهم لم يستجيبوا لذلك النداء على الرغم من أن كفار قريش قد اشتهروا بالفصاحة والبلاغة، يقول "عبد القاهر الجرجاني": «وإذا ثبت أنهم الأصل والقدوة، فإن علمهم العلم؛ فبنا أن ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحذوا إليه، وملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله ومن التفرغ بالعجز عنه، وبت الحكم بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدرون عليه، وإذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكوا في عجزهم عن معارضته والإتيان بمثله، ولم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه...»⁽¹⁾.

فعجز العرب عن الإتيان بمثل ما برعوا فيه يقود إلى الإقرار والاعتراف بحقيقة ثابتة لا جدال فيها وهي أن القرآن الكريم معجز، يقول "عبد القاهر الجرجاني": «فإذا رأينا الأحوال والأقوال فمنهم قد شهدت كالذي بان باستسلامهم للعجز علمهم بالعظيم من الفضل والبائن من المزية، الذي إذا قيس إلى ما يستطيعونه ويقدرون عليه في ضروب النظم وأنواع التصرف فاته الفوت الذي ينال، وارتقى إلى حيث لا تطمع إليه الآمال؛ فقد وجب القطع بأنه معجز»⁽²⁾.

فإذا كان أمر الإعجاز واقع وموجود، فهذا يقودنا إلى التساؤل: فيما عجز العرب وهم أهل فصاحة أن يأتوا بمثل القرآن. أو بمعنى آخر ماهي الخصائص والمميزات التي انفرد بها القرآن؟

1- الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف-مصر، ط3، (دت)، ص: 118-119.

2- المصدر نفسه، ص: 126.

وهاهو "عبد القاهر الجرجاني" في الفصول الأولى من كتابه ييادر خصومه بالسؤال فيقول: «ف قيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم، عمّا ذا عجزوا؟ أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم: عن الألفاظ، فماذا أعجزهم من اللفظ، أم ما بهرهم منه». (1)

وقد أجاب "عبد القاهر الجرجاني" عن هذا السؤال، وهو أنّ الذي أعجز القوم في القرآن الكريم إنّما هي: «مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم في مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبية، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان، وبهرهم أنّهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتّساقا بھر العقول، وأعجز الجمهور...». (2)

ث-النظم عند "عبد القاهر الجرجاني":

ما يلاحظه الباحث في الإعجاز القرآني هو تواتر مصطلح "النظم" منذ بداية الحديث عن موضوع الإعجاز؛ أي من بداية القرن الثالث هجري إلى نهاية القرن الخامس؛ فاتّخذ "الجاحظ (ت255هـ)" و"الواسطي (ت306هـ)" عنوانا لمؤلفهما "نظم القرآن"، واستعمله مؤلفوا الإعجاز بمعناه العام، وهذا ما لاحظته "أحمد مطلوب" حيث قال: «وفي كتب الإعجاز التي وصلت حديث عن النّظم، ولكن لا يجلو الصورة ولا يوضح الهدف وإنّما هو ومضات في الطريق سار عليها البلاغيون». (3)

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص:36.

2- المصدر نفسه ص:36

3- أساليب بلاغية الفصاحة - البلاغة - المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات - الكويت، -، ط1، (دت)، ص: 70.

كما صرّح بذلك أيضا "حمادي صمود"، إذ قال: «قد تعرض المهتمون بإعجاز القرآن قبل عبد القاهر الجرجاني للمصطلح (النّظم) في صورة جملة، ولم يعطوه مضمونا مضبوطا ملموسا، ولم يحلّوه تحليلا لغويا يكشف عن طاقات اللّغة، وما توفره للمستعمل من إمكانيات التركيب والتأليف. ومحاولات الوصف والتعريف التي قد يصادفها الباحث في مؤلفاتهم لا تخرج عن أحد أمرين: فهي إما تفسير بالترادف يقتزن بموجبه لفظ (النظم) بألفاظ قريبة من معناه كالضم والتركيب والترتيب، وهذه الطريقة تساعد على فهم مجمل المعنى ولكنها لا تشير إلى محتوى معلوم، وإما تفسير من زاوية ضيقة يضعف ثراء المصطلح ويجدد مجاله»⁽¹⁾.

وهكذا ظل مصطلح "النّظم" يعوزه الغموض في تفسير الإعجاز حتى جاء "عبد القاهر الجرجاني" «فأبرز غوامضه، وجمع نواحيه، وفسّره على طريقة لغوية قام فيما بعد نظرية مطبقة استفاد منه من جاءوا بعده، فأصبحوا يلتمسون إعجاز القرآن الكريم الذي لم يكن القدماء يفسرونه إلاّ بالذوق على ضوء علمي عبد القاهر الجرجاني "البيان" و"المعاني" فأصبح منهج البحث عن الإعجاز منهجا تطبيقيا»⁽²⁾.

فإذا لم يكتمل مصطلح "النظم" على كونه نظرية واضحة قائمة بذاتها لها أسسها ومرتكزاتها ومعالمها إلاّ مع "عبد القاهر الجرجاني"، فما النظم الذي هو مناط الإعجاز عنده؟ وماهي أركانه؟ وبماذا يمتاز عما ذكر قبله؟

إنّ النّظم عند "عبد القاهر الجرجاني" ليس سوى ترتيب المعاني في النفس أولا، ثم تأتي الألفاظ مرتبة في النطق على وفق ترتيبها في النفس، مستوعبة تلك المعاني، مع مراعاة

1- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية (دم)، (دط)، 1981م، ص:494.

2- نظرية النظم وقضية الإعجاز في علم البلاغة، عثمان أنجوغوتياو، ص: 144.

مبدأ أساسي وهو "توخي معاني النحو" في عملية الربط والتعليق بين الكلم، باعتبار هذا الأخير (معاني النحو) الدعامة التي يقوم عليها هذا المصطلح.

وقد عرّفه في أكثر موضع من كتابه منها قوله: النظم « ليس شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم».⁽¹⁾

والمعاني النحوية عند "عبد القاهر الجرجاني" لا تعني الحركات الاعرابية التي تلحق أواخر الكلم فتحفظ اللسان من الخطأ، يقول "عبد القاهر الجرجاني" موضحاً بأنّه لا يقصد بالمعاني النحوية الاعراب: « ومن ها هنا لم يُجز، إذا عدّ الوجوه التي تظهر بها المزيّة، أن يُعدّ فيها الإعراب، وذلك أنّ العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلّهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه بالروية. فليس أحدهم، بأنّ إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب، والمضاف إليه الجر، بأعلم من غيره، ولا ذاك مما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن وقوة خاطر، إنّما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك، العلم بما يوجب الفاعلية للشيء».⁽²⁾

و"المعاني النحوية" هي: «المعاني الذهنية التي تتولد في فكر المتكلم عند نظم الجمل، تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها بالكلم، فتربطها ببعضها، كما يربط السلك الشفاف جبات العقد، بذلك يصبح الكلام نوعاً من الهديان في حالة فقدانها».⁽³⁾

فمن خلال القول السابق يمكن صياغة تعريف "للمعنى النحوي" وفق نظرة "عبد القاهر الجرجاني" على أنّه ذلك التفاعل الحاصل بين مدلولات الألفاظ على اختلاف صور التركيب، والذي ينشأ من تلك العلاقات النحوية.

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 344.

2- المصدر نفسه، ص: 253.

3- معاني النحو عند الجرجاني، حاشي سارة أحلام، مجلة قضايا معرفية (الجلفة)، جوان 2022م، العدد 02، المجلد 02، ص: 320.

ويرجع "عبد القاهر الجرجاني" صحة النظم أو فسادها أو وصف الكلام بالشرف والفضيلة فيما توخى الناظم أحكام النحو ومعانيه، وهذا ما أشرت إليه في الفصل السابق، وتوخي معاني النحو في النظم « هي عملية تحتاج من الناظم يمتلك الحس الأدبي، والذوق الفني إضافة إلى الخبرة الدقيقة في معاني النحو، والدربة في أوضاع اللّغة، وهذا يتخطى هدف البحث في الخطأ والصواب»⁽¹⁾، وهذا المعنى قد أشار إليه "عبد القاهر الجرجاني" في قوله: «...صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة ... ويستخرج بالروية».⁽²⁾

وجملة الأمر أنّ "عبد القاهر الجرجاني" قد أبدع فيما ذهب إليه في مجال التّظم؛ «فمعه انتهى - كما يرى بعض الباحثين - الصراع بغلبة أصول المنهج القرآني الذي يرى أنّ سبب إعجاز النص القرآني كامن في نظمه وطريقة بنائه».⁽³⁾

1- أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ابتسام أحمد حمدان، مجلة دراسات في اللّغة وآدابها (إيران-سوريا)، خريف 210م، العدد 03، ص: 23-24.
2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 43.
3- نظرية النظم وقضية الإعجاز في علم البلاغة، عثمان أبجوغوتياو، ص: 140.

ح-المقصدية الإجمالية في خطاب "عبد القاهر الجرجاني" (الرئيسية):

الحقيقة التي تتضح مما تقدم أنّ غاية "عبد القاهر الجرجاني" من تأليفه لكتابه "دلائل الإعجاز" ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسياق عصره، فالصراع الإيديولوجي بين الفرق الكلامية (المعتزلة والأشاعرة) الذي كان سائداً في عصره أثر على خطابه وجعله يركز على قضية الإعجاز في القرآن الكريم، واتّخذ «محوراً ضمناً يكتب وفقه، وهو بذلك يرسم ملامح العصر في خطاب نقدي توحي فيه أسلوب المناظرة والمحاجة»⁽¹⁾.

وعليه يمكن القول إنّ مقصدية خطاب "عبد القاهر الجرجاني" دينية محض، ومن الدلائل التي تبرهن هذا المنزع الديني ما نلاحظه من حديثه في ثنايا الكتاب من حديث عن الإعجاز وعلاقته بالنظم والفصاحة والبلاغة، ودفاعه عن الشعر، وردّ تهمة من زهد في روايته والاشتغال به، ودفاعه عن النحو، وذلك لارتباطهما بفهم معاني القرآن الكريم وإدراك إعجازه.

ولقد لخص "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه القيم "دلائل الإعجاز" رأيه في الإعجاز فقال: «فإذا ثبت الآن أن لا شكّ ولا مريّة في أن ليس "النظم" شيئاً غير توحي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أنّ طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن، إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنّها معدنه ومَعَانُهُ، وموضعه ومكانه، وأنّه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غارّ نفسه بالكاذب من الطمع، ومُسلّم لها إلى الخُدع، وأنّه إن أبي أن يكون فيها، كان قد أبي أن يكون القرآن معجزاً بنظمه، ولزمه أن يُثبت شيئاً آخر يكون معجزاً به، وأن يلحق بأصحاب "الصرفة" فيدفع الإعجاز من أصله...»⁽²⁾.

1- البلاغة والتداولية، حامدة تاقبيت، ص: 37.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص : 344.

ج-المقاصد الثانوية في خطاب "عبد القاهر الجرجاني":

1-الانتصار للمذهب الأشعري:

يؤمن "عبد القاهر الجرجاني" -كما رأينا- بفكرة تجعل الإعجاز في طريقة تأليف ونظم العبارة، و"عبد القاهر الجرجاني"- كما أوردت سابقا- أشعري المذهب، والأشعري «ذهب إلى أن السورة القصيرة المؤلفة من ثلاث آيات يتضح فيها الإعجاز. ومعنى هذا أن تنظيم العبارة موضع عناية الأشعري نفسه»⁽¹⁾. وإذا كان ذلك كذلك، «فإنّ الإعجاز على المذهب الأشعري ينبغي أن يستخرج من تعلق الجمل في هذه الآيات الثلاث، بصرف النظر عن الإعجاز في مضمونها المعنوي، فتلك مسألة أخرى، أي في الوصل والفصل بين هذه الجمل المتوالية، أو في البناء الداخلي لصور التعبير فيها»⁽²⁾.

ففكرة التعلق أو الترابط بين الكلمات التي نادى بها "عبد القاهر الجرجاني" في نظرية النظم قد استمدت من بيئة الأشاعرة، وهذا يعكس أهميتها ومكانتها عنده، ولذا دافع عنها، ودفاعه هذا يظهر انتصاره لمذهبه.

2-بيان بعض المصطلحات والفنون:

لاحظ "عبد القاهر الجرجاني" العلماء الذين فسروا الإعجاز في القرآن الكريم «بالفصاحة والبلاغة كالواسطي والقاضي عبد الجبار المعتزلي... إلخ، كان مرادهم من هذه المصطلحات خفيا غامضا كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء، وبعضه كان مجملا كالمقدمات التي لم توصل بالنتائج، وقد ضرب لهذا النوع "المجمل" أربعة أمثال مما يدل على شدة اهتمامه به، وأنّه كان الغالب على أقوال العلماء»⁽³⁾.

1- نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس -بيروت-، (دط)، (دت)، ص: 30.

2- بلاغة العطف في القرآن الكريم-دراسة أسلوبية-، عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية -بيروت-، (دط)، 1981م، ص: 24.

3- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 86.

ولذا فقد عقد فصلا في كتابه "دلائل الإعجاز" بعنوان "في تحقيق القول على الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك" لبيان مدلول هذه المصطلحات، فهو «يرى أنّ هذه المصطلحات لا معنى لها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرّجها في صورة هي أبهى وأزين وأنف وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظّ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تُطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتمّ له، وأحرى بأن يُكسبه نُبلا، ويُظهر فيه مزيّة». (1)

ومن هذا المنطلق يكون لمصطلح "الفصاحة" و"البلاغة" و"البراعة" «معنا واحد، وهو تأدية المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، مع اختيار اللفظ الحسن الدال عليه في صورة بارعة من التعبير الجيد الذي له تأثير في النفوس». (2)

وعلى هذا، فالبلاغة وما شاكل ذلك من مصطلحات تستعمل للدلالة على تأدية المعنى كاملا في صورة حسنة من التعبير باختيار الألفاظ وهيئات التراكيب اللغوية المناسبة التي تكشف ذلك المعنى، وتكون أشد اختصاصا به.

ولقد هاجم "عبد القاهر الجرجاني" المفهوم الخاطئ لعلم النحو الذي يهتم بضبط أواخر الكلم وتتبع الأحوال المختلفة للفظ من رفع ونصب وجر، وأعطى للنحو العربي مفهوما جديدا «فلم يكن النحو العربي قبل عبد القاهر الجرجاني يحفل كثيرا بنظرية المعنى، فلم يراع النحاة في تحديد الوظائف النحوية غير المواقع والعلاقات القائمة بين مختلف المركبات، وحين تصدى الشيخ عبد القاهر الجرجاني لدراسة النحو لم يفته الاحتفاء بما

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 380 .

2- البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، عبد العاطي غريب علي علام، ص: 48.

للمعاني من دور في تحديد تلك الوظائف، فكان النظم يقوم بالأساس على العلاقات الموقعية والدلالية بين مختلف عناصر التركيب»⁽¹⁾.

فالنحو بالمفهوم الجرجاني يتجاوز القواعد النحوية والبناء النحوي وإطلاق أحكام الصحة والفساد على الكلام إلى النظر في المعنى المستفاد من وجوه الكلام، ومعالجة صور معاني الكلام والفروق التي تبدو بين استعمال وآخر وما تحمله من وظائف فنية وبلاغية.

وبهذه النظرة إلى النحو يكون "عبد القاهر الجرجاني" «بحق صاحب نظرية متميزة عن خصائص النظرية الأولى التي ابتدعها سيويو والخليل، هذه النظرية التي تضع قوانين النحو بإزاء قوانين البلاغة وتجمع بينهما في أداء لغوي يحقق البلاغة والجمال في التعبير وهي نظرية أمكن على ضوءها النظر بمنطق لغوي بحت إلى إعجاز القرآن الكريم وتحديه لكل ألوان البيان العربي»⁽²⁾.

3- الفصل في قضية اللفظ والمعنى:

قضية "اللفظ والمعنى" إحدى القضايا التي برزت بعد أن اتجه البحث نحو بلاغة الأسلوب القرآني، وأثارت جدلاً كبيراً في أوساط العلماء فمنهم من فضل اللفظ على المعنى، ومنهم من قدّم المعنى على اللفظ، «وقد استفاد "عبد القاهر الجرجاني" من طبيعة هذا الصراع القائم، وتكونت لديه ثقافة نقدية واسعة حول حساسية الموضوع، مما حفزه إلى التفكير في مسألة النظم ليفك الخلاف، ويتدع مقياساً جديداً في معرفة مواطن الجمال في النص الأدبي، وفي تقويم أثره في نفس السامع، ودواعي المزية التي تميّز مبدعاً من مبدع آخر»⁽³⁾.

1- نظرية النحو الثاني في مفهوم عبد القاهر الجرجاني، عمار ربيع، حويلات جامعة قلمة للغات والآداب (قلمة)، جوان 2017م، العدد 19، ص: 380.

2- المرجع نفسه، ص: 400.

3- نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مسعود بودوخة، ص: 56.

ولكي يصل "عبد القاهر الجرجاني" إلى مبتغاه كما تصوره، رد على القائلين بأنّ بلاغة الكلام تكمن في الصياغة اللفظية، ونظرية القائلين بأنّ بلاغته في المعنى، ثم تراه ينتهي من هذا البحث إلى نظريته الخاصة القائمة على المرتكزات العلمية والحجج والبراهين الدامغة القائلة بأنّ بلاغة الكلام ليست في اللفظ ولا في المعنى، وإتّما في اللفظ والمعنى معاً، أو إتّما في نظم الكلام، أي في الأسلوب.⁽¹⁾

إذن يتضح اتّضاحاً لا يدع مجالاً للشك أنّ بلاغة الكلام تكمن في النظم والصياغة والتي تنشأ من شدة ارتباط والتحام كل من اللفظ والمعنى، و"عبد القاهر الجرجاني" «نظر لكليهما نظرة المتفحص والخبير العارف لمقادير الكلام، وعرف دور اللفظ وقيّمته في النظم، وعرف طريقة تصوير المعاني على حقيقتها، ثم جمع بين اللفظ والمعنى، وسوى بين خصائصهما، ورأى اللفظ جسداً والمعنى روحاً يعتمد على حسن الصياغة ودقة التصوير التي نضجت في بحوثه»⁽²⁾، وبذلك برزت نظريته في اللّغة (نظرية النظم) القائمة على حسن الصياغة وتوحي معاني النحو.

1- ينظر: تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية-بيروت-، (دط)، (دت)، ص: 252.

2- نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللّغوية، وليد محمد مراد، ص: 117.

ثانياً: المقصدية في مباحث علم المعاني

عند عبد القاهر الجرجاني

1- مقصدية التقديم والتأخير عند عبد

القاهر الجرجاني.

أ- التقديم والتأخير في أسلوب الاستفهام

بالمهزة.

ب- التقديم والتأخير في النفي.

ت- التقديم في الخبر المثبت.

ث- تقديم النكرة

ثانيا- المقصدية في مباحث علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني:

1- مقصدية التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني:

تناول النحاة العرب القدامى موضوع "التقديم والتأخير" بالدراسة والاستقصاء في مؤلفاتهم النحوية وذلك في إطار تأسيس القواعد النحوية وضبطها فقسموه إلى حالات الوجوب والجواز والمنع، وجعلوا له ضوابط في "الجملة الفعلية" تختلف عن ضوابطه في "الجملة الاسمية" و"متعلقات الفعل"، وعرفوه على أنه ظاهرة لغوية تُعنى بتحريك أحد عناصر الجملة عن رتبته الأصلية إما بتقديمه أو بتأخيره .

فعمل النحويين إذن اقتصر على تحديد مواضع "التقديم والتأخير" وحالاته، فمهمتهم البحث في لغة الكلام من حيث إعراب مفرداته وجملة، وتحديد ما يجب في تراكيب الجملة مما يجوز فيها مع تحديد أصول المعاني التي تدل عليها صيغ الأسماء والأفعال ومشتقاتها، ومتعلقات الفعل . أما من حيث معرفة دقائق الكلام ووجوهه فهذه لا تدخل في مباحثهم»⁽¹⁾.

ولكنهم لم يذهبوا إلى أبعد من هذا كالتركيز في معرفة الفروق بين التراكيب اللغوية التي تحصل فيها هذه الظاهرة من التي ترد على هيئتها الأصلية وربط ذلك بالدلالة والمعنى، والوقوف على الأسباب والدواعي التي كانت وراء تحرك عنصر من عناصر الجملة . فهذا التقصير والإغفال الذي اعترى النحويين تنبه إليه علماء البلاغة العربية فتوجهت جهودهم نحو البحث في الفروق بين التراكيب اللغوية التي تخلو من "التقديم والتأخير"، والتراكيب

1- بلاغة التقديم والتأخير في سورة الكهف دراسة بلاغية تحليلية وتطبيقية على منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد بن حاج إبراهيم، معالم القرآن والسنة (دم)، 2010م، العدد 06، ص: 197-198 .

ذاتها التي وقع فيها خرق للرتبة، واستقصاء الدلالات والمعاني التي تكتنف هذا الأسلوب، والنكت البلاغية التي تضمنته، وأبعاده الجمالية في النص.⁽¹⁾

وقد نال "التقديم والتأخير" الحظ الأوفر من اهتمامات البلاغيين، فهذا "عبد القاهر الجرجاني" يستهل هذا المبحث البلاغي ببيان أهميته ومزاياه في النظم، حيث قال: «هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتّر لك عن بدعية، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمّعة، ويلطّف لديك موقّعة، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطّف عندك، أن قُدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان».⁽²⁾

وثمة حقيقة جليّة، وهي أنّ نظم العبارة، وما يحتوي عليه هذا النظم من خرق للقواعد النحوية المتعارف عليها عند جمهور النحاة كالتقديم والتأخير... إلخ، وما تؤدّيه من دلالات ومعان إضافية جديدة، فهذه العناصر تتضافر فيما بينها مشكلة لنا خطابا بليغا محكم البناء متقن الصياغة، فحينما يعرض العمل الأدبي على الناقد الذواق ذي الإحساس المرهف بُغية إدلاء رأيه وإصدار الحكم بالجمال أو القبح يكون بالاعتماد عليها، فإذا وقع النص موقعا حسنا في المتلقي، واهتزت له نفسه، ووقعت عيناه على المزايا الجمالية، فيطلق بعدئذ الحكم بجودة النظم، وجمال وبلاغة النص.⁽³⁾

ويظهر جمال "التقديم والتأخير" في نظمه «فهما جميلان مقبولان إن ترابطا مع العناصر الأخرى المؤلفة للعبارة، وإن وُظفا توظيفاً مناسباً بحيث يؤديان دورهما في توضيح المعنى، والكشف عن الأحاسيس والمشاعر، وأما إن جيء بهما في غير موضعهما فإنهما

1- ينظر: التقديم والتأخير في المثل العربي - دراسة نحوية بلاغية -، غادة أحمد البواب، وزارة الثقافة - الأردن -، (دط)، 2011م، ص: 45.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 76-77.

3- ينظر: أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم على رأي عبد القاهر الجرجاني، محمد فواز عرسان غنام، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية -الأردن -، 1993م، ص: 24.

يكونان مدعاة للقبح والنفور، ولا يفيدان شيئاً، بل إثمهما يُغيّران المعنى النفسي، ويُجولانه إلى مدلول آخر يُخالف ما يراد، فتخرج العبارة نتيجة ذلك واهنة النظم مغايرة في مدلولها ما يراد». (1)

ولقد عاب "عبد القاهر الجرجاني" على النحويين حصرهم أهمية "التقديم والتأخير" في "العناية والاهتمام"، حيث قال: «واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام». (2)

و"عبد القاهر الجرجاني" لم يبق حبيس هذه النظرة، بل تصدى إلى ذلك بالإنكار، وجعل التسليم بذلك من الأمور التي أدت إلى الحط من قيمته، والإصغار من شأنه في نفوسهم (3)، يقول: «وقد وقع في ظنون الناس أنّه يكفي أن يقال: (إِنَّه قَدَمٌ للعناية، ولأنّ ذكره أهم)، من غير أن يُذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ ولتخيّلهم ذلك، قد صغر أمر "التقديم والتأخير" في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه، حتى إنّك لترى أكثرهم يرى تتبّعه والنظر فيه ضرباً من التكلّف، ولم تر ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه». (4)

1- أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم على رأي عبد القاهر الجرجاني، محمد فواز عرسان غنام، ص: 27.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 77.

3- ينظر: التقديم والتأخير وأثره في المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، علوش علي، مجلة الممارسة اللغوية (تيزي وزو)، سبتمبر 2021م، العدد: 03، المجلد: 12، ص: 85.

4- المصدر السابق، ص: 78.

وقد أرجع "عبد القاهر الجرجاني" التقديم والتأخير " إلى فعل النيّة وهو مرادف للمقصد⁽¹⁾، وفي ذلك يقول: «واعلم أنّ تقديم الشيء على وجهين:

- تقديم يقال: إنّهُ على نيّة التأخير، وذلك في كل شيء أقرّته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه، الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل.

- وتقديم لا على نيّة التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتقدّم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا». (2)

فبعد القاهر الجرجاني ينظر إلى "التقديم والتأخير" «وكيفية تواجده في القول أنّها رؤية تواصلية، مرتبطة بالمقصد، ذلك أنّ تقديم لفظ على آخر يكون بمراعاة معاني النحو وأولا والمتمثلة في التعليق على مستوى البنية اللسانية، لينطلق منها المتكلم ويبيّن أغراضه بحسب السياق التخاطبي وما يستلزمه المقام». (3)

ومن أمثلة "التقديم والتأخير" قوله: (قتل الخارجي زيد)، فالمتكلم بادر بذكر المفعول به (الخارجي) أولا بعد الفعل (قتل) مباشرة؛ لأنّ المخاطب اهتمامه منصب على قتل الخارجي، وهو على شغف ولهفة لمعرفة المقتول، وذلك بالنظر إلى المقام، والمقام هنا يمثله منزلة الخارجي عند الناس، فهم يكونون له الكره والبغض؛ لأنّه كان يعيث في الأرض فسادا فينتهك الحرمات، ويعتدي على حقوق غيره، ولذا قُدّم المفعول لكون السؤال عنه كان أكثر، وعلى العكس فيما لو كان هناك رجل صاحب سيرة محمودة، فوقع منه فعل

1- ينظر: البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حامدة تاقيات، ص: 183.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 77.

3- المصدر السابق، ص: 183.

يشين كالقتل مثلا، فيكون سؤال الناس هنا على الفاعل، وعند الإخبار به يقدّم المتكلم (الفاعل) فيقول: (قتل زيد رجلاً)؛ لأنّه محل العجب والتندر لدى المخاطب.⁽¹⁾

فمن خلال المثالين اللذين حللّهما "عبد القاهر الجرجاني" نستنتج أنّ خرق المتكلم للقواعد الأصلية للغة بتغيير عناصر الجملة تقدّما وتأخيرا، والذي ينتج عنه دلالات ومعان مستلزمة يود المتكلم إعلام المخاطب بها يكون بمراعاة مقتضيات السياق التخاطبي وأحوال المتخاطبين ودرجات اهتمامهم.

أ- التقديم والتأخير في أسلوب الاستفهام بالهمزة:

ومن التقديم ذي الأبعاد التداولية "التقديم والتأخير في الاستفهام بالهمزة" فبحسب "عبد القاهر الجرجاني" «فإنّ موضع الكلام على أنّك إذا قلت: (أفعلت؟)، فبدأت بالفعل، كان الشكّ في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: (أأنت فعلت؟)، فبدأت بالاسم، كان الشكّ في الفاعل من هو، وكان التردد فيه».⁽²⁾

يفهم من كلام "عبد القاهر الجرجاني" أنّ المقصدية تتحكم في ترتيب عناصر الجملة وتوجه المتكلم نحو اختيار نظام لغوي معين، وتبني بنية تركيبية محددة، فإذا كان الشك في الفعل قدّم ما يشك فيه فجعل الفعل بعد همزة الاستفهام مباشرة، وتكون الهمزة فيما سبق للتصديق^(*)، ويكون الغرض من السؤال الإعلام بوقوع الفعل أو عدم وقوعه.

1- ينظر: البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حامدة تاقبايت، ص: 184.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 79-80.

*- تكون الهمزة لطلب التصديق إذا كان المطلوب بها ثبوت شيء لشيء أو انتفاءه عنه ولا يؤتى لها بمعادل لفظا ولا تقديرا، ويكون الجواب عنها بنعم أو لا، ينظر: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، محمد السيد شيخون، دار الهداية، (د م)، (د ط)، (د ت)، ص: 11.

ويختلف الأمر في تقديم الاسم (الفاعل)، فإذا تقدم الاسم بعد همزة الاستفهام مباشرة أفاد ذلك أنّ شك واقع في المقدم فقط، وقصد تعيين الفاعل، أما الفعل نفسه فمعلوم الثبوت، وواقع لاشك فيه، وتكون الهمزة حينئذ للتصور^(*). ويمكن توضيح كلام "عبد القاهر الجرجاني" بالجدول الآتي: (1)

الصيغة	ترتيب عناصر الجملة	موضع الشك	المقصدية
أفعلت ؟	أ (همزة الاستفهام) + الفعل	الفعل	تتمثل المقصدية من تقديم الفعل بعد همزة الاستفهام في إعلام المتلقي بوقوع الفعل أو عدم وقوعه
أأنت فعلت ؟	أ (همزة الاستفهام) + الاسم (الضمير) + الفعل	الفاعل	تتمثل المقصدية من تقديم الاسم عقب همزة الاستفهام التأكيد من الفاعل وتعيينه

*- تكون الهمزة للتصور إذا كان المطلوب بها شيئاً آخر غير الثبوت، والانتفاء بأن تكون النسبة معلومة، والمطلوب بها شيئاً آخر غير الثبوت، والانتفاء بأن تكون النسبة معلومة، والمطلوب تعيين المسند، أو المسند إليه، أو الحال، أو المفعول، أو الظرف، أو غير ذلك من المتعلقات، ومن خصائصها: أن يكون لها معادل هو (أم) لفظاً أو تقديراً، وأنّ الجواب عنها يجب أن يكون بتعيين المسؤول عنه من فعل أو فاعل أو غيرهما، ينظر: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، محمد السيد شيخون، ص: 12.

1- ينظر: مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، بوضار صورية، مجلة كلية الآداب واللغات محمد خيضر (بسكرة)، ديسمبر 2014م، العدد 16، ص: 90.

ورغبة في توضيح هذه القاعدة اللغوية وزيادة تمكينها في النفس قدّم " عبد القاهر الجرجاني " جملة من الأمثلة : (1)

(أ)

– أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟
– أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟
– أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟

(ب)

– أنت بنيت هذه الدار؟
– أنت قلت هذا الشعر؟
– أنت كتبت هذا الكتاب؟

فالملاحظ من خلال الأمثلة الواردة في المجموعتين (أ) و(ب) أنّ مادة الكلام وألفاظه واحدة، لكن تختلف كل مجموعة عن الأخرى من حيث ترتيب العناصر المكونة للتركيب اللغوية، وانطلاقاً من القاعدة التي أقرها "عبد القاهر الجرجاني" فإنّ الاستفهام في المجموعة الأولى (أبنيت؟، أقلت؟، أفرغت؟) وقع على الفعل، وكانت مقصدية المتكلم من تقديم الفعل معرفة وقوع الفعل من عدمه. أما في المجموعة الثانية وقع الاستفهام (أنت بنيت؟، أنت قلت؟، أنت كتبت؟) على الفاعل، فقدم الفاعل على الفعل وكانت مقصدية المتكلم معرفة الفاعل من هو؟ لا في وقوع الفعل من عدمه، حيث هو منجز بالفعل بدليل الإشارة إليه. (2)

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 80.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 80.

وفي مقابل ذلك قدّم "عبد القاهر الجرجاني" لكل من المجموعتين (أ) و(ب) صياغات خاطئة.

فمن الصياغات الخاطئة للمجموعة (أ) أن تقول: (1)

- أبنيت هذه الدار؟

- أقلت هذا الشعر؟

- أكتبت هذا الكتاب؟

فتقدم الفعل (أبنيت - أقلت - أكتبت) في هذه الشواهد يدل على أنّه المستفهم عنه، وأنّه غير واقع لكن مجيء اسم الإشارة (هذه - هذا) يثبت أنّ هذه الأفعال واقعة (فالدار مبنية، والشعر مقول، والكتاب مكتوب) فيحدث تناقض بين آخر الجملة وأولها. (2)

ومثل ما سبق أورد صيغا خاطئة للمجموعة (ب): (3)

- أنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيتها؟

- أنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟

- أنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟

فلا يصح في هذه الأمثلة أن تسأل عن الفاعل (أنت؟) والفعل غير واقع؛ لأنّ المبادرة بالسؤال عن الفاعل والتردد فيه: هو أم غيره يلزم أن يكون الفعل واقعا، لكن مجيء اسم الموصول وصلته في هذه الأقوال يدل على أنّ الفعل غير واقع، فيقع التناقض بين صدر الجملة وعجزها. (4)

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 80.

2- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 184.

3- المصدر السابق، ص: 80.

4- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 184.

كما فرّق "عبد القاهر الجرجاني" بين البداية بالفعل والبداية بالاسم فقال: «ومّا يُعلم به ضرورة أنّه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم أنّك تقول : (أقلت شعرا قط؟)، (أرأيت اليوم إنسانا؟) فيكون كلاماً مستقيماً، ولو قلت : (أأنت قلت شعرا قط؟) (أأنت رأيت إنسانا؟) أحلت، وذلك أنّه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا، لأنّ ذلك إنّما يُتصوّر إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن نقول: (من قال هذا الشعر؟)، (و من بني هذه الدار؟)، (ومن أتاك اليوم؟) وما أشبه ذلك مما يمكن أن يُنصّ فيه على معيّن، فأما قول شعر على الجملة، ورؤية إنسان على الإطلاق، فمحال ذلك فيه؛ لأنّه ليس مما يختص بها دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله»⁽¹⁾.

فحاصل معنى هذا القول أنّه يصح السؤال عن فعل مطلق مثل: (أقلت شعرا قط؟)، ولا يمكن السؤال عن فاعل فعل مطلق، فلا تقول : (أأنت قلت شعرا؟)، إلا إذا خصص نحو أن تقول : (من قال هذا الشعر؟)؛ لأنّ الفعل المطلق لا يختص به شخص دون شخص حتى يُسأل عن فاعله.

وقد تعددت المقصدية التداولية التي يؤديها "التقديم والتأخير" في أسلوب الاستفهام بالهمزة وذلك بحسب العنصر المقدم، ومقتضيات السياق التخاطبي، وأحوال المتخاطبين منها:

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 80.

أ-التقرير:

وكان هذا أول غرض تداولي ذكره "عبد القاهر الجرجاني" للاستفهام بالهمزة ؛ فقال: «واعلم أنّ هذا الذي ذكرت لك في (الهمزة وهي للاستفهام) قائم فيها إذا هي كانت للتقرير فإذا قلت: (أأنت فعلت ذاك؟) كان غرضك أن تقرره بأنّه الفاعل».⁽¹⁾

وقد عالج العلماء من قبل مفهوم التقرير، فيرى "الرضي (ت684هـ)" أنّه «حمل المخاطب على أن يقر بأمر يعرفه»⁽²⁾، ويرى "ابن هشام (ت684هـ)" أنّ التقرير هو «حمل المخاطب الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر ثبوته أو نفيه».⁽³⁾

فإذا كان المراد بالتقرير حمل المخاطب على الاعتراف وإزالة الشك الكائن «فإنّ تقديم الفعل يدل على إرادة تقرير المخاطب بوقوعه، وتأخير الفعل يدل على ثبوته، والفعل - حال تأخيره- موجود؛ إما على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الادّعاء».⁽⁴⁾

ومن النماذج القرآنية التي قدّمها عبد القاهر الجرجاني لبيان هذه المقصدية التداولية قوله تعالى حكاية عن قوم نمrod: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْبَةِ يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء:62).

ففي هذه الآية الكريمة قُدّم الفاعل (الضمير المنفصل "أنت") في قولهم : (أأنت فعلت هذا)، وكان سؤالهم عن الفاعل سؤالاً تقريرياً، فهم يريدون من إبراهيم -عليه السلام - أن يقر لهم أنّ كسر الأصنام كان منه لا من غيره، وقد استدل "عبد القاهر الجرجاني"

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 81.

2- شرح الرضي لكافية ابن حاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأستر باذي، تحقيق: يحي بشير مصطفى، حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، الإدارة العامة للثقافة والنشر -المملكة العربية السعودية-، ط1، 1996م، القسم الثاني، ص: 1393.

3- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن مبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر- دمشق- ط1، 1964م، ج: 01، ص: 12..

4- بلاغة التقديم والتأخير عند الجرجاني في كتابيه الأسرار والدلائل، أحمد بن صالح السديس، مجلة العلوم العربية (دم)، ربيع الآخر 1437هـ، العدد 39، ص: 254.

على هذا بشواهد قاطعة من الآية ومن سياقها، فمن داخل الآية : اسم الإشارة (هذا) الذي يدل على أنّ فعل كسر الأصنام واقع، فلا يكون التقرير به، وإتّما التقرير بالفاعل، ومن السياق : قول إبراهيم -عليه السلام - في الجواب ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء: 63)، ولو كان التقرير بالفعل وقيل: (أفعلت هذا) لكان الجواب بنعم أو لا. (1)

وقد أخذ "الزمخشري (ت 538هـ)" برأي "عبد القاهر الجرجاني" حول مقصدية تقديم الفعل في أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ فقال: «إنّ قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإتّما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيّتهم، وهذا كما قال صاحبك، وقد كتبت كتابا بخط رشيق، وأنت شهير بحسن الخط: (أأنت كتبت هذا؟ وصاحبك أمي لا يحسن الخط ولا يقدر على حرمشة فاسدة، فقلت له: (بل كتبه أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك، مع الاستهزاء به، لا نفيه وإثباته للآمي».(2)

في حين خالفهما في ذلك "الخطيب القزويني (ت 739هـ)" «لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها؛ إذ ليس في السياق ما يدل على أنّهم كانوا عالمين بأنّه -عليه السلام - هو الذي كسر الأصنام».(3)

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 185.

2- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل، الزمخشري، ج: 17، ص: 682.

3- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، ج: 02، ص: 39.

ب - الإنكار التوبيخي:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أنّ المستفهم عنه أمر منكر، والاستفهام الإنكاري على أوجه:

إنكار توبيخي على فعل قد وقع أو يقع، ومعناه في الماضي (ما كان ينبغي أن يكون)، وفي المضارع بمعنى (لا ينبغي أن يكون)، وإنكار تكذيبي إبطالي فمعناه في الماضي (ما كان ينبغي أن يكون) وفي المضارع بمعنى (لا ينبغي أن يكون).⁽¹⁾

و"عبد القاهر الجرجاني" لم يعالج هذا الغرض بصورة موسعة، ولم يورد له مثالا، وإنما اكتفى بالإشارة إليه بعد أن ذكر الفرق بين الصيغتين (أفعلت؟)، و(أأنت فعلت؟) في سياق حديثه عن دلتهما على التقرير حيث قال: «واعلم أنّ الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان، وإنكار له لم كان، وتوبيخ لفاعله عليه».⁽²⁾

ت - الإنكار التكذيبي:

في الاستفهام الإنكاري التكذيبي يجب أن يلي المنكر همزة الاستفهام وفق ما جرى في الاستفهام التقريري، «والحديث عن هذه الدلالة جاء في كثير من كلام البلاغيين مستترا تحت جناح الإنكار، فبينهما خصوص وعموم، إذ كل تكذيب إنكار، وليس كل إنكار تكذيبا، فإنّ المكذب يُكذب مع الإنكار عليه».⁽³⁾

وقد مثل "عبد القاهر الجرجاني" على إنكار الفعل بقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الإسراء: 40)،

1- ينظر: دلالة التراكيب - دراسة بلاغية-، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة (دم)، ط2، 1987م، ص: 226، 230.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 81.

3- بلاغة التقديم والتأخير عند الجرجاني في كتابيه الأسرار والدلائل، أحمد بن صالح السديس، ص: 259.

وقوله عز وجل ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾
(الصفات: 153-154)

ففي هاتين الآيتين الكريمتين رد وتكذيب للمشركين في زعمهم الذي ينطوي على جهل عظيم، وهو أنّ الله تعالى خصهم بالبني واتّخذ من الملائكة بناتا اصطفاهم، والذي صيغ بآلية تقديم فعل الاصطفاء في أسلوب استفهامي لإفادة وقوع الإنكار في فعل ادّعي أنّه قد وقع فيكذب فيه. (1)

أما عن تقديم الاسم فإنّه سيؤدي إلى وقوع الإنكار في الفاعل وعدم نسبة الفعل إليه، ومثاله قولك للرجل قد انتحل شعرا (أنت قلت هذا؟ كذبت لست ممن يُحسن مثله). فهنا أنكرت أن يكون القائل ولم تنكر الفعل وهو قول الشعر؛ لأنّه موجود بدليل الإشارة إليه. (2)

فإنجاز المتكلم لمقصدية متضمنة في القول كالإنكار مثلا بالاستناد على آلية التقديم والتأخير في أسلوب الاستفهام يكون بالنظر إلى حالة المخاطب وعلى هذا يبني المتكلم قوله مراعيًا في ذلك تلك الوضعية التخاطبية فوقها يصاغ القول على شاكلة معينة ليكون جاريا على ترسيخ تلك المقصدية وإقناع المخاطب بها، ويتوقف فهم المخاطب لها بحسب درجة وعيه وإلمامه بالمقام التخاطبي وكذا استناده إلى كفاءته التي لا تقل شأنًا عن كفاءة المتكلم في عملية التخاطب. (3)

ويقف "عبد القاهر الجرجاني" بعد هذا مع حالة خاصة مختلفة عن القاعدة المعروفة التي تقول: أنّ المسؤول عنه يتقدم بعد أداة الاستفهام، هذه الحالة، أنّ تقديم الفاعل أو المفعول أو الظرف ليس المراد في ذلك كله إنكار المقدم، وإنما إنكار الفعل.

1- ينظر : دلالات الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني،، ص: 81.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 82.

3- ينظر: البلاغة والتداولية في كتاب دلالات الإعجاز، حامدة تقيت، ص: 190.

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس: 59)، فالإنكار ليس موجهاً إلى المسند إليه المقدم (لفظ الجلالة) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ بل إنكار الإذن من أصله ؛ «لأنَّ الأصل في التحليل والتحريم أن يكون من مشرع لهم لا من تلقاء أنفسهم، فلما حلل هؤلاء وحرّموا دون إذن من الله صاروا كأهم رجعوا لأحد غير الله في الإذن، ثم نسبوه خطأ إلى الله، فأنكر ذلك عليهم»⁽¹⁾.

فالمقصدية المتضمنة في القول هي إنكار الفعل، وأخرج الكلام في صورة تقديم الفاعل (الله) لا الفعل (أذن) ليكون أبلغ في إنكار الفعل.

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّْا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (الأنعام : 143).

فقد دخلت همزة الاستفهام في هذه الآية على المفعول (ذكرين)، وكان المقصد من تقديم المفعول إنكار التحريم من أصله، ولكن لم يقدم الفعل عقب الهمزة، «بل أخرج الكلام في صورة إنكار المفعول دون الفعل، ليكون أبلغ في إنكار الفعل، فإنّ إنكاره حينئذ، يكون بطريق الكناية، واللتزم، وذكر الدعوى مع دليلها، كأنه قيل : لو كان هناك تحريم لكان متعلقاً بواحد من هذه الأمور، لكن واحد منها ليس بمحرم، فليس هناك إذن تحريم، وذلك أنهم كانوا تارة يحرّمون ذكر الأنعام وتارة إناثها، وتارة ما في بطون الإناث، ذكورا كانت، أم إناثا، أم مختلفة، وينسبون ذلك إلى الله، فرد الله عليهم إفكهم بإنكار محل التحريم»⁽²⁾.

1- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 187.

2- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، محمد السيد شيخون، ص: 24.

والمتأمل في الشواهد القرآنية والأمثلة التي سقت في باب الاستفهام بالهمزة يجد أنّ صيغة الفعل فيها كانت ماضية، وكان لصيغة الفعل الماضي المتقدم في صدر هذه الخطابات دور كبير في تحديد مقصدية القول والتي ظهرت إما إقراراً بالفعل، أو إنكاراً سواء أكان تكذيباً لفعل لم يقع، أم توبيخاً لفعل قد وقع.⁽¹⁾

ويمتد دور المقصدية إلى صيغة المضارع، فإذا كانت صيغة الفعل مضارعة دالة على الحال نحو قولك: (أتفعل هذا؟) فإنّ الغرض التداولي من وراء تصدير الخطاب بهذا الفعل الإنجازي يكون شبيهاً بغرضه والفعل ماضٍ، وهو إرادة التقرير إما بالفعل أو الفاعل، أما إذا كانت صيغة الفعل (تفعل) في قولك: (أتفعل) دالة على الاستقبال فإنّ الإنكار هي المقصدية الرئيسية للخطاب.⁽²⁾

ومن شواهد ذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام عندما دعا قومه إلى التوحيد وكذبوه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود: 28)

فتقديم الفعل (أنلزمكموها) في سياق الاستفهام يتضمن إنكاراً لأمر كاذب، والمعنى «أنلزمكم تلك الحجة البينة على أيّ رسول الله؟ أي أنكروهكم على قبولها، والحال أنكم لها كارهون؟ يعني لا يكون هذا الإلزام».⁽³⁾

ولا شك أنّ نظم هذه الآية على هذا النمط وما تضمنه من تقديم يحمل أبعاداً نفسية فهو «يحرك في نفوس المخاطبين وهم قوم نوح -عليه السلام- معاني كثيرة على أن يتنبهوا، فلا يمكن إلزامهم أن يصدقوه ويؤمنوا به لأنهم يعاندون مع أنّ الحجة ظاهرة، لكنهم أبوا رؤيتها وتصديقها، بالإضافة إلى أنّه يهيئ النفس لتتلقى من السياق ما يجيش

1- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 202.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص: 202.

3- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص: 103.

به من خواطر ومشاعر وصور فهي محاولة حثيثة لفتح عقولهم ومس نفوسهم، حتى يخرجوا عن كبريائهم ولجاجتهم»⁽¹⁾.

أما إذا ما تم تقديم الاسم فإنّ الإنكار يتوجه إليه هو؛ لأنّه ليس ممن يقع الفعل منه نحو قولك: (أأنت تفعل؟)، أو قلت: (أهو يفعل؟)⁽²⁾.

ففي هذين المثالين تقدم الفاعل المتمثل في الضميرين المنفصلين الدالين على المفرد (أنت)، (هو)، واللذان يفيدان إنكار الفعل عن الفاعل على وجه التخصيص والتعيين وإثباته لغيره.

ولم يغفل "عبد القاهر الجرجاني" في حديثه عن "التقديم والتأخير" في الاستفهام بالهمزة تقدم المفعول وما لذلك من أثر في تحديد المقصدية من خروج الكلام عن أصل الوضع اللغوي. فقد جعل تقديم المفعول على ضربين؛ أما الأول: أن يتقدم المفعول عن فعل نحو قولك: (أزيذا ضربت؟)، فتقدم المفعول (زيذا) يفيد إنكار أن يكون (زيذا) بمثابة أن يُضرب أو بموضع أن يجترأ عليه ويستجاز ذلك فيه.⁽³⁾

وأفصح بيان ما جاء به القرآن الكريم في تقديم (غير) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ

اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ

أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 14)

ففي تقديم المفعول (غير) تتحقق مقصدية إنكار أن يكون غير الله متخذاً ولياً⁽⁴⁾، كما يتضمن مقصداً آخر يضاف إلى الإنكار وهو «الاستخفاف بما اتَّخذه من

1- أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم على رأي عبد القاهر الجرجاني، محمد فواز عرسان غنام، ص: 18.

2- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 83.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 86.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص: 86.

دون الله ودعوه، مع تبشيع ما فعلوه وأنه لا يليق بمن له عقل؛ لأنه ترك القادر وتوجه إلى العاجز». (1)

وأما الضرب الثاني: فهو أن يتقدم المفعول على فعل مضارع موجود للدلالة على التقرير تارة، وإنكار نسبة الفعل للفاعل تارة أخرى تماما كما حصل مع تقديم الاسم في الفعل الماضي، وقد أردف "عبد القاهر الجرجاني" كلامه هذا بشواهد توضحه في حالتي الإقرار والإنكار في الاسم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99)، وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: 32). (2)

ب - التقديم والتأخير في النفي:

وبعدما خلص "عبد القاهر الجرجاني" من إبراز مقاصد التقديم والتأخير في أسلوب الاستفهام بكل تفاصيله وحيثياته انتقل إلى الحديث عنه في التركيب المنفي باعتباره يحمل بين طياته فروقا دقيقة، وهذه الفروق هي:

أنّ تقديم الفعل على الفاعل في باب النفي يعمل على وقوع النفي على الفعل دون الفاعل، بينما يؤدي تقديم الفاعل على الفعل إلى وقوع النفي فيه دون الفعل، ومثال ذلك «إذا قلت: (ما فعلت) كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: (ما أنا فعلت) كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنه مفعول، تفسير ذلك: أنك إذا قلت: (ما قلت هذا)، كنت نفيت أن تكون قد قلت هذا، وكنت نوظرت في شيء لم يثبت أنه مقول،

1- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 196.

2- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 86.

وإذا قلت: (ما أنا قلت هذا) كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء أنه مقول⁽¹⁾.

فمن خلال نظم القول تتبين جهة نفيه وتوضح المقصدية التي يتضمنها الكلام، فإذا قدّم المتكلم الفعل كان الغرض نفي فعل لم يثبت أنه مفعول نحو: (ما قلت هذا)، في حين لو قدّم الفاعل لكان الغرض الذي يحويه نظم الكلام نفي أن يكون فاعل الفعل الذي ثبت أنه مفعول نحو: (ما أنا قلت هذا).

وتتجلى المقصدية في الأمثلة السابقة نتيجة لأسئلة متوقعة مفترضة، أو أسئلة حقيقية⁽²⁾، كقوله:

– هل أنت قلت هذا؟

– ما أنا قلت هذا.

فالمتكلم في هذا المثال جعل المرسل إليه بؤرة مقابلة بافتراض شكه في أنه القائل لهذا القول الذي ثبت أنه مقول، ولكنّه أراد أن يتأكد من نفي هذا الفعل عنه، ولذا قدّم المكون الذي يحمل الوظيفة التداولية.

أما في المثال الآخر:

–هل قلت هذا؟

– ما قلت هذا

فقد جعل المرسل هنا فعل القول بؤرة جديدة لخطابه، باعتبار شكه في وقوعه وإرادة نفيه وإثبات أنه غير مقول، وعلى هذا قدّم الفعل بعد أداة النفي مباشرة.

وقد ربط "عبد القاهر الجرجاني" التقديم في التركيب المنفي بمقصديتين هما: (التعميم) و(التخصيص)، وفي ذلك يقول: « ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 87.

2- ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: 203.

يكون المنفي عاما ؛ كقولك : (ما قلت شعرا قط)، (وما أكلت اليوم شيئا)، (وما رأيت أحدا من الناس)، ولم يصلح في الوجه الثاني، فكان خلفا أن تقول : (ما أنا قلت شعرا قط)، (وما أنا رأيت أحدا من الناس)، (وما أنا أكلت اليوم شيئا) وذلك أنه يقتضي المحال، وهو أن يكون هاهنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، وأكل كل شيء يؤكل، ورأى كل أحد من الناس، فنفيت أن تكونه»⁽¹⁾.

فالمقصدية من تقديم المسند الفعلي في الاستعمالات التالية:

- ما قلت شعرا قط .
- ما أكلت اليوم شيئا .
- ما رأيت أحدا من الناس .

إرادة تعميم نفي قول الشعر والأكل والرؤية؛ لأنّ النكرة في سياق النفي تعم، ولكن هذه القاعدة لا تصلح، ولا يستوي النّظم ويستقيم مع تقديم الفاعل؛ لأنّ تقديمه يعني أنّ الفعل واقع حتما.⁽²⁾

ولو قدّم المسند إليه (أنا) المسبوق بالنفي كما في الأمثلة التالية:

- ما أنا قلت شعرا قط
- ما أنا أكلت اليوم شيئا
- ما أنا رأيت أحدا.

لحقوق فعلا إنجازيا هو تخصيص نفي قول الشعر والأكل والرؤية عن الفاعل، وإثبات أنّ هذه الأفعال قد وقعت.

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 87.

2- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 198

ومن النماذج الشعرية التي مثل لها على تقديم الاسم قول المتنبي: (1)

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

فتقديم الضمير المنفصل (أنا)، على المسند الفعلي (أسقمت) في سياق النفي يفيد أنّ السقم ثابت موجود، ولكن الشاعر يريد أن ينفي عن نفسه أنه الجالب لهذا الهم الذي أسقم جسمه، ومن تلك النار التي أضرمت قلبه (2)، ثم يكشف عن مسند إليه ذلك الفعل في البيت التالي: (3)

فَلَا تُلْزِمْنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ إِلَيَّ أَسَاءَ وَإِيَّاي ضَارًا

فمن خلال هذا البيت يتبين أنّ الزمان هو الذي صب على الشاعر كل همه وضره ووجعه. (4)

ت- التقديم في الخبر المثبت:

أكد "عبد القاهر الجرجاني" أنّ التقديم في الخبر المثبت يخضع لنفس قاعدة التقديم في الاستفهام بالهمزة والنفي فيقول: «واعلم أنّ الذي بان لك في الاستفهام والنفي من المعنى في التقديم قائم مثله في الخبر المثبت ؛ فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه، فقلت (زيد قد فعل)، (وأنا فعلت)، (وأنت فعلت) اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل». (5)

1- ديوان المتنبي، المتنبي، دار بيروت - بيروت -، (دط)، 1983م، ص: 365.

2- ينظر : دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 87.

3- المرجع السابق، ص: 365.

4- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 199.

5- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص : 89.

وفي ظل هذا قسم "عبد القاهر الجرجاني" الغرض الذي يتضمنه تقديم الحدث عنه، والذي يشكل الحجر الأساس الذي سيبني عليه المتكلم ما يريد إلى قسمين: (1) الأول: مفاده أنّ تقديم الفاعل الغرض منه أنّ الفعل محصور للفاعل مقصور عليه دون غيره، ومثال ذلك: (أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شفعت في بابه)، فتم انفراد الفاعل بالفعل وإزالة الاشتباه فيه.

الثاني: ألا يكون القصد من تقديم الفاعل التخصيص بل للتحقيق على السامع أنّه قد فعل وتمكن ذلك في نفسه، وتمنعه من الشك في ذلك دون أن تزعم أن لا آخر يقوم بالفعل، ومثال ذلك: (هو يعطي الجزيل)، فالغاية من تقديم ضمير الغائب (هو) تحقيق السامع أنّ إعطاء الجزيل دأبه.

ومن النماذج الشعرية التي وقف عندها "عبد القاهر الجرجاني" مبرزاً فيها بلاغة وجمال التقديم قول الشاعر: (2)

هُم يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْ الدَّمَاءِ سَبَابُ

فقد حلل "عبد القاهر الجرجاني" هذا البيت مستندا في ذلك على المعنى والسياق التخاطبي ليكون منطلق بيان الفعل الكلامي المتضمن في القول، «فالشاعر يفتخر بشجاعة قومه، وأتّهم من القوة والجرأة بحيث يقصدون أشجع القوم ليكون عبرة لغيره، فيضربونه الضربات القاصمة الشبيهة بالبرق الصاعق» (3)، والشاهد أنّ تقديم الفاعل (الضمير المنفصل الغائب) على الفعل (يضربون) يفيد «تنبيه السامع لقصدتهم بالحديث ليحقق الأمر ويؤكدده». (4)

1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 89.

2- شعر الأحنس بن شهاب التغلبي، الأحنس بن شهاب بن ثمانية بن أرقم التغلبي، جمع وتحقيق وشرح: عدنان محمود عبيدات، مستل من مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، 2007م، العدد 01، المجلد: 04، ص: 115

3- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 204.

4- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 91.

وقد أشار "عبد القاهر الجرجاني" إلى أنّ فكرة تقديم الميثب عنه (الفاعل) التي تفيد التنبيه والتأكيد قد ذكرها "سيبويه" (ت 180هـ) في الكتاب تحت باب المفعول فيقول: «وهذا الذي قد ذكرت من أنّ تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له قد ذكره صاحب الكتاب في المفعول إذا قدّم فرّغ بالابتداء، وبني الفعل الناصب كان له عليه، وعُدّي إلى ضميره فشُغل به؛ كقولنا في (ضربت عبد الله): (عبد الله ضربته)، فقال: و(إنّما) قلت (عبد الله)، فنبهته له، ثمّ بنيت عليه الفعل، ورفعته بالابتداء».⁽¹⁾

وقد عدد "عبد القاهر الجرجاني" جملة من المقامات التي يكثر فيها تقديم المحدث عنه (المسند إليه) لإفادة تأكيد الخبر وتحقيقه وهي:⁽²⁾

1- عند إنكار منكر: نحو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران : 75)، فهذا من أبين شيء، وذلك أنّ الكاذب لا سيما في الدين لا يعترف بالعلم بأنّه كاذب .

2- فيما اعترض فيه شك: وهو سوق الخبر على وجه الشك أو التردد في أمر ما نحو أن يقول الرجل: (كأنك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك)، فيقول: (أنا أعلم ولكني أداريه).

3- في تكذيب من ادّعى أمرا ما: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ (المائدة: 61)، وذلك أنّ قوله (آمنا) دعوى منهم أنّهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به، فالموضع موضع تكذيب.

4- في استحالة القياس على مماثل: كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (الفرقان: 03)، وذلك أنّ عبادتهم لها تقتضي ألا تكون مخلوقة.

1- دلّائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 91 .

2- المصدر نفسه، ص: 92-93.

5-الوعد والضمان: كقول الرجل: (أنا أعطيك، أنا أكفيك، أنا أقوم بهذا الأمر)، وذلك أنّ من شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد، وفي الوفاء به، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد.

6-المدح: نحو قولك: (أنت تعطي الجزيل، أنت تقري في المحل (الجدب)، أنت تجود حين لا يجود أحد، وذلك أنّ من شأن المدح أن يمنع السامعين فيما يمدح به ويباعدهم من الشبهة وكذلك المفتخر.

ث- تقديم النكرة:

1- تقديم النكرة بعد الاستفهام :

وفق المبدأ التداولي، فإنّ هناك فرقا بين تقديم الاسم النكرة وبناء الفعل عليه، وتقديم الفعل على الاسم النكرة.

فتقديم الاسم النكرة بعد الاستفهام نحو قولك: (أرجل جءك؟)، فإنّ الغرض من السؤال تحديد جنس هذا الفاعل أهو رجل أم امرأة؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنّه قد أتاه آت، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي، أما إذا تقدم الفعل على الاسم النكرة في سياق الاستفهام فقلت: (أجاءك رجل؟) فإنّ الغرض متعلق بالمقدم وهو الإخبار عن الفعل الذي هو المحيي⁽¹⁾.

ومعنى هذا الكلام أنّ تقديم الفعل على النكرة في سياق الاستفهام، يدل على الشك في ثبوت الفعل للفاعل من عدمه، وكان مراد المتكلم من ذلك معرفة وقوع الفعل من عدمه، أما إذا قدّمت النكرة وبني الفعل عليها دلت الجملة على أنّ الفعل حاصل، وأنّ الشك واقع في الفاعل، وطلب تصور الفاعل وتعيين جنسه⁽²⁾.

1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 98.

2- ينظر: المقاصد التداولية للتقديم والتأخير في كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، شداد محمد، مجلة لغة - كلام (غليزان)، جوان 2021، العدد 03، ص: 300-301.

2- تقديم النكرة في الخبر:

يرى "عبد القاهر الجرجاني" أن ما سبق عن الابتداء بالنكرة في الاستفهام يعد أساساً يبنى عليه الابتداء بالنكرة في الخبر فيقول: «وإذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام، فابن الخبر عليه، فإذا قلت: (رجل جاءني) لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة، ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك آت. فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول (جاءني رجل)، فتقدم الفاعل».⁽¹⁾

وفي تحليل "عبد القاهر الجرجاني" للمثال (رجل جاءني) نجد البعد التداولي حاضراً، «فبعد القاهر الجرجاني يحكم على صحة الجملة استناداً على الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب، فسياق هذه الجملة أن المخاطب قد علم أنه قد جاء إلى المتكلم أحد لكن لا يعلم جنسه، أرجل هو أم امرأة، فيقول المتكلم: (رجل جاءني)، وكأن الجملة جواب عن سؤال هو (أرجل جاءك أم امرأة)، كما تحمل الجملة أن يكون المقصود منها واحداً، أي رجل جاءني لا رجلاً»⁽²⁾، وذلك «لأن أصل النكرة أن تكون للواحد من الجنس، فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط، كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أتاك آت، ولم يدر جنسه: أرجل هو أم امرأة؟ أو اعتقد أنه امرأة، وتارة إلى الوحدة فقط، كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال، ولم يدر؛ أرجل هو أم رجلاً، أو اعتقد أنه رجلاً»⁽³⁾. فتقديم النكرة (رجل) في قوله: (رجل جاءني) جاء مراعاة لحال المخاطب، ولذا كيّف المتكلم أسلوبه اعتماداً على آلية التقديم والتأخير حسب حاجات مخاطبه.

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 98.

2- التقديم والتأخير في الدرس اللغوي العربي -مقاربة تداولية-، عبد الزهرة عوده جبر، مجلة الأستاذ (العراق)، 2015م، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الثالث، ص: 06.

3- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 2003م، ص: 59.

كما جعل "عبد القاهر الجرجاني" الحكم على استقامة المعنى من عدمه موصولا بالجانب التداولي (الاستعمالي)⁽¹⁾، فيقول: « وكذلك إن قلت "رجل طويل جاءني"، لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه قد أتاك قصير، أو نزلته منزلة من ظن ذلك».⁽²⁾

وجملة القول أن "عبد القاهر الجرجاني" يمثل صورة اللغوي البارِع الذي استطاع بفكره الصائب أن يخرج هذه الظاهرة التركيبية من دائرتها الضيقة إلى مجالها الرحب كاشفا عن أبعادها التداولية، رابطا الأشكال التي يأتي عليها "التقديم والتأخير" (التقديم والتأخير في الاستفهام، التقديم والتأخير في الخبر المنفي، التقديم والتأخير في الخبر المثبت، التقديم في النكرة) بمقصدية المتكلم وظروف العملية التخاطبية وحال المخاطب معززا ذلك بالأمثلة المتعددة والشواهد القرآنية.

1- ينظر: التقديم والتأخير في الدرس اللغوي العربي -مقاربة تداولية-، عبد الزهرة عوده جبر، ص: 06.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 98.

2- مقصدية "التعريف والتذكير" عند "عبد

القاهر الجرجاني".

أ- التعريف والتذكير في سياق الخبر.

ب- تعريف الخبر بالجنسية.

ج- (ال) الجنسية في المسند إليه.

د- تعريف الخبر بالأسم الموصول (الذي).

2- مقصدية "التعريف والتكبير" عند عبد القاهر الجرجاني:

أورد "عبد القاهر الجرجاني" في مؤلفه الثاني "أسرار البلاغة في علم البيان" وصفاً "للتعريف" فقال: « المعرفة ما أريد به واحد بعينه، أو جنس بعينه على الإطلاق»⁽¹⁾.

كما نجد "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "الجمال" يبيّن أحوال المعرفة فيقول: «المعرفة خمسة: المضمّر نحو(أنت)، والتاء في (ضريت)، والكاف في (غلامك). والثاني العَلْمُ نحو: زيدٌ وعمرو، وكل اسم وُضع في أول أحواله لشيء بعينه لا يقع على كل ما يُشبهه؛ فهو عَلْمٌ، ألا ترى أنّ (زيداً) وُضع في أول ما وُضع للرجل المعين، ثم ليس كل من يكون مثل : زيدٍ يُسمى زيداً . والثالث ما فيه الألف واللام نحو : الرجل والفرس، ولام التعريف، يكون للعهد كقولك : فعل الرجل كذا تريد واحداً بعينه، وقد عهد المخاطب والمخاطب، وعرفه بأمر، وللجنس كقولك : الرجل خير من المرأة، والرابع مبهم، وهو نوعان: أحدهما أسماء الإشارة، النوع الثاني : الموصولات، والخامس من المعرفة المضاف إلى كل واحد من هذه الأربعة نحو : غلام زيد وغلامك، فكل مضاف إلى معرفة معرفة، وما عدا هذه الخمسة فهو نكرة»⁽²⁾.

أما "النكرة" فقد عرفها بقوله: «النكرة ما عم شيئين فأكثر، وما أريد به واحد من جنس لا بعينه»⁽³⁾، كأن تقول مثلاً: "التقيت في الجامعة بكوثر و بنت أخرى"، فجملة (التقيت بكوثر) تحيلك إلى شخص معين وهي "كوثر"، بخلاف جملة (بنت أخرى)، فهي تدل على جنس معين (صبيّة) لكن لا تحيلك إلى اسم محدد.

1- أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 2001م، ص:189.

2- الجمال، الجرجاني، ص : 31.

3- المصدر نفسه، ص:189.

وقد عرض "عبد القاهر الجرجاني" وجوه "التنكير" في الكلام، وذلك في كتابه "المقتصد" الذي هو عبارة عن شرح ملخص لكتابه "المغني" منها قوله: «ألا أن لا أحدا يقول: مررت برجل ذي عمرو الظريف، وجاءني زيدٌ ذو خالدٍ العاقل؛ لأنّ العلم أوّل أحواله التعريف فإن نكرته جاز ذلك فيه نحو: مررت برجلٍ ذي زيدٍ عاقلٍ، وبامرأة ذات عمروٍ ظريف، وكم من ذي زيدٍ قد لقيتُ، وربّ ذي خالدٍ قد جاءني»⁽¹⁾.

كانت هذه بعض الأمثلة التي صاغها "عبد القاهر الجرجاني" لبيان أحوال "النكرة"، وهكذا جاء تعريفه لهما وبيان أحوالهما.

أ- التعريف والتنكير في سياق الخبر:

تطرق "عبد القاهر الجرجاني" إلى المركب الخبري الاسمي (المبتدأ - الخبر)، والذي يتخلله "تعريف وتنكير للخبر" في صور مختلفة فقال: «ومن فروق الإثبات أنك تقول: "زيدٌ منطلقٌ"، و"زيدٌ المنطلقُ" و"المنطلقُ زيدٌ"، فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي، وأنا أفسر لك ذلك. اعلم أنك إذا قلت: "زيدٌ منطلقٌ"، كان كلامك مع من لم يعلم أنّ انطلاقاً كان لا من "زيد" ولا من "عمرو"، فأنت تفيد ذلك ابتداءً. وإذا قلت "زيدٌ المنطلقُ" كان كلامك مع من عرف أنّ انطلاقاً كان إما من "زيد" وإما من "عمرو"، فأنت تُعلمه أنّه كان من زيد دون غيره»⁽²⁾.

فالبعد التداولي بارز في كلام "عبد القاهر الجرجاني"؛ فهو يفرق بين التراكيب التي تتضمن تعريفاً أو تنكيراً للخبر انطلاقاً من حال المخاطب ومعرفته بالموضوع، ومقصدية المتكلم⁽³⁾.

1- المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر(دم)،(دط)، 1982 م، ص: 907 .

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 120.

3- ينظر: التقديم والتأخير في الدرس اللغوي العربي -مقاربة تداولية-، عبد الزهرة عودة جبر، ص: 09.

فإذا جئنا إلى الصورة الأولى من المركب الخبري فقلنا: (زيد منطلق) بتكثير الخبر "منطلق" كانت مقصدية المتكلم إعلام المخاطب ابتداءً بانطلاق "زيد"، فهو يجهل فعل الانطلاق من أصله.

وإذا ذهبنا إلى الصورة الثانية في سياقها الخبري أيضا فقلنا: (زيد المنطلق) بتعريف المسند إليه (المنطلق) كان الخطاب موجها لسامع قد علم أنّ فعل الانطلاق قد وقع وتحقق، لكنّه يجهل "فاعل فعل الانطلاق" إن كان من "زيد" أو من "عمرو"، فتعلمه أنّه كان من "زيد" دون غيره، فتكون مقصدية المتكلم في هذا التركيب «إثبات فعل قد علم السامع أنّه كان، ولكنّه لم يعلمه لزيد فأفدته بذلك».⁽¹⁾

ومن الفرق بين التعبيرين: (زيد منطلق) و(زيد المنطلق) «أنك إذا نكّرت الخبر جاز أن تأتي بمتبدأ ثانٍ على أن تشركه بحرف العطف في المعنى الذي أخبرته به عن الأول، وإذا عرّفت لم يجز ذلك . تفسير هذا أنك تقول: (زيد منطلق وعمرو) تريد (وعمر و منطلق أيضا)، ولا تقول: (زيد المنطلق وعمرو)، ذلك لأنّ المعنى مع التعريف على أنك أردت أن تثبت انطلاقا مخصوصا قد كان من واحد، فإذا أثبتته لزيد لم يصح إثباته لعمرو، ثم إن كان قد كان ذلك الانطلاق من اثنين، فإنّه ينبغي أن تجمع بينهما في الخبر فتقول: (زيد وعمرو هما المنطلقان) لا أن تفرق فتثبته أولا لزيد، ثم تجيء فتثبته لعمرو».⁽²⁾

فحاصل هذا الفرق بين التعبيرين أنّه يجوز اجتماع العطف مع التكثير بينما يمتنع مع التعريف في التركيب الخبري، فيصح أن تقول: (زيد منطلق وعمرو) ؛ لأنّ المتكلم يعلم أنّ المخاطب ليست لديه أي معرفة مسبقة عن فعل الانطلاق، فيجوز للمتكلم أن يصيغ خطابه على شاكلة العطف، ويشرك "عمرا" فيه.

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 120.

2- المصدر نفسه، ص: 120-121.

أما في قولنا: "زيد المنطلق وعمرو فلا يصح العطف؛ لأن المتكلم يعلم أنّ المخاطب له دراية بالفعل (الانطلاق)، إنما كانت مقصدية المتكلم تخصيص وإفراد "زيد" به، وإذا كانت مقصدية المتكلم الإخبار أنّ الانطلاق حصل من الاثنين (زيد وعمرو) صيغت الجملة على هذا النمط، فتقول: (زيد وعمرو هما المنطلقان).

أما إذا قلنا (المنطلق زيد) بتعريف الخبر (المنطلق) وجعله مقدما كان الخطاب موجّها صوب مخاطب يرى الانطلاق من بعد لكنّه لا يتبيّن ممن وقع، وكان الغرض من ذلك معرفة المنطلق والتأكيد عليه وإزالة الشك عنه وجعلته يقطع بأنّه كان من زيد.⁽¹⁾

والملاحظ في "تعريف الخبر" في قولنا: (المنطلق زيد)، (زيد المنطلق) اجتماع معرفتين في التركيب الخبري وهو الأمر الذي استنكره "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "المقتصد" فقال: «ولا يصح في الظاهر أن يكون كل واحد من المبتدأ والخبر معرفة؛ لأنّ الإخبار عما يعرف لا يفيد، وإنّما الإفادة في الإخبار عما يعرف بما لا يعرف».⁽²⁾

لكنّ "عبد القاهر الجرجاني" استدرك الأمر، وعاد ليقرّ بجواز "تعريف المسند والمسند إليه" في المركب الخبري، ففي قولك: «(زيدٌ أخوك)، (وعمرؤ غلامك) وإنّما جاز على أن يكون المخاطب قاصدا الإعراض عن شأن زيد ومراعاة حقه على ما يوجب اشتباك النسبة بينهما فينبّه على ذلك ويقال: (زيدٌ أخوك)، أو يكون قد بعد عهده به حتى لا يثبته ثم يحضره فيعرفه بهذا الاسم، إلّا أنّه لا يعرف أنّه أحوه الذي غاب عنه، فيقال له: (زيدٌ أخوك)، أي أنّ هذا الذي عرفته الآن هو الأخ الذي فارقك».⁽³⁾

وقد قدّم "عبد القاهر الجرجاني" في هذا أمثلة، مبرزاً الفروق بين "تقديم أحد المعرفتين" ومثال ذلك قولهم: "الحبيب أنت" و"أنت الحبيب"، «وذاك أنّ معنى

1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 126.

2- المقتصد، الجرجاني، ص: 306.

3- المصدر نفسه، ص: 306.

"الحبيب أنت" أنه لا فصل بينك وبين من تحبّه إذا صدقت المحبة، وأنّ مثل المتحابين مثلاً نفس يتقاسمها شخصان، أما المعنى في قوله: "أنت الحبيب" أنّك الذي أختصه بالمحبة من بين الناس، وأمر آخر وهو أنّ الحبيب "فعليل" بمعنى "مفعول"، فالمحبة إذن ليست هي له بالحقيقة، وإنّما هي صفة لغيره قد لا يسته وتعلقت به تعلق الفعل بالمفعول، والصفة إذا وصفت بكمال وصفت به على أن يرجع ذلك الكمال إلى من هي صفة له»⁽¹⁾.

إضافة إلى أنّ «في هذه المحبة التي أثبتتها طرفاً من الجنسية من حيث كان المعنى أنّ المحبة مني بجملتها مقصورة عليك، ولم تعتمد على محبة. ألا ترى أنّك قد أعطيت بقولك: "أنت الحبيب" أنّك لا تحب غيره، وأن لا محبة لأحد سواه عندك؟»⁽²⁾.

فهنا يوازن "عبد القاهر الجرجاني" بين ورود "المسند" و"المسند إليه" في التركيب الاسمي معرفتين، وتقديم أحدهما عن الآخر، فإذا جئنا إلى التركيب الأول "الحبيب أنت" بتعريف الخبر "الحبيب" وتقديمه على "المبتدأ" كانت المقصدية من ذلك القول امتلاء النفس بذلك الحبيب، وإيثار المتكلم التعبير بضمير الفصل "أنت" يحمل نكتة بلاغية لطيفة وهي إثبات لمعنى الحبيب، وتخصيص لصفة المحبة بحيث أصبح ذلك الحبيب دليلاً عليها وأنموذجاً يقتدى به في المحبة، وعنواناً لها.⁽³⁾

وإذا توجهنا إلى مقابل الصيغة الأولى "أنت الحبيب" بتعريف الخبر "الحبيب" كان الكلام موجهاً إلى مخاطب شاك في محبة شخص ما له، أو لديه معلومة خلاف للمعلومة الواردة في الجملة، ولذا جاء الكلام على هذا النحو لإفادة قصر صفة المحبة على الموصوف والمتمثل في ضمير الفصل ونفيها عن سواه، فهي بمعنى أنّي آثرتك واختصصتك بتلك المحبة من بين الناس، وليس المقصود قصر كمال المحبة عليه ونفي محبة في الدنيا لمحبهته،

1- دلالات الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 128-129.

2- المصدر نفسه، ص: 129.

3- ينظر: شرح دلالات الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 272.

وقد لجأ "عبد القاهر الجرجاني" إلى البرهنة العقلية تأكيداً على هذا المعنى مستنداً إلى دلالة الصيغة (الحبيب)، فصفة المحبة ليست مقصورة على ذلك الشخص مرتبطة به منفية عن سواه، وإثماً هي صفة لغيره قد لا يسته وتعلقت به. (1)

وقد صاغ لنا "ابن العصفور" (ت 669هـ) قاعدة مهمة لترتيب أجزاء الجملة الاسمية في حال ورود "المبتدأ والخبر معرفتين" انطلاقاً من معرفة المخاطب بالخبر وجهله به فقال: «فإن كان معرفتين جعلت الذي تُقدّر أنّ المخاطب يعلمه "مبتدأ" والذي تقدر أنّ المخاطب يجهله "خبراً"، وذلك نحو قولك: "زيد أخو عمرو" إذا قدرت أنّ المخاطب يعلم "زيداً" ويجهل أنه "أخو عمرو"، فإذا قدرت أنّ المخاطب يعلم "أخا عمرو" ويجهل أنه مسمى "بزيد" قلت: "أخو عمرو زيد"، وذلك أنّ المستفاد عند المخاطب إثماً هو ما كان يجهله، والخبر هو محل الفائدة، فلذلك جعلت الخبر هو المجهول». (2)

ب- تعريف الخبر بـ "ال" الجنسية:

يرى "عبد القاهر الجرجاني" أنّ "تعريف الخبر بـ (ال) على معنى الجنس" له وجوه: أحدها: «أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة، وذلك قولك: "زيد هو الجواد"، و"عمرو هو الشجاع"، تريد أنّه الكامل إلا أنّك تخرج الكلام في صورة توهم أنّ الجواد أو الشجاعة لم توجد إلا فيه، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره لقصوره عن أن يبلغ الكمال، فهذا كالأول في امتناع العطف عليه للإشراك، فلو قلت "زيد هو الجواد وعمرو" كان خُلُفاً من القول». (3)

1- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 272-273.

2- شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور علي أبو الحسن بن مؤمن بن محمد بن علي، تقديم: فواز الشعار، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1998م، ج: 01، ص: 338.

3- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 121.

وثانيها: أن يعمد المتكلم إلى أسلوب القصر الحقيقي لا على سبيل الادعاء كما في الوجه الأول، فيقول: "هو الوفي"، ثم يقيّد المسند "الوفاي" بشيء من القيود لتحقيق دعوى "الانفراد"، كأن تقيّده بالحال والوقت، فتقول: "هو الوفاي حين لا تظن نفس بنفس خيرا"، أي: هو الوفاي في جنس أو نوع معين من الوفاء في هذا الوقت بالذات، فالكلام أفاد قصر وانفراد نوع معين من صفة الجود، وفي وقت محدد على هذا الشخص.⁽¹⁾ وقد يكون التقييد بمفعول مخصوص كقول الأعشى:⁽²⁾

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِئَةَ الْمُصْطَفَاةُ إِمَّا مَخَاضاً وَإِمَّا عِشَاراً

الشاهد في هذا البيت قصر "المسند المعرف ب(ال) الدالة على الجنس" ("الواهب) على المسند إليه (الممدوح) للدلالة على "انفراد الموصوف بالصفة"، والذي ساعد على تحقق هذا المعنى تقييد الصفة بجنس محدد من الإبل مخاضاً أو عشاراً.⁽³⁾ وقد أوضح "عبد القاهر الجرجاني"، أنّ المعنى هنا يفيد التكرار، فالشاعر أراد بخطابه أن يجعل ممدوحه يهب المئة مرة بعد أخرى، فكان القصد هاهنا إلى جنس من الهبة مخصوص لا إلى هبة مخصوصة بعينها خلافاً إذا كان القصد إلى انطلاق مخصوص فهنا الفرق واضح بين أن يكون المتكلم يقصد بكلامه نوع فعل، وبين أن يقصد إلى فعل واحد معيّن.⁽⁴⁾

وثالثها: تعريف المسند بالألف واللام لإقرار معنا معين ظاهر، وقد استشهد "عبد القاهر الجرجاني" بأبيات شعرية، من ذلك قول الخنساء:⁽⁵⁾

إِذَا قَبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلاً

- 1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 121-122.
- 2- ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب (دم)، (دط)، (دت)، ص: 51.
- 3- ينظر: المصدر السابق، ص: 122.
- 4- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 122.
- 5- ديوان الخنساء، الخنساء، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة-بيروت، ط2، 2004 م، ص: 99.

فالخنساء في هذا الخطاب الشعري استعانت في التعبير عن المعاني بتقنية "تعريف المسند (الحسن الجميلا)"، فهي لم ترد معنى القصر والاختصاص، أي أنّ ماعدا البكاء عليه ليس بجميل ولا حسن، وإّما أرادت أن تقرّه بأنّ بكاءه جنس مستقل معروف، فهو البكاء الظاهر حسنه وجماله، والذي لا ينكر حسنه وجماله أحد.⁽¹⁾

ورابعها: أنّ لتعريف الخبر بالألف واللام معنى غير الذي ذكر من قبل، وهو إثارة المخاطب إلى التخيّل والتوهم، وأنّ يصوّر في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه، ثمّ يجريه مجرى ما عهد وعلم⁽²⁾، وقد أبدى "عبد القاهر الجرجاني" إعجابه بهذا الوجه فقال عنه: « وهذا فن عجيب الشأن، وله مكان من الفخامة والتّبل، وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه، والمعوّل فيه على مراجعة النفس واستقصاء التأمل». ⁽³⁾

ومثال هذا الوجه قولنا: (هو البطل المحامي) و(هو المتقي المرتجى) « تريد أن تقول لصاحبك: هل سمعت بالبطل المحامي؟ وهل حصّلت معنى هذه الصفة؟ وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه؟ فإن كنت قتلته علما وتصورته حق تصوره. فعليك صاحبك واشدد به يدك، فهو ضالتك وعنده بغيتك». ⁽⁴⁾

ولبلوغ هذا المعنى المترتب عن "تعريف الخبر بالألف واللام" قدّر "عبد القاهر الجرجاني" في نفسه حوارا مع شخص آخر يسأله: هل تعرف بطلا محاميا؟ وهل سمعت به؟ وماهي المواصفات التي أهلته ليلبغ هذه المنزلة، ويقال ذلك له؟، وكأنّه بهذه الأسئلة يثير المخاطب لاستحضار صورة هذا المحامي الذي بلغ من الكمال في البطولة والاخلاص والتفاني في العمل حتى صار دليلا على وجودها .

1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص:123.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص:123-124.

3- المصدر نفسه، ص:124.

4- المصدر نفسه، ص:123.

ومما لاشك فيه أنّ إدراك مزّيّة "تعريف المسند بالألف واللام" في قولنا: (هو البطل المحامي) و(هو المتقي المرتجي) يعتمد بالأساس على ذوق المتكلم، فلا يستشعر الأسرار الخفية والمعاني المحتجبة لهذا التعريف إلاّ صاحب ذوق أخذ قد صقل بالمعرفة والخبرة، ودليل ذلك قوله: « واعلم أنّ للخبر المعرّف بالألف واللام معنى غير ما ذكرت لك، وله مسلك ثمّ دقيق ولمحة كالحلّس». (1)

وقد بلور "الفخر الرازي" المعنى الذي أرادَه "عبد القاهر الجرجاني" لهذا النوع فقال: « وحاصله أنّه مع ما أفاد من انحصار الخبر في المبتدأ، أفاد بلوغ المبتدأ في استحقاقه لما أخبر عنه به حيث صار معرّفًا بالحقيقة ودليلاً على وجوده، فكأنّك تعرف حقيقة الشجاعة وتدل على وجودها بزيد». (2)

ويستزيد "عبد القاهر الجرجاني" بعرض أمثلة لذلك النوع المبني على التقدير والتصوير، ليكون أكثر ظهوراً بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار عن المبتدأ مجردة على موصوف كقول ابن الرومي: (3)

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جَلِّ مَالِهِ وَلَكِنَّهُ بِالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ مَفْرَدٌ

وكأنّ "ابن الرومي" بخطابه هذا يثير ذهن المستمع بأن يفكر في رجل لا يتميز عُفاته وجيرانه ومعارفه عنه في ماله وأخذ ما شاءوا منه، حتى انفرد من بين الناس بالمد والحمد، فإذا تصورت وجود إنسان بهذه الصفة، فاعلم أنّ ذلك الرجل (4).

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 123.

2- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، ص: 83.

3- ديوان ابن الرومي، ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية-بيروت، ط3، 2002م، ج: 01، ص: 376.

4- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 124.

ت- (ال) الجنسية في المسند إليه:

أشار "عبد القاهر الجرجاني" إلى أنّ مذهب "الألف واللام الجنسية" في "الخبر" غير مذهبها في "المبتدأ"، وذلك أنّه إذا قلنا: أنّ اللام في قولك: (أنت الشجاع) للجنس كما هو له في قولهم: (الشجاع موقّي، والجبان ملقي)، فإنّ الفرق بينهما عظيم، فالعنى في قولك: (الشجاع موقّي) أنّك تثبت الوقاية لكل ذات من صفتها الشجاعة، فهو في معنى قولك: (الشجاعان كلّهم موقون) فالمتكلم يريد من مخاطبه أن يجعل الوقاية تستغرق الجنس وتشمله وتشيع فيه، بخلاف التعريف بالخبر (أنت الشجاع) فلا معنى فيه للاستغراق وإتّما تدعي له أنّه قد انفرد بحقيقة الشجاعة، وأنّه قد أوتي فيها مزية وخاصة لم يؤتھا أحد.⁽¹⁾

وعليه فمقصدية المتكلم تختلف عند التعبير "بالألف واللام الجنسية" في "الخبر"، وتعريف "المبتدأ"، فالمتكلم يتغني من "تعريف المسند (الشجاع)" في قولك: (أنت الشجاع) قصر صفة الشجاعة على الموصوف (أنت) وانفراده بكمال هذه الصفة ونفيها عن غيره.

أما تعريف المبتدأ بالألف واللام الجنسية نحو قولك: (الشجاع أنت)، (الشجاع موقّي) يفيد استغراق جنس الشجاعان، فكأنّك قلت: (أنت الشجاعان كلّهم)، (الشجاعان كلّهم موقون).

1- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 132.

ث- تعريف الخبر بالاسم الموصول (الذي):

يوصل "عبد القاهر الجرجاني" حديثه عن "الخبر"، فيورد مجيئه معرّفًا بالصلة حيث اقتصر على اسم الموصول "الذي"، وخصص له مبحثًا، وأثنى عليه ونوّه إليه فقال: «اعلم أنّ لك في (الذي) علما كثيرا وأسرارا جمّة، وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها اطلّعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر بما يفضي بك إليه من اليقين، ويؤديه إليك من حسن التبيين».⁽¹⁾

وذهب "عبد القاهر الجرجاني" إلى القول بضرورة الاعتداد بالمخاطب عند التعبير "بالاسم الموصول (الذي)"، ولتأكيد ذلك عرض حالتين للمخاطب بين العلم أو الجهل بالكلام الذي يرد فيه اسم الموصول:⁽²⁾

- الحالة الأولى: أنّك لا تصل (الذي) إلاّ بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرف له، نحو أن ترى عنده رجلا يُنشده شعرا فتقول له من غَد: (ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر).

- الحالة الثانية: أن يؤتى بجملة الصلة غير معلومة لدى المخاطب، ومثاله: (هذا الذي كان عندك بالأمس)، و(هذا الذي قدم رسولا من الحضرة)، أنت في هذا وشبهه تُعلم المخاطب أمرا لم يسبق له به علم، وتفيده في المشار إليه شيئا لم يكن عنده، ولو لم يكن كذلك لم يكن (الذي) خيرا؛ إذ كان لا يكون الشيء خيرا حتى يفاد به.

ولكنّ "عبد القاهر الجرجاني" عاد وفنّد أن يكون المخاطب لا يعلم على الاطلاق، «وذلك أنّ الجملة في هذا النحو وإن كان المخاطب لا يعلمها لعين من أشرت إليه، فإنّه لا بد أن يكون قد علمها على الجملة وحدّث بها، فإنّك على كلّ حال لا تقول: (هذا الذي قدم رسولا) لمن لم يعلم أنّ رسولا قدم ولم يبلغه ذلك في جملة ولا تفصيل،

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 134.

2- المصدر نفسه، ص: 135.

وكذا لا تقول: (هذا الذي كان عندك أمس) لمن قد نسي أنه كان عنده إنسان وذهب عن وهمه، وإنما تقوله لمن ذاك على ذكر منه إلا أنه رأى رجلا يقبل من بعيد، فلا يعلم أنه ذاك ويظنه إنسانا غيره»⁽¹⁾.

ومما لاشك فيه أن تعريف الخبر بالاسم الموصول يعبر عن مقصد يرمى إليه المتكلم من ذلك إثارة المخاطب للتخيل والتوهم، ومثال ذلك قول الشاعر: ⁽²⁾

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدَعُهُ لِمَلْمَةِ يُجِبُّكَ، وَإِنْ تَغَضَّبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضِبُ

ومثاله أيضا قول بشار بن برد: ⁽³⁾

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رَبَّتَهُ قَالَ: إِنَّمَا أَرَبْتُ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَأَنْ جَانِبُهُ

فالشاعر في هذين البيتين يسعى من وراء "تعريف المسند باسم الموصول" إلى إحالة المخاطب إلى إنجاز فعل التخيل وتقدير «إنسان هذه صفته وهذا شأنه، دون أن يكون قد عرف رجلا بهذه الصفة، فأعلمته أن المستحق لاسم الأخوة هو ذلك الذي عرفه، حتى كأنك قلت "أخوك زيد الذي عرفت أنك إن تدعه لملمة يجبك»⁽⁴⁾.

وقد ميّز "عبد القاهر الجرجاني" بين الإخبار بالجملة مع (الذي) وبين ما يأتي دونها فقال: «وعلى الجملة، فكل عاقل يعلم بؤن ما بين الخبر بالجملة مع (الذي) وبينها من غير (الذي)، فليس من أحد به طرق إلا وهو يشك أن المعنى في قولك: (هذا الذي قدم رسولا)، كالمعنى إذا قلت: (هذا قدم رسولا من الحضرة) مبتدئ خبرا بأمر لم يبلغ

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 135.

2- المصدر نفسه، ص: 125.

3- ديوان بشار بن برد، بشار بن برد، شرح وتقديم: محمد الطاهر بن عاشور، تعليق: محمد رفعت فتح الله، محمد شوقي أمين، لجنة التأليف والترجمة للنشر-القاهرة-، (دط)، 1950م، ص: 308.

4- المصدر السابق، ص: 125.

السامع ولم يبلّغه ولم يعلمه أصلاً، وفي قولك: (هذا الذي قدم رسولاً) معلم في أمر قد بلغه أن هذا صاحبه». (1)

فحاصل هذا الفرق أنّ الإخبار بجملة مصدرية ب(الذي) يكون بما لدى السامع علم به مثل: (هذا الذي قدم رسولاً)، أما الإخبار بجملة من غير (الذي) يكون بما ليس لدى السامع علم به مثل: (هذا قدم رسولاً من الحضرة).

والملاحظ من خلال معالجة "عبد القاهر الجرجاني" لعنصر "تعريف الخبر بالذي" أنّه تجاوز التحليل البنيوي الشكلي الذي يقوم بعزل اللّغة عن مستعملها، وعدّ أطراف العملية التواصلية من العناصر المهمة في التحليل، وهذا من صميم المنهج التداولي؛ فاتّخذ من "المخاطب" محور الكلام المعرف بالذي لاعتبار الخبر المعرف إما للإعلام بأمر يجله أو لتخصيص بشيء أو صفة ما.

ومن الشواهد القرآنية التي ساقها "عبد القاهر الجرجاني" في باب "الاستعارة" والتي تندرج ضمن مبحث "التعريف والتكبير"، قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مریم: 04)، حيث أقرّ لها شيئاً من حسن النظم، «وهو تعريف "الرأس" بالألف واللام، وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة، وهو أحد ما أوجب المزيّة. ولو قيل: "واشتعل رأسي"، فصرّح بالإضافة، لذهب بعض الحسن، فاعرفه». (2)

ولقد تنبه "عبد القاهر الجرجاني" إلى الأسرار الخفيّة التي يحملها "التعريف والتكبير"، فتوقف عند قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 96)، موضحة المقاصد الخفيّة لتكبير "حياة" في الآية الكريمة، يقول "عبد القاهر الجرجاني": «فإنّ لهذا التكبير حسناً لا تجده للتعريف،

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 135-136.

2- المصدر نفسه، ص: 74.

والسبب في ذلك؛ أنّ المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك لا يحرص عليه إلاّ الحي، فأما العادم الحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها⁽¹⁾.

ويمكن أن نلمس في تنكير "حياة" مقصداً آخر أشار إليه "السيد قطب" فقال: «أية حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا مميزة على الإطلاق! حياة فقط! حياة بهذا التنكير والتحقيق! حياة ديدان أو حشرات! حياة والسلام! إنّها يهود، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها سواء، وما ترفع رأسها إلا حين تغيب المطرقة، فإذا وجدت المطرقة نكست الرؤوس، وعنت الجباه جنباً وحرصاً على الحياة.. أي حياة!».⁽²⁾

فالتنكير في هذه الآية الكريمة أفاد معنى التحقيق والتصغير والحط من شأن هذه الحياة، ومعنى الزيادة كأنّه قيل: «(ولتجدنهم أحرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه حياة في الذي يستقبل؟)».⁽³⁾

وتنكير "حياة" في قوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 179) أفاد حياة جديدة مستأنفة من القصاص، وذلك أنّ «الانسان إذا علم أنّه إذا قُتل قُتل ارتدع بذلك عن القتل، فسلم صاحبه، صارت حياة هذا المهموم بقتله في مستأنف الوقت مستفاداً من القصاص، وصار كأنّه حيّ في باقي عمره به؛ أي القصاص، وإذا كان المعنى على حياة في بعض أوقاته وجب التنكير وامتنع التعريف من حيث كان التعريف يقتضي أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها، وأن يكون القصاص قد كان سبباً في كونها في كافة الأوقات».⁽⁴⁾

ويمكن أن نستشف من تنكير لفظ (حياة) مقصداً آخر لطيفاً، وهو أنّ هذه الحياة التي تتحقق بالقصاص حياة ذات شأن عظيم في جلب الأمن للناس وتحقق ما به

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 189.

2- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق-بيروت-، ط1، 1972م، ج: 01، ص: 92.

3- المصدر السابق، ص: 189.

4- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 189-190.

تطمئن نفوسهم وتحفظ أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، وبذلك قد يكون في هذا التنكير معنى من معاني التنويه والتعظيم». (1)

فحاصل هذا أنّ تنكير كلمة "حياة" في هذه الآية هو الأنسب لإرادة حياة مستأنفة جديدة بالقصاص ذات قدر عظيم يسودها الأمن والأمان، والراحة والطمأنينة.

ومثاله أيضا قوله عز وجل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ

لِلنَّاسِ﴾ (النحل: 69).

فقد ذهب "عبد القاهر الجرجاني" كعادته إلى النظر المقاصد المترتبة عن التنكير، حيث رأى أن تنكير لفظة "شفاء" يفيد التخصيص أي: «تخصيص الأشخاص المقصودين بالشفاء، وهذا توجيه فيه لطف ودقة، ويحل مشكلة قائمة، هي أنّ بعض الناس لا يكون العسل شفاء لهم لشذوذ في عللهم أو في طباعهم وعدم تقبلهم للشفاء بالعسل». (2)

ويحتمل أن يفيد التنكير هنا تخصيص الأمراض التي تشفي بالعسل، يقول "ابن كثير" (ت774هـ): في تفسيره «فهو شفاء للناس أي من أدواء تعرض لهم، فلو قال: "فيه الشفاء للناس"، لكان الدواء لكل داء، ولكن قال: "فيه شفاء للناس"، أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة، فإنّه حار والشيء يداوى بضده». (3)

إنّ الوقوف على المقاصد والأغراض الخفية، والمعاني والدلالات، والمزايا التي تعرض بسبب مقتضيات النظم أو وجوهه "كالتعريف والتنكير" يستلزم أن يكون المخاطب على معرفة سابقة، وله ذوق وقريحة « وذلك لأنّ المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعان روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها، وتحدث له علما بها

1- نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مسعود بودوخة، ص: 151 - 152.

2- شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 377.

3- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير اسماعيل أبو الفداء بن عمر، دار ابن حزم-بيروت، ط1، 2000م، ج: 02، ص: 1067.

حتى يكون مهيباً لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً بأنّ من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة». (1)

فقد بان من كلام "عبد القاهر الجرجاني" أهمية احتكام المخاطب إلى ملكة الذوق، مما يؤدي به إلى الكشف عن الأغراض والمقاصد، والمزايا والأسرار التي تتخلل النظم، والاستدلال على مواطن الأريحية والجمال، والحصول على التأويل المناسب للقول، فملكة الذوق هي سمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإدراك المخاطب لمعاني النحو، إدراكاً لا يقل شأنًا عن إدراك المتكلم لها. (2)

و"عبد القاهر الجرجاني" من خلال القول السابق يشير إلى أمر بالغ الأهمية، أنّ مزايل النظم في البلاغة القرآنية المعجزة لا تدرك إلاّ بالذوق والمعرفة؛ لأنّ هذه الخصائص والمميزات التي انفرد بها كتاب الله أمور خفية ومعان روحانية تحتاج من السامع إلى ذوق حساس وفطنة تساعده على التقاطها (3)، ولذا، فعده الباحث في الإعجاز القرآني أن يكون ذا ذوق حساس ومعرفة تؤهله للكشف عن هذه المزايا التي تميز بها نظمه الحكيم.

كما بنى "عبد القاهر الجرجاني" الحالة النفسية للمخاطب من انفعالات كالشعور بالأريحية والإيناس على أنها ردة فعل ناتجة عن الذوق والمعرفة، فيقول: «واعلم أنّه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحدّثه نفسه بأنّ لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحية تارة، ويعرى منها أخرى، وحتى إذا عجبته عجب، وإذا تبّهته لموضع المزية انتبه». (4)

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 357.

2- ينظر: البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حامدة تقبايت، ص: 137-138.

3- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد ابراهيم شادي، ص: 596.

4- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 190.

ومن أمثلة ذلك قول البحترى: (1)

بَلُونَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ ضَرِيْبَا
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا تَعَزُّمًا وَشِيكًا وَرَأْيَا صَالِيْبَا
تَنْقَلُ فِي خُلُقِي سُؤْدِدٍ سَمَاحًا مُرَجِّجِي وَبَأْسًا مَهِيْبَا
فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِحًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَشِيْبَا

يقول "عبد القاهر الجرجاني" معقبا على هذه الأبيات: « فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازا في نفسك، فعد فانظر في السبب واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخّر، وعرف ونكر، وحذف وأمر، وتوحي على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها (علم النحو)، فأصاب في ذلك كله، ثم لطف موضع صوابه، وأتى مأتى يوجب الفضيلة. أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله: (هو المرء أبدت له الحاديات)، ثم قوله: (تنقل في خلقي سؤدد) بتنكير (سؤدد) وإضافة (الخلقين) إليه...». (2)

فالملمح النفسي بارز في تعليق "عبد القاهر الجرجاني" على هذه الأبيات، فقد أورد بعض التعابير تحيل إليه: "راقتك وكثرت عندك"، "وجدت لها اهتزازا في نفسك"، "أول شيء يروقك تنكير لفظ "سؤدد" وإضافة "الخلقين" إليه" ما يعكس أهمية "الذوق والمعرفة" لدى المتلقي في بلوغ المعنى، وإدراك مزايا وجوه النظم المختلفة وأسراره ودقائقه.

وتدخل ملكة "الذوق" ضمن "كفاءة المخاطب" لتكون قوام فهم المعنى، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا، «والكفاءة هنا يقصد بها كل من المتكلم والمخاطب (السامع

1- ديوان البحترى، البحترى، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف-القاهرة-، ط3، (دت)، ص: 151.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 63.

والمشاهد) إذ هي مفهوم يقوم على المكونين التداولي والسياقي مما يجعل لمفهوم الفهم وما يتصل به من أفكار حجاجية دورا أساسيا في توضيح دلالتها وأهميتها معا». (1)

ولقد أعطى "عبد القاهر الجرجاني" ملكة "الذوق" أهمية كبيرة، وأعلى من شأنها؛ حيث اعتبرها أساسا لا بد منه للناقد للحكم على عمل معيّن، فمن غيره لا يمكن الحكم على النص الأدبي، والتفريق بين مواقع وجوه النظم المختلفة كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير وما يرتبط ذلك من لطائف وأسرار، والذوق عنده موهبة وملكة فطرية يمكن صقلها ويجب تثقيفها حتى يتمكن صاحبها من إدراك العلل التي يفضل بها نظم عن نظم. (2)

وملكة الذوق عند "عبد القاهر الجرجاني" ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعرفة الواعية؛ «إذ لا يكفي عنده تذوق حسن الكلام تذوقا ذاتيا، ولكن لا بد من ثقافة ومعرفة تتيح لصاحبها تفسير ذلك الحسن وتعليقه، والمتأمل لنصوص "عبد القاهر الجرجاني" لا يكاد يجد حديثا له عن الذوق إلاّ وهو يرتبط عنده بالمعرفة أو الخبرة أو القدرة على التفسير والتفريق بين الأسباب، وربما كان هذا تطورا من مفهوم الذوق قبله، وهو نتاج التطور في الحياة الثقافية بشكل عام، بل في "دلائل الإعجاز" نصوص دالة على أنّ اتكاء الأدباء الكبار على الثقافة والمعرفة في القرن الخامس الهجري كان أكبر من الاتكاء على السليقة بعد الضعف الذي تسرب للسليقة، وظهور جيل المولدين». (3)

فالمخاطب عند "عبد القاهر الجرجاني" له أهمية كبيرة، فقد أضفى عليه مواصفات الكفاءة، كما أوكل إليه مهمة تطوير وتنمية هذه الكفاءة عن طريق «توسيع حقوله المعرفية، كأن يهتم بكل ما يمكن أن يساعده في الكشف عن عناصر مضمرة داخل

1- الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر-، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-، ط1، 2008م، ص: 188.

2- ينظر: شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، ص: 33-34.

3- المصدر نفسه، ص: 34.

النص... حتى يتمكن من تطوير أدوات الاشتغال على النص الأدبي، باشتقاق إمكانات جديدة للفهم والتأويل». (1)

وهو ما اصطلح عليه "عبد القاهر الجرجاني" بـ "الفهم والتفهم" فيقول: «واعلم أنّه ليس إذا لم تُمكن معرفة الكل، وحب ترك النظر في الكل، وأن تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وإن قلّ فتجعله شاهدا فيما لم تعرف، أخرى من أن تُسُدّ باب المعرفة على نفسك وتأخذها عن الفهم والتفهم، وتعوّدها الكسل والهويّنا». (2)

فقد اتّضح من كلام "عبد القاهر الجرجاني" حرصه على أن يمتلك المخاطب كفاءة والتي تتلخص في الذوق والمعرفة من أجل الفهم والتفهم.

1- البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز، حاملة تقابيت، ص: 100، نقلا عن: قراءة النص وسؤال الثقافة- استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحويلات المعنى-، عبد الفتاح أحمد يوسف، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع-الأردن-، ط1، 2009م، ص: 13.

2- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص: 191.



خاتمة

الحمد لله كثيرا على إتمام هذا العمل المتواضع في رحاب التداولية والذي اشتمل على مجموعة من الوقفات انطلاقا من التعريف بمدونة البحث وبصاحبها، ثم التعريف بمصطلحات البحث (المقصدية، الاستراتيجيات التخاطبية)، وفي جذور مصطلح "المقصدية" في التراث العربي إلى أن تبلور المفهوم لدى اللسانيين في الدراسات الحديثة، وصولا إلى الدراسة التطبيقية والتي تم فيها التركيز على "الاستراتيجية الحجاجية" وإسقاط مفاهيمها وتقنياتها على كتاب "دلائل الإعجاز"، وكذا استجلاء المقصدية الإجمالية التي تحكم خطاب "عبد القاهر الجرجاني"، وقد قادتني هذه الدراسة إلى التوصل إلى جملة من النتائج نجملها في:

- للحجاج أنواع كثيرة، وخطاب "عبد القاهر الجرجاني" يندرج ضمن "الحجاج التقويمي"، والذي يقوم على عرض الدعوى والاعتراض عليها حول قضية أو مسألة من المسائل التي كانت محل خلاف ومنازعة.

- إنَّ أهم ما يميز منهج "عبد القاهر الجرجاني" في دلائله من بدايته إلى نهايته هو الاعتراض على الخصوم والرد عليهم، فقد اعتمد على الاستراتيجية الحجاجية كطريق لإبلاغ مقاصده، متخذا من آلياتها ووسائلها على مختلف أشكالها (لغوية - بلاغية - منطقية - شبه منطقية) وسيلة للرد والتدليل، وتفنيد أفكار الخصوم، وإبطال مزاعمهم، وتمكين آرائه في العقول.

- يعتبر كتاب "دلائل الإعجاز" قلبا حجاجيا بامتياز، فقد كانت الاستراتيجية الحجاجية حاضرة وبقوة وفعالية قصوى، جسدتها الآليات والأقيسة بمختلف أنواعها.

- توخى "عبد القاهر الجرجاني" في عرض أفكاره وأطروحاته الأسلوب المباشر، واللغة الصريحة البعيدة عن التلميح.

- يمتاز خطاب "عبد القاهر الجرجاني" بالطابع الحوارى السجالي فتراه على طول الكتاب محاورا ومجادلا، مناقضا لآراء خصومه، مقتنعا بأفكاره مدافعا عنها بالحجة والبرهان، متحديا.

- استعمل "عبد القاهر الجرجاني" التشبيه والتمثيل في مدونته الحجاجية، نظرا لما تمتلكه هذه الوسيلة من وظائف حجاجية كتقريب الأفكار البلاغية والنقدية التي تحتاج إلى إبانة وتوضيح، وتمكين المعاني في نفس المتلقي.

- اعتمد "عبد القاهر الجرجاني" في تشكيل الصورة التشبيهية التمثيلية على الواقع الحسى الملموس بدلا من الصورة الذهنية التي تحتاج إلى إعمال العقل والفكر خدمة لمسعاة الإقناعى التأثيرى.

- اعتمد "عبد القاهر الجرجاني" في مدونته الحجاجية على ملمح بارز وهو التكرار، والحقيقة أنّ "عبد القاهر الجرجاني" كان يلقي خطابه إلى قوم منكربين معاندين درجوا منذ زمن على القول النقيض وهذا يستلزم معاودة الفكرة مرة بعد مرة لتأكيد حجة المتكلم، والذي يؤدي إلى تثبيت الفكرة وترسيخها في الذهن، وإزالة الشبه والاعتراضات الواهية التي كانت تخالغ فكر المتلقي.

- وظف "عبد القاهر الجرجاني" نوعين من الأفعال الطلبية بكثرة، والتي تمثلت في: أفعال الاستفهام وأفعال الأمر.

- تنتمي أغلب الاستفهامات التي استخدمها "عبد القاهر الجرجاني" إلى الاستفهامات التقريرية، فهي من أقدر الأساليب على التأثير في النفوس، وحملها على الإقرار والاعتراف بالحقيقة والافتناع بها والانقياد لها .

- وظف "عبد القاهر الجرجاني" حججا أخرى دامغة وتمثل في "الشاهد الشعري" وهي من أقوى الحجج وأكثرها ترددا في مدونته؛ باعتبارها أحد أهم الوسائل

الهادية إلى إدراك موطن الإعجاز في القرآن الكريم، فالعلم بالشعر وما يحتويه من أسرار وأحوال وتراكيب، والوقوف على خصائص ومميزات أسلوبه ونظمه ومقارنتها بنظم القرآن الكريم يمكن الباحث من الوصول إلى خصائص معينة ينفرد بها، ويرجع إليها إعجازه.

- هذا فضلا عن استدلاله "بالآيات القرآنية" و"الأحاديث النبوية الشريفة" والتي أكسبت خطاب "عبد القاهر الجرجاني" قوة سلطوية بالخطاب التي استمدت من سلطة أصحابها، وبعدها إقناعيا تأثيريا .

- لجأ "عبد القاهر الجرجاني" إلى تدعيم أقواله بالعامل الحجاجي عن طريق أسلوب القصر، وهذا يدل دلالة واضحة على يقينه للوظيفة الحجاجية التي يلعبها أسلوب القصر بوصفه عاملا حجاجيا، والتي تتجلى في حصر الإمكانيات الحجاجية للقول، وقيادة المتلقي إلى نتيجة معينة مركزة يريد لها المحاجج، إضافة إلى نقل الملفوظ من حيز الإبلاغ والإخبار إلى الحجاج.

- إسهاب "عبد القاهر الجرجاني" في دراسته لأسلوب القصر تنظيراً من خلال إبراز الفروق في استخدام الأداة "إنما" و"النفى والاستثناء" وبيان بلاغتهما ووظيفتهما في الخطاب، وتطبيقاً في استعانتها بهذه الآلية في بناء وتركيب خطابه الحجاجي يؤكد مدى إدراكه لأهمية هذه العوامل في تماسك بنية الخطاب، وتحقيق الغاية الإقناعية.

- يحضر في خطاب "عبد القاهر الجرجاني" الربط المنطقي بين المقدمات والنتائج أو بين الأسباب والنتائج، فتأسست إذ ذاك علاقات حجاجية (علاقة الاقتضاء، علاقة الاستنتاج، العلاقة السببية) أسهمت في إحكام بناء خطاب الدلائل الحجاجي وانسجامه.

- أتاحت "العلاقة الاستنتاجية" في خطاب "عبد القاهر الجرجاني" فرصة للمتلقي من خلال المقدمات التي عرضها (تمثلت في نفيه لجملة من وجوه الإعجاز) إلى

استنتاج الوجه الخفي (بلاغة القرآن تكمن في نظمه) الأمر الذي يجعل ذهنه معلقا بتلك الفكرة ويقتنع بها.

- استخدم "عبد القاهر الجرجاني" أبرز العلاقات تأثيرا في المتلقي وهي "العلاقة السببية" والتي تربط السبب بالنتيجة ربطا محكما بحيث لا يترك مجالاً للمتلقي للظن أو الشك في صحة الفكرة المطروحة فيخضع وينقاد لها .

- لقد كان "لعلاقة الاقتضاء" حضور مكثف في مدونة البحث، والتي وفرتها الجملة الشرطية بأدوات (لو، إذا) من أجل تحقيق مقاصد وغايات كان يهدف إليها من وراء استعمالها.

- كان "القياس المنطقي" نهجا "لعبد القاهر الجرجاني" في البرهنة على آرائه، ومواجهة أخطاء خصومه والاقناع بما يراه صوابا.

- تمثلت "المقصدية" التي سيرت فعل التأليف عند "عبد القاهر الجرجاني" في قضية الدفاع عن الإعجاز القرآني، وإثبات أنّ القرآن العظيم معجز في أمور تتبلور في النظم، ومن أجل ذلك بسط القول فيه مبرزاً مفهومه وأركانه، ومع أنّ فكرة النظم قد أشار إليها قبله "الجاحظ" و"الخطابي" و"الواسطي" و"الباقلاني" و"القاضي عبد الجبار" وغيرهم، لكنهم لم يستطيعوا أن يكشفوا وجه هذا الإعجاز كما كشفه هو، وعن الخصائص التي جددت في نظم القرآن الكريم وأهله لأن يكون معجزاً، كما أنّه قدم للباحث في الإعجاز الأدوات والوسائل التي تساعده للوصول إلى حقائق الإعجاز ومميزاته التي انفرد بها أسلوبه ونظمه الكريم.

- لقد تفرع عن "المقصدية الإجمالية" التي انبنى عليها خطاب "عبد القاهر الجرجاني" مقاصد أخرى تمثلت في: الفصل في قضية "اللفظ والمعنى" التي كان الجدل

حولها قائما في عصره، بيان حدود بعض الفنون والمصطلحات كمفهوم النحو والبلاغة والفصاحة والبراعة... وغيرها، وانتصاره لمذهبه الأشعري.

- لعامل "المقصدية" أثر كبير في اختيار المتكلم الاستراتيجية المناسبة للخطاب، وبمأن مقصدية خطاب "عبد القاهر الجرجاني" تتمحور حول الاحتجاج لبلاغة القرآن الكريم لذا فإنه انتقى الاستراتيجية الإقناعية الحجاجية؛ لأنها تتصل بالأهداف التي يود تحقيقها في خطابه، وقد استعان بمختلف طرق الاستدلال والبرهنة والمحاجة لحصول فعل التأثير والإقناع.

- من خلال تحليل الأقوال في مختلف فصول وأبواب مدونة "دلائل الإعجاز" اتضح أنّ البلاغة العربية تتعالق مع الدرس التداولي، فمراعاة المقام، وأحوال المخاطب في عامل الانجاز، والعلاقة بين المخاطب والمخاطب، ومبدأ المقصدية... إلخ، والتي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت في حقل التداولية.

- المقصدية عند "عبد القاهر الجرجاني" هي بمثابة البوصلة التي توجه المتكلم لاختيار وجهها من وجوه التعليق بين الكلم.

- التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير هما صورة من صور التواصل المرتبطة ارتباطا وثيقا بمقصدية المتكلم.

- ربط "عبد القاهر الجرجاني" في معالجة الهيئات التي أتى عليها "التقديم والتأخير" و"التعريف والتنكير" بمقصدية المتكلم والمقام وحال المخاطب.

- التقديم والتأخير والتعريف والتنكير في اللغة العربية ظاهرتان تداوليتان بامتياز؛ فهما أسلوبان يلجأ إليهما المتكلم للتعبير عن مقاصد معينة.

- استند عبد القاهر الجرجاني في التفريق بين الجمل التي تتضمن تعريفا أو تنكييرا للخبر إلى مقصدية المتكلم وحال المخاطب.

- حرص "عبد القاهر الجرجاني" في تطبيقه لنظرية النظم والتي تجلت في مباحث علم المعاني على تبيان المقاصد التداولية مؤكداً في ذلك على البعد التواصلية التفاعلية بين أقطاب العملية التواصلية (المخاطب، المخاطب، السياق، الخطاب).

- يعتبر "المخاطب" سيد العملية التواصلية، ومحوراً أساسياً في إنتاج الخطاب، ولذا اعتنى "عبد القاهر الجرجاني" به، وعنايته به مرتبطة بنظريته التي بثها في دلائله، والتي من أهم مرتكزاتها ودعائمها "توخي معاني النحو"، وعليه فمهمة "المخاطب" التطبيق الفعلي لما يسمى "بمعاني النحو"، كما جعل المزاي والمحسن التي تعرض في الكلام، والتي تتأتى من فعل التخيّر والتصرف في معاني النحو متصلة بالمخاطب، فكل مزينة في النظم مرتبطة بمعنى من معاني النحو وهي من جهة المتكلم.

- من مظاهر اهتمام "عبد القاهر الجرجاني" "بالمخاطب" حرصه على امتلاك كفاءة تمكنه من الوصول إلى التأويل المناسب للقول، والبحث في كل ما من شأنه توضيح مقصدية المتكلم، وتحسس واستشعار مواطن الحسن والشرف في الكلام، وخفايا النظم، وتمثل هذه الكفاءة في الذوق والمعرفة والتدبر وإعمال العقل.

كانت هذه أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وفي الأخير أرجو أن أكون قد أسهمت ولو بجزء بسيط في الإحاطة ببعض جوانب الموضوع، والإجابة عن إشكالاته المطروحة، فهو خطوة ستتبعها خطوات وبحوث أخرى تنظر في المقصدية والاستراتيجيات الخطابية وآلياتها في الخطاب البلاغي، فهما موضوعان لا يزالان في حاجة لمزيد من البحث.

وآمل أن يكون هذا البحث قد أضاف شيئاً جديداً للمكتبة العربية في شقها التداولي، وأدعو الله أن يتقبل هذا الجهد المقل، ويتجاوز عني ما كان من خطأ أو تقصير أو نسيان، إنّه وحده القادر على ذلك، والحمد لله رب العالمين .



قائمة المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ب- المصادر والمراجع:

1. أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب-القاهرة-، (دم)، 1998م.
2. الاجتهاد المقاصدي حجته ضوابطه مجالاته، الخادمي نور الدين بن مختار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الدوحة-، ط1، 1998م.
3. أساس البلاغة، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 1998م.
4. أساليب بلاغية الفصاحة-البلاغة-المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات-الكويت- ط1، (دت).
5. أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 2001م.
6. أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، محمد السيد شيخون، دار الهداية(دم)، (دط)، (دت).
7. أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر-القاهرة- (دط)، (دت).
8. إشارة التعمين في تراجم النحاة واللغويين، اليماني عبد الباقي بن عبد المجيد، تحقيق: عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية السعودية-الرياض-، ط1، 1986م.
9. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، ابن نجيم زين الدين بن إبراهيم بن محمد، وضع حواشيه وخرّج أحاديثه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 1999م.

10. أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي-المغرب- ط2، 2000م.
11. الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ناظم عودة خضر، الشروق للنشر-الأردن-، ط1، 1997م.
12. الإعجاز في دراسات السابقين-دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها-، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي(دم)، ط1، 1974م.
13. الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة- ط1، 1978م.
14. إعجاز القرآن، الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيّب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف-مصر- ط3، (دت).
15. إعجاز القرآن، فضل حسن عباس، منشورات جامعة القدس المفتوحة-الأردن-، ط2، 1997م.
16. إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، حفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-القاهرة-، (دط)، 1970م.
17. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافي مصطفى صادق، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية-بيروت-، (دط)، 2003م.
18. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمد أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية (دم)، (دط)، (دت).
19. الأفق الحجاجي في نظرية النظم، عمر بوقمرة، عالم الكتب الحديث-الأردن- ط1، 2017م.

20. إنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة-بيروت، ط1، 1986م.
21. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شكري مبخوت، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة-تونس-، (دط)، (دت).
22. أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، سميح عبد الوهاب الجندي، مؤسسة الرسالة-بيروت-، ط1، 2008م.
23. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 2003م.
24. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب(دم)، (دط)، (دت).
25. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي(دم)، ط1، 1965م.
26. بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار الأمان-الرباط-، ط1، 2013م.
27. البلاغة العربية بين الناقلين الخالدين عبد القاهر الجرجاني، وابن سنان الخفاجي، عبد العاطي غريب علي علام، دار الجيل-بيروت-، ط1، 1993م.
28. بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت-، (دط)، 1981م.
29. البلاغة فنونها وأفنانها-علم المعاني-، فضل حسن عباس، دار الفرقان-الأردن-، ط1، 1985م.

30. بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي (دم)، (دط)، (دت).
31. البلاغة الواضحة (المعاني، البيان، البديع)، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف-لندن-(دط)، (دت).
32. بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة، جون سيرل، ترجمة وتقديم: حسنه عبد السمیع، مراجعة: إسحاق عبيد، المركز القومي للترجمة-القاهرة-، ط1، 2012م.
33. بيان اللغة، نعوم تشومسكي، ترجمة: إبراهيم الكلثم، جداول للنشر والتوزيع-بيروت-، ط1، 2017م.
34. بيان إعجاز القرآن، كتاب مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف-مصر-ط3، (دت).
35. البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة-، (دط)، (دت).
36. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي-القاهرة-، (دط)، 2012م.
37. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: عبد الحلیم النجار، دار المعارف-القاهرة-، ط5، (دت).
38. تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية-بيروت-، (دط)، (دت).
39. تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده-مصر-، ط1، 1950م.
40. تأويلات وتفكيكات، محمد شوقي الزين، منشورات ضفاف-بيروت-، (دط)، 2015م.

41. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون برهان الدين أبو الوفا، تعليق وتخريج أحاديثه وكتابتها: جمال مرعشلي، دار عالم الكتب-الرياض-، (دط)، 2003م.
42. تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي-بيروت-، ط3، 1997م.
43. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، الأمل للطباعة والنشر-تيزي وزو-، ط2، (دت).
44. تحليل الخطاب وتجاوز المعنى-نحو بناء نظرية المسالك والغايات-، محمد محمد يونس علي، دار كنوز المعرفة-عمان-، ط1، 2016م.
45. التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي ودوره في تلبية متطلبات التنمية المستدامة، أحمد محمود الزنفلي، مكتبة الأنبجولو المصرية (دم)، (دط)، (دت).
46. التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتاي، الدار العربية للعلوم-دار الأمان، بيروت-الرباط، ط1، 2010م.
47. التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة-بيروت-، ط1، 2005م.
48. التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلا نشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار-سوريا-، ط1، 2007م.
49. التداولية والحجاج-مداخل ونصوص-، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر-سوريا-ط1، 2008م.
50. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت-، ط3، 2003م.

51. ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر(دم)، ط3، (دت).
52. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب ابن مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية(دم)، ط2، 1983م.
53. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق-القاهرة-، ط10، 1988م.
54. التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشروق-بيروت-، ط3، 1979م.
55. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر والتوزيع-تونس-، (دط)، 1984م.
56. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير اسماعيل أبو الفداء بن عمر، دار ابن حزم-بيروت- ط1، 2000م.
57. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، تحقيق: خليل مأمون، دار المعرفة-بيروت-، ط3، 2009م.
58. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية(دم)،(دط)، 1981م.
59. التقديم والتأخير في المثل العربي-دراسة نحوية بلاغية-، غادة أحمد البواب، وزارة الثقافة-الأردن-، (دط)، 2011م.
60. تكملة المعاجم العربية، رينهارت حوزي، ترجمة: محمد سليم النعيمي، مراجعة: جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية-العراق-، ط1، 1997م.

61. الجمل، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، تحقيق: علي حيدر، منشورات دار الحكمة-دمشق-، (دط)، 1972م.
62. الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي الحسن بن قاسم، تحقيق: فخر الدين قباوه، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 1992م.
63. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، مؤسسة الهنداوي(دم)، (دط)، 2017م.
64. جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني- من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري-، حسين مسعود الطوير، دار قتيبة للنشر والتوزيع-بيروت-، ط1، 2001م.
65. الحجاج في البلاغة المعاصرة-بحث في بلاغة النقد المعاصر-، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-، ط1، 2009م.
66. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث-الأردن-، ط1، 2007م.
67. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صوله، دار الفرابي-بيروت-، ط2، 2007م.
68. حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي-بيروت-، ط2، 1987م.
69. الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسن الباهي، إفريقيا الشرق-المغرب-، ط2، 2013م.
70. الحيوان، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-القاهرة-، ط2، 1965م.

71. الخصائص، ابن جني أبو الفتح عثمان، تحقيق: محمد علي التّجار، دار الكتب المصرية(دم)، (دط)، (دت).
72. الخطاب المقاصدي المعاصر-مراجعة وتقييم-، الحسان شهيد، مركز الإنماء-بيروت-، ط1، 2013م.
73. الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، سلسلة علوم اللّسان عند العرب-الجزائر-،(دط)،(دت).
74. الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنش-بيروت-، ط1، 2010م.
75. دراسات بلاغية، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار-دار المعالم الثقافية، القاهرة-المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م.
76. دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية-بيروت- ط2، (دت).
77. دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر أبو عبد الرحمن، تعليق: أبو فهر محمود محمد شاعر، مكتبة الخانجي-القاهرة-، (دط)، (دت).
78. دلالة التراكم-دراسة بلاغية-، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة(دم)، ط2، 1987م.
79. دمية القصر وعصرة أهل العصر، الباخريزي علي أبو الحسن بن حسن، المطبعة العلمية -سوريا-، ط1، 1930م.
80. رسائل الجاحظ، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة-، (دط)، 1964م.

81. الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف-مصر-، ط3، (دت).
82. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي شهاب الدين أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي-بيروت-، (دط)، (دت).
83. استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية-، الشهري عبد الهادي بن ظافر، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-، ط1، 2004م
84. شذرات من ذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثي-بيروت-، ط1، 1989م.
85. شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور علي أبو الحسن بن مؤمن بن محمد بن علي، تقديم: فواز الشعار، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 1998م.
86. شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد إبراهيم شادي، دار اليقين-القاهرة-، ط2، 2013م.
87. شرح الرضي لكافية ابن حاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأسترياذي، تحقيق: يحي بشير مصطفى، حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، الإدارة العامة للثقافة والنشر- المملكة العربية السعودية-، ط1، 1996م.
88. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف-القاهرة-، (دط)، (دت).
89. شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، الغزالي أبو حامد، تحقيق: محمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد-بغداد-، (دط)، 1971م.

90. الشمسية في القواعد المنطقية، مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي-المغرب-، ط1، 1998م.
91. الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 1997م.
92. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت-، ط2، 1989م.
93. صحيح البخاري، البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير-دمشق-، ط1، 2002م.
94. صحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة أبو بكر بن إسحاق، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي(دم)، ط3، 2003م.
95. صحيح مسلم، مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريايى، دار طيبة-الرياض-، ط1، 2006م.
96. الصناعتين -الكتابة والشعر-، العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (دم)، ط1، 1952م.
97. ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي محمد سعيد رمضان، مؤسسة الرسالة (دم)، (دط)، (دت).
98. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية(دم)، ط1، (دت).

99. الطرائف الأدبية، عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة- (دط)، 1937م.
100. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية-بيروت-، ط1، 2002م.
101. طرق الكشف عن مقاصد الشارع، نعمان جعيم، دار النفائس-الأردن-، ط1، 2002م.
102. الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالات في الفلسفة النمساوية، عز العرب لحكيم بناني، الدار البيضاء- المغرب-، ط2، 2013م.
103. عبد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي، مكتبة مصر للطباعة-القاهرة-، (دط)، (دت).
104. عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات-الكويت-، ط1، 1973م.
105. عبد القاهر والبلاغة العربية، الخفاجي محمد عبد المنعم، مكتبة مصر-القاهرة-، (دط)، 1952م.
106. العقل مدخل موجز، جون سيرل، ترجمة: ميشيل حنا متياس، عالم المعرفة-الكويت-، (دط)، 2007م.
107. العقل واللغة والمجتمع-الفلسفة في العالم الواقعي-، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف-المركز الثقافي العربي- الدار العربية للعلوم، الجزائر-بيروت-بيروت، ط1، 2006م.
108. علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، تقديم: سليمان العطار، محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب-القاهرة-، ط1، 2007م.

109. علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، محمد زرزور، المكتب الإسلامي-بيروت-، ط1، 1981م.
110. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل-سوريا-، ط5، 1961م.
111. العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، دار نهي-صفاقس-، ط1، 2011م.
112. العوامل المائة، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، دار المنهاج-بيروت-، ط1، 2009م.
113. فتح الباري بشرح الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، ابن حجر أحمد بن علي، المكتبة السلفية(دم)، (دط)، (دت).
114. الفروق اللغوية، العسكري أبو هلال، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة-القاهرة-، (دط)، (دت).
115. فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة-سوريا-ط2، 1980.
116. فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، فؤاد علي مخيمر، دار الثقافة للنشر والتوزيع(دم)، (دط)، 1983م.
117. فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر-مصر-، (دط)، 2007م.
118. فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي، هناء صبري، مكتبة العربي للمعارف-القاهرة-، ط1، 2015م.
119. في البلاغة العربية-علم المعاني-، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية-بيروت- ط1، 2009م.

120. في حجاج النص الشعري، محمد عبد الباسط عيد، إفريقيا شرق-المغرب-، (دط)، 2013م.
121. في سيمياء الشعر القديم-دراسة نظرية تطبيقية-، محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع (دم)، (دط)، 1989م.
122. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي عبد الرؤوف، دار المعرفة-بيروت-، ط2، 1972م.
123. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق-بيروت-، ط1، 1972م.
124. في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صوله، دار الجنوب للنشر والتوزيع-تونس- ط1، 2001م.
125. الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، سماع رافع محمد، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد-، ط1، 1994م.
126. القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، أنريبول، ترجمة: مجموعة من الباحثين بإشراف: عز الدين المجدوب، دار بيناترا-تونس-، (دط)، 2010م.
127. قراءة النص وسؤال الثقافة- استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحويلات المعنى-، عبد الفتاح أحمد يوسف، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع-الأردن-، ط1، 2009م.
128. القصديّة بحث في فلسفة العقل، جون سيرل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي-بيروت-(دط)، 2007م.
129. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية-البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي-، أحمد المتوكل، دار الأمان-الرباط-، (دط)، 1995م.
130. الكافي في علوم البلاغة العربية(المعاني، البيان، البديع)، عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الجامعة المفتوحة(دم)، (دط)، 1993م.

131. الكافي في المعاني والبيان والبديع، أيمن أمين عبد الغني، الدار التوفيقية للتراث- القاهرة- (دط)، (دت).
132. الكتاب، سيويوه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة-، ط3، 1988م.
133. كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الفراهيدي الخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 2003م.
134. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي محمد علي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة ناشرون-لبنان-، ط1، 1996م.
135. كشف أسرار المعاني عند عبد القاهر الجرجاني، محمد حامد محمد، (دم)، (دط)، (دت).
136. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، دار إحياء التراث-بيروت-، (دط)، (دت).
137. لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر-بيروت-، (دط)، (دت).
138. لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، دار المعارف-القاهرة-، (دط)، (دت).
139. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي-بيروت-، ط1، 1998م.
140. اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة(دم)، ط1، 2009م.
141. اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-، ط2، 2005م.

142. لسانيات النص-مدخل إلى انسجام الخطاب-، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي-بيروت-ط1، 1991م.
143. اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة-الكويت-،(دط)، 1995م.
144. اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع-المغرب-، ط1، 2006م.
145. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار مسلم للنشر والتوزيع-الرياض-، ط2، 1996م.
146. مباحث منطقية مقدمات في المنطق المحض، آدموند هوسرل، ترجمة: موسى وهبة، المركز الثقافي العربي-بيروت-، ط1، 2010م.
147. محاضرات في فلسفة اللغة، عادل الفاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-، ط1، 2013م.
148. محاضرات في اللسانيات العامة، بن زروق نصر الدين، مؤسسة كنوز المعرفة(دم)، ط1، 2011م.
149. المحاوره مقاربه تداوليه، حسن بدوح، عالم الكتب الحديث-الأردن-، ط1، (دت).
150. مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني-دار المدني، مصر-جدة، (دط)، (دت).
151. مدخل إلى علم النص-مشكلات بناء النص-، زيبسلاف وأورزنيك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار-القاهرة-، ط1، 2003م.
152. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم(دم)، (دط)، (دت).

153. المدخل إلى علوم القرآن، محمد فاروق النبهان، دار عالم-سوريا-، ط1، 2005م.
154. مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، انطوان خوري، دار التنوير-بيروت-، ط1، 1984م.
155. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه-القاهرة-، ط1، 1998م.
156. مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-، (دط)،(دت).
157. معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر-الأردن-ط1، 1984م.
158. معجم الأدباء-إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب-، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت- ط1، 1993م.
159. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر-بيروت-،(دط)،(دت).
160. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القاهر المهيري، حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، دار سيناترا-تونس-، (دط)، 2008م.
161. معجم الفلاسفة، جورج طرايشي، دار الطليعة-بيروت-، ط3، 2006م.
162. معجم اللغات الوسيط-إنجليزي، فرنسي، عربي، جروان السابق، دار السابق للنشر والتوزيع-بيروت-، ط1، (دت).
163. معجم المؤلفين-تراجم مصنفى الكتب العربية-، كحالة عمر رضا، مؤسسة الرسالة (دم)،(دط)،(دت).

164. معجم النفائس الكبير، جماعة من المتخصصين، إشراف: أحمد أبو حاقه، دار النفائس(دم)، ط7، 2007م.
165. المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين، مكتبة الشروق الدولية(دم)، ط4، 2004م.
166. المعنى خارج النص-أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب-، فاطمة الشيدي، دار نينوى-دمشق-(دط)، 2011م.
167. المعنى في البلاغة العربية حسن الطبل، دار الفكر العربي-القاهرة-، ط1، 1998م.
168. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي-بيروت-، ط2، 2007م.
169. المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تقويم: أمين الخولي(دم)، (دط)، (دت).
170. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن مبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر-دمشق-، ط1، 1964م.
171. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 1985م.
172. مفتاح العلوم، السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1، 1983م.
173. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، دار العلم-الدار الشامية، دمشق-بيروت-، ط4، 2003م.
174. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي(دم)، (دط)، (دت).

175. المقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي، محمد عبد العاطي محمد علي، دار الحديث-القاهرة-(دط)، 2007م.
176. مقاصد الشريعة الإسلامية، بن عاشور محمد الطاهر، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس-الأردن-، ط2، 2001م.
177. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي محمد سعد بن أحمد بن مسعود، دار الهجرة-المملكة العربية السعودية-، ط1، 1998م.
178. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي(دم)، ط5، 1993م.
179. مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، يوسف أحمد محمد البدوي، دار النفائس-الأردن-، (دط)، (دت).
180. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الدار العالمية للفكر الإسلامي-الرياض-ط2، 1994م.
181. مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر(دم)، (دط)، 1979م.
182. المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر(دم)، (دط)، 1982م.
183. المقصد والاستراتيجية، محمد مفتاح، دار البيضاء-المغرب-، (دط)، 1993م.
184. من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة- دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة-، عبد الكريم شرفي، الدار العربية للعلوم-منشورات الاختلاف، بيروت-الجزائر، ط1، 2007م.
185. منهج البلاغ وسراج الأدباء، القرطاجني حازم أبو الحسن، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي-بيروت-، ط3، (دت).

186. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج-شرح النووي على مسلم-، النووي أبو زكريا يحيى بن شرف، بيت الأفكار الدولية-الأردن-، (دط)، (دت).
187. موسوعة شرح المصطلحات النفسية -إنجليزي-عربي، لطفي الشربيني، تقديم: حسين عبد الرزاق الجزائري، دار النهضة العربية-بيروت-، ط1، 2001م.
188. موسوعة قضايا إسلامية معاصرة-مقاصد الشريعة-، محمد الزحيلي، دار المكتبي(دم)، (دط)، (دت).
189. الموافقات، الشاطبي إبراهيم أبو إسحاق بن موسى بن محمد، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان-المملكة العربية السعودية-، ط1، 1997م.
190. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري جمال الدين يوسف أبو المحاسن، وزارة الثقافة-مصر-، (دط)، (دت).
191. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري كمال الدين أبو البركات بن عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار-الأردن-، ط3، 1985م.
192. النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجماعي-القاهرة-، (دط)، 2014م.
193. النص والسياق-استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق-المغرب-، (دط)، 2000م.
194. النقد الفلسفي للذات المفكرة عند ديكرات، المولدي عز الدين، الوسيط للنشر-تونس- (دط)، 2008م.
195. النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، دار نهضة مصر-القاهرة-، (دط)، (دت).
196. نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستين، ترجمة: عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق(دم)، (دط)، (دت).

197. النظرية القصديّة في المعنى عند غرايس، صلاح إسماعيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة - الكويت-، (دط)، 2005م.
198. نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت-، (دط)، (دت).
199. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، تقديم: طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (دم)، ط4، 1995م.
200. نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مسعود بودوخة، مركز الكتاب الأكاديمي- عمان-، ط1، 2018م.
201. نظرية النظم تاريخ وتطور، حاتم الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام (دم)، (دط)، 1979م.
202. نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، وليد محمد مراد، دار الفكر- سوريا-، ط1، 1983م.
203. النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني علي أبو الحسن بن عيسى، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف- مصر-، ط3، (دت).
204. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، تحقيق: نصر الله حاجي، دار صادر - بيروت-، ط1، 2004م.
205. الوافي بالوفيات، الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي- بيروت-، ط1، 2000م.
206. هدية العارفين - أسماء المؤلفين وآثار المصنفين-، البغدادي إسماعيل باشا، مؤسسة التاريخ العربي (دم)، (دط)، (دت).

ت-الدواوين الشعرية:

207. ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب(دم)، (دط)، (دت).
208. ديوان امرئ القيس، امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة-، ط4، (دت).
209. ديوان أوس بن حجر، أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، -دار بيروت-، (دط)، 1980م.
210. ديوان البحتري، البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف-القاهرة-، ط3، (دت).
211. ديوان بشار بن برد، بشار بن برد، شرح وتقديم: محمد الطاهر بن عاشور، تعليق: محمد رفعت فتح الله، محمد شوقي أمين، لجنة التأليف والترجمة للنشر-القاهرة-، (دط)، 1950م.
212. ديوان الخنساء، الخنساء حمدو طماس، دار المعرفة-بيروت-، ط2، 2004م.
213. ديوان ابن الرومي، ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية- بيروت-، ط3، 2002م.
214. ديوان المتنبي، المتنبي، دار بيروت-بيروت-، (دط)، 1983م.
215. شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع وتنسيق: مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق-، ط2، 1985م.
- ث-المجلات العلمية:
216. أثر العامل الحجاجي في بلاغة خطاب عبد القاهر الجرجاني، جيلالي علي بن يحيى ناموس، مجلة فصل الخطاب(تيارت)، جوان 2021م، العدد02، المجلد10.

217. أثر المقاصد الكلية والجزئية في فهم النصوص الشرعية (دراسة تطبيقية من السنة النبوية)، الكيلاني عبد الله إبراهيم زيد، دراسات علوم الشريعة والقانون (الأردن)، 2006م، العدد 01، المجلد 33.
218. الإستراتيجية الأمنية: أنواعها، تقنياتها ومتطلباتها، فضيل دليو، عاطف كلاع، الباحث الاجتماعي (قسنطينة 02)، 2017م، العدد 13.
219. الاستلزام الحوارى فى سورة "طه" تحليل تداولى وفق نظرية غرايس، مبرود سعاد، مجلة المدونة (البلددة 2)، 30 جوان 2018م، العدد 01، المجلد 05.
220. أسس نحوية ولغوية فى التفكير البلاغى عند عبد القاهر الجرجانى، ابتسام أحمد حمدان، مجلة دراسات فى اللغة وآدابها (إيران، سوريا)، خريف 2010م، العدد 03.
221. إعجاز القرآن البانى وأثره فى نشأة الدرس البلاغى-دراسة تطويرية-، عمر بوقمرة، مجلة تاريخ العلوم (الجلفة)، ديسمبر 2017م، العدد 10.
222. آليات الاستدلال الحجاجى فى الخطاب الجرجانى-مقاربة تداولية-، رزىقة سادى، مجلة أبولوس (سوق أهراس)، جانفى 2017م، العدد 06.
223. البعد التداولى عند سيبويه، إدريس مقبول، عالم الفكر (الكويت)، يوليو 2014م، العدد 01، المجلد 33.
224. البعد القصدى لتداولية أفعال الكلام فى الخطاب القرآنى، عائشة صالح أحمد با بصيل، شريفة أحمد حسن القرني، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث (فلسطين)، يناير 2019م، العدد 01، المجلد 03.
225. بلاغة التقديم والتأخير عند الجرجانى فى كتابيه الأسرار والدلائل، أحمد بن صالح السديس، مجلة العلوم العربية (دم)، ربيع الآخر 1437هـ، العدد 39.

226. بلاغة التقديم والتأخير في سورة الكهف دراسة بلاغية تحليلية وتطبيقية على منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد بن حاج إبراهيم، معالم القرآن والسنة (دم)، 2010م، العدد 06.
227. بلاغة القرآن ونظمه عند الجاحظ، صليحة بلخيري، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية (الجزائر)، جانفي 2022م، العدد 01، المجلد 09.
228. التراكيب النحوية من الوجهة التداولية، عبد الحميد السيد، مؤته للبحوث والدراسات (الأردن)، 2001م، العدد 02، المجلد 16.
229. تطبيقات معياري المقصدية والمقبولية في النص في معهود الخطاب عند العرب، عثمان جميل قاسم الكنج، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية (ماليزيا)، ديسمبر 2015م، العدد 02.
230. التقديم والتأخير وأثره في المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، علوش علي، مجلة الممارسة اللغوية (تيزي وزو)، سبتمبر 2021م، العدد: 03، المجلد: 12.
231. دراسة وصفية لكتاب دلائل الإعجاز، إكرام ملياني، مجلة أبحاث (العراق)، ديسمبر 2018م، العدد 06.
232. الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول غرايس، الراضي رشيد، مجلة فيصل (السعودية)، يناير 2000م، العدد 28.
233. رؤية الإمام عبد القاهر الجرجاني ومنهجه في دراسة الإعجاز القرآني، علي يحي نصر عبد الرحيم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور (القاهرة)، 2020م، العدد 05.
234. استراتيجية تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، عبد الرحمن العبدان، راشد الدويش، مجلة جامعة أم القرى (المملكة العربية السعودية)، العدد خاص بالمناسبة المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية، 1998م، العدد 17.

235. استراتيجيات الخطاب النورسي ومقصدياته من خلال المنشوي العربي النوري- مقارنة تداولية-، عايش محمد الهادي، مجلة العلوم الإنسانية (قسنطينة)، جوان 2018م، العدد 49، المجلد "ب".
236. الشاهد الشعري في تحليل الجرجاني للخطاب القرآني، عبد القادر زين، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات(الجلفة)، جانفي 2020م، العدد 01.
237. شعر الأحنس بن شهاب التغلبي، الأحنس بن شهاب بن ثماتة بن الأرقم التغلبي، جمع وتحقيق: عدنان محمود عبيدات، مستل من مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب(دم)، 2007م، العدد 01، المجلد 04.
238. العلاقات الحجاجية في القصص القرآني، بوسلاح فايزة، مجلة الحضارة(وهران)، جوان 2016م، العدد 29.
239. العوامل الحجاجية وروابطها في التمثيلات النبوية، زقنون نصيرة، مجلة جسور المعرفة(شلف)، ديسمبر 2019م، العدد 05، المجلد 05.
240. في تداوليات القصد، إدريس مقبول، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(فلسطين)، 2014م، المجلد 28، العدد 05.
241. في تعليمية الخطاب العلمي، بشير إبرير، مجلة التواصل(عنابة)، عدد 8 جوان 2001م.
242. قراءة في منهجية عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، ناريمان عبد القادر يوسف، مجلة رؤى فكرية-مخبر الدراسات اللغوية-، (سوق أهراس)، أوت 2018م، العدد 08.
243. القصدية مبحث فلسفي تداولي : من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام -جون سيرل نموذجاً-، هشام صويلح، مجلة تاريخ العلوم(الجلفة)، جوان 2017م، العدد 08.

244. القصديّة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللّغة، وشن دلال، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية(بسكرة)، جانفي 2010م، العدد06.
245. القصديّة وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، وسام مرزوقي، قوتال فضيلة، مجلة إشكالات في اللّغة والأدب(تمنراست)، 2019م، العدد01، المجلد08.
246. القصديّة والمقبولية بين التراث النقدي والدرس اللساني الحديث، إياد نجيب عبد الله، مصطفى عاشور، مجلة جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، يوليو 2016م، العدد17.
247. قضية اللّفظ والمعنى في الميزان الجرجاني، عبود خليفة، مجلة حوليات كلية الآداب واللّغات لجامعة طاهري محمد(بشار)، ديسمبر 2015، العدد15.
248. القول بالصرفة في إعجاز القرآن- عرض ودراسة-، إبراهيم بن منصور التركي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها (السعودية)، دويلية 2009، العدد 02.
249. معاني النحو عند الجرجاني، حاشي سارة أحلام، مجلة قضايا معرفية (الجلفة)، جوان 2022م، العدد02، المجلد 02.
250. المفهوم الفينومينولوجي للنظرية القصديّة عند هوسرل، محمد فرحة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية(تشرين)، 2009م، العدد01، مجلد01.
251. مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب(تناول تداولي للخطاب الشوري)، يونس فضيلة، مجلة الخطاب(تيزي وزو)، جانفي 2010م، العدد 06.
252. المقاصد التداولية للتقديم والتأخير في كتاب دلائل الإعجاز، شداد محمد، مجلة لغة- كلام(غليزان)، جوان 2021، العدد 03.
253. مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، بوصوار صورية، مجلة كلية الآداب واللّغات محمد خيضر(بسكرة)، ديسمبر2014م، العدد 16.

254. المنحى الوظيفي في التراث العربي، مسعود صحراوي، مجلة الدراسات اللغوية (الرياض)، أبريل 2003، العدد 01، المجلد 05.
255. نظرية أفعال الكلام في ضوء الأسلوبين الخبري والإنشائي، عرابي غالية، مجلة فصل الخطاب (تيارت)، سبتمبر 2019م، العدد 27، المجلد 07.
256. نظرية النحو الثاني في مفهوم عبد القاهر الجرجاني، عمار ربيح، حويلات جامعة قلمة للغات والآداب (قلمة)، جوان 2017م، العدد 19.
257. نظرية النظم وقضية الإعجاز في علم البلاغة، عثمان أنجوغوتيا، مجلة حويلات التراث (مستغانم)، 2017م، العدد 17.
- ج- الرسائل الجامعية:
258. أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم على رأي عبد القاهر الجرجاني، محمد فواز عرسان غنام، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية-الأردن-، 1993-1994م.
259. البنية الحجاجية في النثر العباسي تناول تداولي لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، نفيسة طيب، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج- البويرة-، 2011-2012م.
260. الخطابة العربية في العصر الأموي بين المقصدية والتأويل-مقاربة تداولية- حسين بوبلوطة، أطروحة دكتوراه علوم (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر-باتنة 01-، 2018-2019م.
261. استراتيجية التلميح ومقاصد الخطاب في بخلاء الجاحظ-دراسة تداولية- صورية دحماني، مذكرة ماجستير (منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف- المسيلة-، 2015-2016م.

262. استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران أنموذجا-مقاربة تداولية-، جيلي هدية، أطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الأمين دباغين-سطف-02، 2016، 2017م.
263. قصدية الخطاب في البيان والتبيين للجاحظ، مهدي حسن نصر الله، مذكرة ماجستير(منشورة)، كلية الآداب واللغات، الجامعة المستنصرية-العراق-، أفريل 2015، 2016.
264. القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع-دراسة تداولية-، إيدير إبراهيم، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري-تيزي وزو-، (دت).
265. القصدية في الموروث اللساني العربي-دراسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية-، دلال وشن، أطروحة دكتوراه(منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، 2016، 2017م.
266. المسائل البيانية للشاهد الشعري في دلائل الإعجاز للجرجاني، ثناء شاهد عايش الدويري، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط(دم)، 2009، 2010م.
267. المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، ليلي كادة، أطروحة دكتوراه (منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، (دت).



فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية والسورة
		• سورة البقرة:
125	12-11	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾
224	24-23	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.
273	96	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْزَقِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾
274	179	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
54	235	﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾
		1) سورة آل عمران:
125	54	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾
256	75	﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
101	103	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
		2) سورة النساء:
204	10	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾
125	142	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
115	171	﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

		<p>فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾</p> <p>(3) سورة المائدة:</p>
204	42	<p>﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾</p>
256	61	<p>﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾</p>
44	66	<p>﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾</p>
137	105	<p>﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾</p> <p>(4) سورة الأنعام:</p>
250	14	<p>﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾</p>
148	143	<p>﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَم الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾</p> <p>(5) سورة التوبة:</p>
42	42	<p>﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾</p> <p>(6) سورة يونس:</p>
248	59	<p>﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ</p>

		اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿١﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.
251	99	
		(7) سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
224	13	
		(8) سورة النحل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾
249	28	
		﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنَا نِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مُكْمُوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾
-133		﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَبَا سَمَاءِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
-155	44	
223		
40	09	
		﴿ثُمَّ كَلِمَةٍ مِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.
275	69	
		(9) سورة الإسراء: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾
246	40	
		﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
215	88	
		(10) سورة مريم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾
-178	04	
-179		

273		(11) سورة الأنبياء:
244	62	﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾
245	63	﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾
		(12) سورة الفرقان:
256	03	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾
42	63	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾
		(13) سورة العنكبوت:
43	65	﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾
		(14) سورة الروم:
207	01	﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾
		(15) سورة لقمان:
42	19	﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾
43	32	﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾
		(16) سورة فاطر:
43	62	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

	-153	(17) سورة الصافات:
247	154	﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾
		(18) سورة الزخرف:
251	32	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾
204	19	(19) سورة الواقعة:
204	33	﴿لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾
		(20) سورة الصف:
213	90	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾
135	13	(21) سورة الحاقة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحديث
44	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قَالَ وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرَوْحُوا، وَشِيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا﴾.
45	عن جابر بن سمرة يصف صلاته - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا﴾.
45	عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال، قال بريدة: ﴿خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ أَمْشِي لِحَاجَةٍ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْشِي فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً، فَجَعَلْتُ أَكْفَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى رَأَيْتُ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا، فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ بَيْنَ أَيْدِينَا يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " أَتْرَاهُ يُرَائِي " فَقُلْتُ لَهُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فَأَرْسَلَ يَدَهُ وَطَبَقَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ يَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيُصَوِّبُهَا وَيَقُولُ " عَلَيْكُمْ هَدِيًّا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدِيًّا قَاصِدًا، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ﴾.
137	عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث معاذًا إلى اليمن فقال: ﴿ اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ﴾ .
137	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحْ بِالْكُم﴾.
137	قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿صَبِرَا آلُ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ﴾.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

إهداء

المقدمة..... أ

تمهيد

أولاً- التعريف بالمدونة..... 02

أ-مكانة المدونة..... 03

ب-موضوع المدونة..... 05

ت-موضوعات المدونة..... 05

ث- هدف المدونة..... 10

ثانيا - التعريف بصاحب المدونة..... 14

أ-مولده ونسبه..... 15

ب-نشأته وتعلّمه..... 16

ت-تصدره للتدريس..... 18

ث-شيوخه..... 18

ح-تلاميذه..... 19

ج-ثقافة عبد القاهر الجرجاني ومصدرها..... 20

خ-نبوغه..... 21

د-رأي العلماء فيه..... 21

ذ-شعره..... 24

ر-مؤلفاته..... 27

ز-وفاته..... 33

الفصل الأول: المقصدية مقارنة تأصيلية - الإطار المفاهيمي -

1- مفهوم المقصدية: 37

أ- مادة "قصد" في المعاجم اللغوية: 39

ب- لفظ (قصد) ومشتقاته في القرآن الكريم..... 42

ج- لفظ (قصد) ومشتقاته في الحديث النبوي الشريف 44

د- المصطلحات المتقاربة في الدلالة على معنى "القصد" 46

ذ- الألفاظ المقابلة لمصطلح المقصدية في اللغات الأجنبية..... 49

2- مفهوم الخطاب..... 54

أ- في المعاجم اللغوية..... 54

ب- في اصطلاح اللسانيين..... 55

3- مفهوم استراتيجيات الخطاب..... 57

أ- الاستراتيجية مصطلحا..... 57

ب- استراتيجيات الخطاب..... 59

ثانيا- المقصدية في الدراسات الغربية..... 67

أ- المقصدية عند هوسرل في المنهج الظاهراتي..... 68

ب- المقصدية عند جون سول..... 72

ت- المقصدية في المعنى عند "بول غرايس" 75

ث- المقصدية والتداولية..... 81

ح- المقصدية ونظرية أفعال الكلام..... 87

ج- المقصدية والسياق..... 90

94	ثالثا- المقصدية في الدراسات العربية
94	أ- عند الأصوليين
94	1- تعريف مقاصد الشريعة
97	2- أقسام مقاصد الشريعة
103	3- أهمية مقاصد الشريعة
104	ب- المقصدية عند البلاغيين والنقاد
105	أ- الجاحظ (ت255هـ)
105	ب- ابن قتيبة (ت276هـ)
106	ت- الرماني (ت382هـ)
108	ث- أبو هلال العسكري (ت395هـ)
110	ح- ابن رشيق القيرواني (ت456هـ)
الفصل الثاني: الاستراتيجية الإقناعية في خطاب عبد القاهر الجرجاني	
114	أولا- الحجاج التقويمي في خطاب دلائل الإعجاز
114	أ- تعريف الحجاج التقويمي
114	ب- مميزات الحجاج التقويمي ونماذج منه في خطاب عبد القاهر الجرجاني
120	ثانيا- آليات الإقناع في "دلائل الإعجاز"
120	1- الوسائل اللغوية
120	1-1- ألفاظ التعليل
128	1-2- التكرار
130	1-3- الصفة
132	1-4- الأفعال اللغوية
140	2- الوسائل البلاغية

141-التشبيه
1483- الحجج شبه المنطقية
1483-1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية
1503-2- الحجج القائمة على العلاقة التبادلية وعلى علاقة العدل
1513-3- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية
1533-4- الحجج المؤسسة لبنية الواقع
1614- السلم الحجاجي
1614-1- السلم الحجاجي في خطاب عبد القاهر الجرجاني
1684-2- الروابط الحجاجية
1734-3- العوامل الحجاجية
1855- الوسائل المنطقية
1855-1- العلاقات الحجاجية
1935-2- القياس

الفصل الثالث: تجليات المقصدية في خطاب عبد القاهر الجرجاني

198أولاً- السياق ومقصدية عبد القاهر الجرجاني:
198أ- تعريف السياق
200ب- من نظرات السابقين في الإعجاز القرآني
2001- النظام (ت213هـ)
2022- الجاحظ (ت255هـ)
2053- الواسطي (ت306هـ)
2064- الرّماني (ت382هـ)
2095- الخطابي (ت388هـ)

213	6-الباقلائي (ت407هـ).....
216	7-القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت 415هـ).....
222	ت-رؤية عبد القاهر الجرجاني حول الإعجاز.....
225	ث-النظم عند عبد القاهر الجرجاني.....
229	ج-المقصدية الإجمالية في خطاب عبد القاهر الجرجاني(الرئيسية).....
230	ح-المقاصد الثانوية في خطاب عبد القاهر الجرجاني.....
235	ثانيا- المقصدية في مباحث علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني.....
235	1- مقصدية التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني.....
239	أ- التقديم والتأخير في أسلوب الاستفهام بالهمزة.....
251	ب -التقديم والتأخير في النفي.....
254	ت- التقديم والتأخير في الخبر المثبت.....
257	ث- التقديم والتأخير في النكرة.....
261	2- مقصدية "التعريف والتكبير" عند "عبد القاهر الجرجاني".....
262	أ-التعريف والتكبير في سياق الخبر.....
266	ب- تعريف الخبر "بال" الجنسية.....
270	ت- (ال) الجنسية في المسند إليه.....
271	ث-تعريف الخبر بالاسم الموصول(الذي).....
281	خاتمة.....
288	قائمة المصادر والمراجع.....
316	فهرس الآيات القرآنية.....
322	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....
325	فهرس الموضوعات.....

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع "المقصدية" في الخطاب، حيث رصد مختلف البيئات المعرفية التي نشأ فيها هذا المصطلح إلى أن أصبح مفهوما شائعا في اللسانيات التداولية، وسعى إلى استثمار إجراءات البحث التداولي للوقوف على مقصدية خطاب "دلائل الإعجاز" ولقد شكل الحجاج جوهر الخطاب في المدونة المدروسة، ولذا حاولت الكشف عما يحمله ويختزنه هذا الخطاب من مكنونات حجاجية، وذلك بالتركيز على "الاستراتيجية الإقناعية" باعتبارها من أبرز الاستراتيجيات التخاطبية مواءمة مع خطاب "عبد القاهر الجرجاني البلاغي" القائم على الإقناع، فتبعت مسار الحجاج انطلاقا من آليات التحليل التي استند عليها "عبد القاهر الجرجاني" لاستمالة المتلقي والتأثير فيه، والمتمثلة في التقنيات: اللغوية، البلاغية، المنطقية، والشبه المنطقية.

الكلمات المفتاحية: المقصدية- الخطاب- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- استراتيجيات- الحجاج- الإقناع.

Abstract :

This research deals with the topic of "intentionality" in the discourse, as it combines the various cognitive environments in which this term originated until it became a common concept in pragmatic linguistics, and sought to invest the procedures of pragmatic research to find out the intentionality of the discourse of "evidence of miracles". The argumentation constituted the essence of the discourse in the studied blog, and therefore I tried to reveal what this discourse carries and stores in terms of argumentative components, by focusing on the "persuasive strategy" as one of the most prominent discourse strategies in line with the rhetorical discourse of "Abdul Qahir al-Jurjani" based on persuasion. Thus, I followed the path of the argumentation based on the analysis mechanisms on which "Abdul-Qaher Al-Jurjani" relied on to attract the recipient and influence him, represented in the techniques: linguistic, rhetorical, logical, and quasi-logical.

Keywords: : Intentionality - Discourse - Abdul Qaher Al-Jurjani - Evidence of Miracle - Strategies - Arguments - Persuasion

Résumé :

Cette recherche traite du sujet de "l'intentionnalité" dans le discours, en repérant les différents environnements cognitif dans lesquels est né ce concept jusqu'à ce qu'il est devenu courant en linguistique délibérative, et a cherché à investir des procédures de recherche délibérative pour déterminer l'intentionnalité du discours des "arguments de miracles. Dans ce sens, l'argumentation constitue l'essence même du discours dans le blog étudié, et c'est la raison pour laquelle nous avons donc essayé mettre en lumière le potentiel argumentatif que recèle ce discours, et ce en focalisant sur la stratégie persuasive, comme étant l'une des stratégies discursives les plus importantes qui soient compatibles avec le discours oratoire de "Abdel Qaher Al-Djordjani", basé sur l'art de la persuasion. Par conséquent, nous avons suivi l'itinéraire argumentatif à partir des mécanismes analytiques sur lesquels s'est basé "Abdel Qaher Al-Djordjani", pour toucher le récepteur, l'influencer, à savoir, les techniques linguistique, rhétorique, logique et prélogique.

Mots-clés: Intentionnalité, Discours , Abdul Qaher Al-Jurjani, arguments de miracles, Stratégies, Argumentation Persuasion .